

جامعة مولود معمري - تيزي وزو -

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية



دور إستراتيجيات القوى الإقليمية و الكبرى تجاه
الحراك في منطقة الشرق الأوسط
(2011-2016 سوريا أنموذجا)

مذكرة مقدمة لإستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في العلوم السياسية

تخصص: دراسات إقليمية شرق أوسطية

إشراف الأستاذ:

- عطيش يمينة

إعداد الطلبة:

- رابيا ديهية
- أكلي محفوظ

لجنة المناقشة:

-الأستاذ(ة): تيباني وهيبة.....رئيسا

-الأستاذ (ة): عطيش يمينة.....مشرفا ومقررا

-الأستاذ (ة): زاوي رابح.....مناقشا

السنة الجامعية: 2016/2017م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرفان

نشكر الله تعالى ونحمده حمدا كثيرا الذي أمدنا بالعقل والصبر لاكمال هذا العمل الذي ما كان ليكتمل لولاه ونتمنى أن يجعله في ميزان حسناتنا.

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى جميع أساتذتنا في أطوار التعليم المختلفة من الابتدائي إلى الجامعي أطل الله في عمر الأحياء منهم وليرحم الأموات منهم الى جميع اساتذة العلوم السياسية الذين رافقونا طيلة مشوارنا الدراسي. ونتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذة "عطيش يمينه" التي قبلت الإشراف على هذا العمل كما لها فائق الاحترام والتقدير على النصائح والإرشادات التي وجهتها لنا وعلى منحها لنا الوقت الكافي لإكمال هذا العمل نتمنى لها النجاح في حياتها العلمية والعملية نشكر الأعضاء المناقشة على قبولهم قراءة ومناقشة هذه المذكرة بهدف تصحيحها وتقويمها كل من الأستاذة "تيباني وهيبة" و الأستاذ "زاوي رابح".

دون أن ننسى كل من ساهم في تقديم وكتابة هذا البحث سواء من بعيد أو من قريب.

شكرا للجميع

إهداء

إلى أعز ما أملك في هذه الحياة والذي اللذين علماني ورباني أتمنى
لهما طول العمر ودوام الصحة والعافية.

إلى أخي الوحيد الذي إشتقنا إليه كثيرا أتمنى أن يكمل واجبه الوطني
بتمام الصحة والعافية ننتظر عودتك إلينا بفارغ الصبر.

إلى أجمل ما قدمه لي القدر أشكر الله وأحمده كثيرا أتمنى أن تكون
سندي وعوني في هذه الحياة بكل أفراحها وأحزانها دمت لي خير زوج
وأب وأخ وصديق وأنس وسند مهما حييت.

إلى عائلتي الثانية أتمنى أن يحبوني وأن نعيش حياة يملؤها الحب
والإحترام.

إلى كل أصدقائي أتمنى لكم النجاح والتوفيق في حياتكم العلمية
والعملية.

إلى كل من يحبهم قلبي ولم يذكرهم لساني.

❦ ديهية.

الإهداء

أهدي هذا العمل بكل معاني الإحترام والعرفان:

-إلى والدي حفظهما الله اللذان ربياني ووقفوا إلى جانبي منذ المهد وأتمنى لهما طول العمر والصحة، وأدين لهما بجزيل الشكر والعرفان عسى أن أحظى برضاهما، خاصة أُمِّي التي ناضلت و كافحت من أجل أن نعيش في عزّ و كرامة، وما وصلنا إلى هنا لولاها.

-إلى أختي الوحيدة التي شاركت معي حلاوة الدنيا ومرارتها منذ الصغر.

-إلى التي تحمل إسم وصفة "الصرامة والشجاعة والعفة" و"الحب والجمال والإيمان" والذي جمعني القدر بها لإتمام نصف الدين، وأدعو الله أن ينير دربنا ويقوي إيماننا والسعي في خطى المصطفى الكريم، دمتي لي خير زوجة حتى اللحد.

-إلى عائلتي الثانية التي لطالما حلمت التعرف عليها لحسن كرمها وكرم أخلاقها وطيب تقاليدها، أنحني إحتراما لكم.

-إلى روح جدي (رحمه الله) والذي أحمل إسمه (فلتكن بركتك مساري في الحياة) وجدتي (أطال الله في عمرها) التي ترعرعت في أحضانها، تحتل مكانة مرموقة في قلبي.

-إلى كل أفراد عائلتي الكبيرة (كبيرهم وصغيرهم) خاصة: تونسية، مليكة ورشيد وعمتي حجيّة، دون أن أنسى نّا حجيّة.

-إلى خير صلب محفوظ وإسماعيل وكل أفراد قريتي "تاغزا"، وكل الأصدقاء في بوغني ودراع الميزان، والزملاء في الجامعة المتواجدين في أرض الوطن والمتغربون منهم.

-إلى كل عقل مفكر يناضل من أجل التغيير إلى لما هو أحسن حتى لو كانت تكلفة ذلك التضحية بالنفس والنفيس.

-إلى من يحبهم قلبي ولم يذكرهم لساني.

محفوظ.

خطة البحث:

مقدمة

الفصل الأول:

دراسة إستراتيجية في خصوصيات منطقة الشرق الأوسط.

المبحث الأول: الأهمية الجيوبولتكية والجيوإستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط.

المطلب الأول: الأهمية الجيوبولتكية لمنطقة الشرق الأوسط.

المطلب الثاني: الأهمية الجيوإستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط.

المبحث الثاني: تأثير العوامل المعنوية والمادية على منطقة الشرق الأوسط.

المطلب الأول: تأثير العوامل المعنوية على منطقة الشرق الأوسط.

المطلب الثاني: تأثير العوامل المادية على منطقة الشرق الأوسط.

المبحث الثالث: التحولات التي طرأت على منطقة الشرق الأوسط في 2011.

المطلب الأول: مفهوم الربيع العربي والمصطلحات المقترنة به.

المطلب الثاني: الأسباب الداخلية والخارجية للربيع العربي.

الفصل الثاني:

استراتيجيات القوى الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط.

المبحث الأول: الإستراتيجية التركية في الشرق الأوسط.

المطلب الأول: السياسة الخارجية التركية في الشرق الأوسط.

المطلب الثاني: تأثير السياسة التركية على مسار الأزمة السورية.

المبحث الثاني: الإستراتيجية الإيرانية في الشرق الأوسط.

المطلب الأول: السياسة الخارجية الإيرانية في الشرق الأوسط.

المطلب الثاني: تأثير السياسة الإيرانية على مسار الأزمة السورية.

المبحث الثالث: الإستراتيجية الإسرائيلية في الشرق الأوسط.

المطلب الأول: السياسة الخارجية الإسرائيلية في الشرق الأوسط.

المطلب الثاني: تأثير السياسة الإسرائيلية على مسار الأزمة السورية.

الفصل الثالث:

إستراتيجيات القوى الكبرى تجاه منطقة الشرق الأوسط

المبحث الأول: الإستراتيجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط.

المطلب الأول: السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط.

المطلب الثاني: تأثير السياسة الأمريكية على مسار الأزمة السورية.

المبحث الثاني: الإستراتيجية الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسط.

المطلب الأول: السياسة الخارجية الروسية في الشرق الأوسط.

المطلب الثاني: تأثير السياسة الروسية على مسار الأزمة السورية.

المبحث الثالث: الإستراتيجية الصينية تجاه منطقة الشرق الأوسط.

المطلب الأول: السياسة الخارجية الصينية في الشرق الأوسط.

المطلب الثاني: تأثير السياسة الصينية على مسار الأزمة السورية.

خاتمة.

مَقَامَة

تكتسب منطقة الشرق الأوسط أهمية جيوبولتكية وجيواستراتيجية كبيرة ما جعلها محطة أطماع وأنظار العديد من القوى، التي تحاول بسط نفوذها في المنطقة لتحقيق أهدافها ومصالحها الاستراتيجية، ومع اختلاف هذه المصالح وتشابكها، عرفت المنطقة العديد من الصراعات والأزمات انعكست سلبا عليها. فقد شهدت صراعا بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي في إطار الثنائية القطبية، حيث سعى كل طرف لكسب مساحة أكبر وحلفاء أكثر للقضاء على الطرف الآخر، ومع نجاح الولايات المتحدة الأمريكية وانفرادها بالزعامة الدولية عززت وجودها في المنطقة وسعت للحفاظ على مصالحها بكل الطرق والمشاريع والاستراتيجيات وصولا لاستخدام القوة أكثر من مرة لتكريس الأحادية القطبية خاصة في ظل غياب روسيا التي لم يكن لها قدرة تنافسية لما كانت تعانيه من أوضاع داخلية صعبة انشغلت بإصلاحها، ولكن سرعان ما استرجعت قواها ووجهت أنصارها للمنطقة محاولة استعادة علاقاتها ومصالحها من جديد وتزامن ذلك مع صعود الدول الآسيوية وعلى رأسها الصين التي تتادي بالتعددية القطبية وتسعى لأن تكون قوة دولية، ومع غياب فعالية النظام الإقليمي العربي برزت قوى إقليمية على رأسها إيران وتركيا محاولة سد وملاً الفراغ الموجود حملت هي الأخرى مصالح واستراتيجيات سعت لتنفيذها وتحقيقها في المنطقة، وفي إطار كل ذلك بدأت أحداث الربيع العربي التي شهدت من خلالها المنطقة ما لم تشهده لفترة زمنية طويلة ففي محاولة للتخلص من الظلم والتسلط والاستبداد، تصاعدت دعوات بتحسين الظروف الاجتماعية الاقتصادية والسياسية، ومع انحراف وخروج تلك الأحداث عن مسارها الطبيعي، وتحولها إلى أوضاع أفرزت نتائج كانت عكس الإنطلاقة وعكس الأهداف المرجوة خاصة ما آلت إليه سوريا.

دوافع اختيار الموضوع:

لقد تم اختيار هذا الموضوع وفق لمجموعة من الدوافع والمبررات الموضوعية والذاتية تتمثل:

أ-أسباب موضوعية: لما تلقاه هذا الموضوع من اهتمام وانتشار واسع داخل الأوساط الأكاديمية والدراسات السياسية ومراكز البحث، وذلك نظرا لحداثه وعدم اكتماله بعد خاصة فيما يخص الحالة السورية. ندرة الدراسات المتعلقة بالاستراتيجيات الإقليمية والدولية في ظل التطورات الراهنة فإن وجدت تتناول استراتيجية دولة أو دولتين إقليميتين أو دوليتين أو واحدة إقليمية وأخرى دولية لذلك كان لا بدّ من وجود دراسة تشمل جميع الأطراف الإقليمية والدولية التي كان لها دور وتأثير مباشر في أحداث الربيع العربي خاصة في الأزمة السورية.

ب-أسباب ذاتية: إن ميولاتنا الذاتية و الشخصية وحبنا للبحث والتعمق في مجريات أحداث الربيع العربي هي من دفعنا لاختيار هذا الموضوع لمعرفة خفايا هذه الأحداث، وكشف مصالح سياسات واستراتيجيات الأطراف الإقليمية والدولية وأهدافها تجاه منطقة الشرق الأوسط في ظلّ التطورات الراهنة، مما ساعدنا على تنمية مداركنا العلمية حول هذا الموضوع وإضافة ولو بسيطة لخدمة الباحثين والدارسين في هذا المجال، وتوصيل ولو جزءا بسيطا من حقيقة ما يدور في منطقة الشرق الأوسط من أحداث و توظيف مختلف الجوانب النظرية والمعرفية التي استقيناها وتعلمناها خلال مشوارنا الدراسي في العلوم السياسية والعلاقات الدولية عامة وتخصصنا في دراسات اقليمية شرق أوسطية خاصة .

أهداف الدراسة:

البحث في أهمية منطقة الشرق الأوسط الجيوسياسية والجيوبولتكية لفهم التنافس والتنازع القائم بين الأطراف الإقليمية والدولية لبسط نفوذها في المنطقة، وكيف انعكس ذلك سلبا عليها.

- معرفة الجوانب المعلنة والخفية التي تقوم عليها السياسة الخارجية بالنسبة لكل من إيران، تركيا، إسرائيل ونفس الشيء بالنسبة للقوى الكبرى المتمثلة في الولايات المتحدة الأمريكية، روسيا والصين.
- محاولة الوصول إلى أهم المصالح التي تحرك هذه القوى الإقليمية والدولية في المنطقة، وإثبات أن هذا العامل "المصلحة" هو المحرك والموجه للدول في تعاملاتها وتحركاتها والذي يترجم من خلال استراتيجياتها ومشارعها المختلفة.
- معرفة مدى ثبات السياسة الخارجية لهذه القوى ومدى تغيرها وفقا للمستجدات والتحولات التي طرأت على المنطقة منذ نهاية 2010 وبداية 2011.
- التعرف على مختلف المواقف التي تبنتها هذه القوى ومختلف الأدوار التي لعبتها في منطقة الشرق الأوسط في فترة الحراك العربي
- وبعدها، ومدى تأثير هذه الأدوار والمواقف على مسار الأزمة السورية.

إشكالية الدراسة:

تسعى العديد من القوى الإقليمية والكبرى للعب دور مؤثر في منطقة الشرق الأوسط لما تحضاه هذه الأخيرة من أهمية جيواستراتيجية كبيرة، وتضع هذه الدول خطط واستراتيجيات مباشرة أو غير مباشرة علنية أو خفية، تحمل في طياتها العديد من الأهداف والغايات تسعى لتنفيذها ولقد جدد الربيع العربي هذه المساعي والأهداف لما توفره من ظروف ملائمة لاحتضان هذه السياسات والاستراتيجيات خاصة الحالة السورية ومن خلال هذا يمكن طرح الإشكالية التالية:

كيف أثرت إستراتيجيات القوى الإقليمية والكبرى على الحراك في منطقة الشرق الأوسط؟

وتتدرج ضمن هذه الإشكالية الأسئلة التالية:

الأسئلة الفرعية:

1. ما هي مختلف المواقف التي تبنتها القوى الإقليمية والكبرى تجاه دول الحراك العربي؟
2. كيف وظفت هذه القوى أحداث الربيع العربي لتحقيق أهدافها ومصالحها الإستراتيجية القريبة والبعيدة المدى؟
3. كيف انعكست أهداف ومصالح القوى الإقليمية والدولية على مسار الأزمة السورية؟

الفرضيات:

- كلما صاغت القوى الإقليمية والكبرى استراتيجياتها تجاه منطقة الشرق الأوسط، كلما ازدادت المنطقة اضطرابا وتوترا.
- كلما تعارضت المصالح الإستراتيجية الإقليمية والدولية في سوريا، كلما زادت حدة الصراع فيها وطال أمدها.
- حل أو إطالة امد الأزمة السورية مرهون بمصالح الأطراف الفاعلة في هذه الازمة.

حدود الدراسة: نحددها بـ:

- أ-الحدود المكانية: شملت حدود الدراسة المكانية منطقة الشرق الأوسط بالتركيز على الدول التي عرفت أحداث الربيع العربي بداية من تونس، مصر، ليبيا، اليمن وصولا إلى سوريا.
- ب-الحدود الزمنية: ترتبط ببداية الحراك العربي نهاية 2010 وبداية 2011 إلى غاية نهاية 2016، لكن ذلك لم يمنع من العودة إلى ما قبل انفجار الأحداث وهذا لضرورة اقتضتها الدراسة.

الإطار المنهجي: تم توظيف مجموعة من المناهج والتي نوردتها في:

أ- **المنهج التاريخي:** يرى هذا المنهج أن العلاقات الدولية المعاصرة لها جذور وإمدادات تاريخية سابقة ينبغي الإحاطة بها من كافة الجوانب، فالتاريخ وفق هذا المنهج اختبار العلاقة التي تنشأ بين الأسباب والنتائج في السياسة الدولية على قاعدة أن لكل موقف دولي طبيعة وخصائصه المميزة، فالروابط والصراعات والأحقاد التاريخية من بين القوى الرئيسية التي تتحكم في الاتجاهات السياسية للدول، فاستخدام هذا المنهج يؤدي إلى فهم أكبر وأعمق للاتجاهات التي تسلكها تطور العلاقات السياسية بين الدول¹.

لقد تم الاستعانة بهذا المنهج من خلال رصد بعض الأحداث الحالية التي تحمل بعدا تاريخيا فاستراتيجيات ومشاريع بعض الدول كانت منذ زمن طويل، والأسلوب هو الذي يتغير من حقبة لأخرى ومن إدارة لأخرى، كما ساعد على معرفة الدور الذي تريد أن تلعبه بعض الدول في المنطقة، انطلاقا من خلفيات تاريخية، كما تم الاستعانة به في رصد تاريخ العلاقات بين الدول الإقليمية والدولية بسوريا التي ساعدتنا على فهم المواقف التي تبنتها هذه الدول تجاه الأزمة السورية، حيث كان للبعد التاريخي دور بارز في ذلك فكما يقال التاريخ يساعد على فهم الماضي وفهم الماضي يؤدي إلى فهم أفضل للحاضر والحاضر يساعد على التنبأ بالمستقبل.

ب- **المنهج المقارن:** يقوم على التمييز بين الخصائص والصفات المشتركة أو المختلفة بين الظواهر للمقارنة بينهما بهدف الوصول إلى معرفة نقاط التشابه والاختلاف بينهما².

لقد تم الإستعانة بهذا المنهج من خلال المقارنة بين مبادئ السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط لأوباما وترامب، وإبراز أوجه التشابه والاختلاف بين السياستين.

¹- أحمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية (الأردن: دار زهران للنشر والتوزيع، 2010)، ص.35.
²- محمد شلبي، المنهجية في التحليل السياسي للمفاهيم، المناهج، الاقتربات، والأدوات (الجزائر: دار هومة للنشر، 1979)، ص.71.

ج-المنهج التحليلي: يقوم على تعريف وتقويم الأجزاء التي يتكون منها الكل، أي تعريف كل الأجزاء المكونة للموضوع قيد البحث للوصول إلى معرفة جديدة وإدراك أعم وأشمل للموضوع حيث يأخذ المنهج التحليلي أشكالاً ومستويات مختلفة طبقاً لكل موضوع.

وقد تم استخدامه في تحليل أهداف الدول ومصالحها وحاجاتها الذي يساعد على فهم سياستها الخارجية في الشرق الأوسط عامة وفي دول الحراك العربي خاصة سوريا.

د-منهج دراسة الحالة: يقتضي البعض في دراسة وحدة واحدة سواء كانت حالة أو فرد أو منظمة أو نظام سياسي أو دولة... إلخ، وذلك قصد الإحاطة بها وإدراك خفاياها ومعرفة العوامل المؤثرة في تلك الوحدة وإبراز الارتباطات والعلاقات السببية بين أجزاء الظاهرة، كما ينظر إلى الجزئيات على أنها جانب من الحقيقة الكلية¹.

وقد تم الإستعانة بالمنهج أثناء التطرق إلى موقف القوى الإقليمية والدولية من الحراك العربي حيث تم التركيز على الحالة السورية خاصة لإظهار كيف أثرت مواقف هذه القوى على مسار الأزمة السورية.

الإطار النظري: لقد اعتمدت الدراسة على النظريات التالية:

1. النظرية الواقعية: هي الأكثر اتصالاً بالواقع الدولي وتعبيراً عن أوضاعه فالعالم هو عالم الصراع والحرب وأن فكرة المصلحة هي جوهر السياسة وهي لا تتأثر بالظروف الزمنية والمكانية، والمصالح هي أوثق الروابط بين الأفراد والدول، وترى أن المجتمع الدولي صراع مستمر لزيادة القوة واستغلالها بالكيفية التي تمليها مصالحها².

¹ - شلبي، مرجع سابق، ص ص. 71-125.

² - جهاد عودة، النظام الدولي نظريات وإشكاليات (مصر: دار الهدى للنشر والتوزيع، 2005)، ص ص. 21، 22.

لقد تم الإستعانة بها في عرض مختلف السياسات التي تبنتها القوى الدولية والإقليمية تجاه منطقة الشرق الأوسط عامة والمبنية على أساس مصالحها، والصراع والتنافس الذي ظهر بين هذه الأطراف في فترة الحراك الحزبي خاصة في سوريا.

2. نظرية الدور: لقد نشأت نظرية الدور في ظل علم الاجتماع لتحليل سلوك الفرد في الحياة الاجتماعية ونظرا للنجاح الذي حققته تم الاستعانة بها في دراسة الظواهر السياسية من خلال مستويين من التحليل، الأول يتم فيه البحث عن الأدوار السياسية في إطار الأنساق السياسية من الداخل وبحث هيكل الأدوار وتوزيعاتها وتفاعلاتها بين الأنساق الفرعية التي تشكل النسق السياسي ككل. أما على المستوى الثاني يتم فيه بحث الأدوار السياسية في إطار النسق السياسي الدولي والتركيز على أدوار الأفراد المؤثرين في السياسة العالمية، قد يكونون رؤساء دول أو غيرهم¹.

وبالتالي فقد ساعدتنا نظرية الدور في فهم السياسات الخارجية للقوى الإقليمية والدولية في منطقة الشرق الأوسط والأدوار التي تريد أن تلعبها في المنطقة من خلال مبادئها وسياساتها المختلفة ومواقفها من أهم القضايا المحورية في المنطقة وعلى رأسها الربيع العربي.

3. نظرية اتخاذ القرار: تقوم النظرية على أن العلاقات الدولية هي نتاج لفعل صانع القرار وذلك من خلال مجموعة من العوامل الذاتية والموضوعية التي يصنع في ظلها هذا القرار فهي تبحث في المواقف وردود الأفعال والتفاعلات بين الدول ويتم اتخاذ القرارات وفق قياس المتغيرات واختيار الأهداف ورسم إستراتيجية لتحقيق تلك الأهداف.

¹ - مريم مخلوف، "نظرية الدور في العلاقات الدولية"، في:

وقد تم الاعتماد على هذه النظرية في رصد المواقف والقرارات التي اتخذتها القوى الإقليمية والدولية تجاه أهم القضايا الجوهرية في منطقة الشرق الأوسط من قبل وأثناء فترة الربيع العربي¹.

4. نظرية البجعة السوداء: لقد كان أناس العالم القديم على قناعة بأن جميع طيور البجع بيضاء اللون ولكن ظهور البجعة السوداء في أستراليا مثل مفاجأة مدهشة لعلماء الطيور وغيرهم، وتحتل هذه النظرية وقوع حدث غير متوقع يغير كل المخططات ويقلب الموازين وتقوم النظرية على ثلاث منطلقات أنها عرضية تقع خارج نطاق التوقعات المألوفة أي أنها مفاجأة ولها تأثيرات كبيرة وبعد حدوثها تجعلنا نستنتج تفسيرات لها قابلة لإدراك والتوقع أي البحث في أسباب حدوثها، وكأمثلة عن البجعة السوداء إنهيار الاتحاد السوفياتي، أحداث 11 سبتمبر 2001، انتشار الأنترنت، انهيار الأسواق العالمية... إلخ².

مما دفع بنا لإضافة الحراك العربي إلى قائمة البجعات السوداء لتوفره على الشروط فهو حدث مفاجئ أحدثت تغيرات كبيرة وبعد حدوثها تم البحث في أسبابه.

5. نظرية اللعب (المباراة): تستخدم نظرية اللعب في دراسة المسائل الإستراتيجية المتعلقة بالمنافسة والصراع على المكاسب ففي أسلوب منطقي ورياضي يستخدمه رجال السياسة أو الفاعل السياسي من أجل تحقيق أعلى المكاسب وتجنب الخسائر حيث ينظر إلى المنافسة والصراع بين الدول كلعبة، وتفترض هذه النظرية وجود

¹ - النعيمي، مرجع سابق، ص. 127.

² - نسيم طالب (ت: حليم نسيب نصر)، البجعة السوداء تداعيات الأحداث غير المتوقعة (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009)، ص ص. 9، 10.

مجموعة من متخذي القرارات الذين تتداخل أهدافهم والذين يعملون من أجل تحقيقها ويتوفر لكلّ منهم خطط وإستراتيجيات تكون محكومة بالمصالح¹.

تم الاعتماد على النظرية لفهم علاقات ومصالح القوى الإقليمية والدولية في منطقة الشرق الأوسط، وفهم الإستراتيجيات التي رسمتها لتحقيق تلك المصالح والتي ظهرت بشكل كبير في الأزمة السورية.

6. **نظرية الدومينو:** تقوم النظرية على أن وقوع دولة ما في يد قوة كبيرة سوف يؤدي إلى توالي سقوط الدول المجاورة وكأنه بناء أقيم رأسياً فإذا أزيح جزء منه إنهار باقي البناء بالتوالي. استخدمت في الربيع العربي من خلال سقوط الدول والأنظمة الواحدة تلو الأخرى كأحجار الدومينو.

7. **نظرية المؤامرة:** تشمل النظرية على مجالات مختلفة من المخططات السرية، ومؤتمرات مدبرة وأسرار تفسير أحداث تاريخية مهمة والذي قد يظن البعض أنها قد حدثت بطريقة عفوية والتي تكون في حقيقة الأمر مدبرة مسبقاً².

وقد تم استخدام هذه النظرية في معرفة أحداث الربيع العربي إذا ما كانت حقيقة ذات دوافع داخلية بحتة أو كانت مدبرة مسبقاً أي ذات محركات خارجية.

الإطار المفاهيمي:

قبل الشروع في أي بحث علمي لابدّ من القيام بضبط المفاهيم الرئيسية وتكامل أهمية هذه العملية في كونها تسمح للباحث من معرفة المعنى المراد استخدامه فكما نعلم أن لكل مصطلح أكثر من دلالة فالكل ينظر إليه من زاوية معينة مما قد يؤثر على موضوعية

¹ - شلبي، مرجع سابق، ص. 167.

² - حسين خليل، العلاقات الدولية النظرية والواقع، الأشخاص والقضايا (بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية، 2011)، ص. 224.

الدراسة، فضبط المفاهيم تحمي الباحث من الاختلاط في معانيها كما يجنيه الوقوع في العمومية ولذا اخترنا المفاهيم التالية للسيطرة على موضوع البحث.

1. الدور: يعرفه "كال هولستي" "Kal Holisti" بأنه: «تعريفات صناع القرار للأنواع العامة للقرارات والالتزامات والقواعد والسلوكيات التي تصدر عن دولهم، وللوظائف التي ينبغي على أية دولة أن تؤديها على أساس مستمر سواء في النظام الدولي أو النظام الإقليمي».

والدور هو مجموعة من الوظائف الرئيسية التي تقوم بها الدولة في الخارج في فترة زمنية طويلة وذلك لتحقيق أهداف سياستها الخارجية فالدور ليس مجرد قرار أو سلوك بل مجموعة من الوظائف التي تقوم بها الدولة والتي تراعي ثلاث جوانب رئيسية.

- تحديد مركزها في العلاقات الدولية ورسم مجال حركتها بدقة من خلال وصف نفسها إلى أي خانة من الدول تنتمي، عظمى، كبرى، إقليمية، صغرى، ومنه يتحدد توجهها هل هو إقليمي أو عالمي.

- تحديد وضبط دوافع السياسة الخارجية وتوقعها لحجم التغيير الذي يمكن أن يحدثه هذا الدور¹.

2. القوى الكبرى: تتوزع الدول على عدة مستويات حيث تتباين في إمكانياتها وقدراتها الموضوعية والذاتية وهي التي تجعل من هذه الدولة أو تلك قوة كبرى، فهناك من يربطها بالقدرة الاقتصادية والعسكرية، وهناك من يربطها بالقدرة الاقتصادية والتكنولوجية، إلا أن توفر هذه القدرات مجتمعة في أي دولة تعد أساسية، وحالياً

¹ - مخلوف، مرجع سابق.

تتوزع القوى الكبرى على مستويين الأول هي تلك الدول التي تقوم على قدرة عسكرية تقليدية وغير تقليدية وتتمتع بواقع تكنولوجي صناعي اقتصادي متطور ومنها الصين، روسيا الاتحادية، المملكة المتحدة وفرنسا، والتي يطلق عليها القوى الكبرى التقليدية أما المستوى الثاني فهي تلك الدول التي تتميز بقدرات تكنولوجية صناعية اقتصادية مميزة دون أن يصابها على الأقل قدرة عسكرية كالقدرات العسكرية القوى الكبرى التقليدية ومنها ألمانيا، اليابان والتي تسمى بالقوى الكبرى الجديدة أو البازغة¹.

والقوى الكبرى التي تناولتها الدراسة هي الولايات المتحدة الأمريكية روسيا و الصين

3. **القوى الإقليمية:** هي التي تسعى للعب دور فعال ومؤثر في السياسة الإقليمية وتشارك في رسم ووضع الخطط والاستراتيجيات السياسية الاقتصادية الأمنية الآنية والمستقبلية، كما تسخر كل طاقاتها المادية والبشرية لدراسة البيئة الخارجية المحيطة بها لفهم السلوك الدولي والمتغيرات المتسارعة ونقلها لصناع القرار لوضع خطط وبدائل مناسبة تكفل لها البقاء كقوة إقليمية وزيادة فرصة هيمنتها على الإقليم، وغالبا ما تمتلك هذه القوى منظومة عسكرية هجومية ودفاعية تساعد على تحقيق أهدافها وسيطرتها على الإقليم، وغالبا ما تدخل هذه القوى في سباق التسلح فيما بينها لتحقيق مبدأ توازن القوى أو الوصول للتفوق العسكري كما تعمل على مدّ حلفائها بالسلاح وتقوم باستغلال الأزمات والتطورات في إقليمها لإضعاف وإقصاء الآخرين لتبرز أكثر وتحقق أهدافها ومصالحها خاصة البقاء².

¹ - مازن الرمضاني، "كيف تختار القوى الكبرى تحركاتها في عالم متغير"، في:

www.alarabonline.org/?id=68541

² - أحمد سمير القدرة، "القوى الإقليمية وصراع السيطرة والهيمنة"، في:

<http://www.amad.ps/ar/details/163628>

فالصين واليابان وكوريا الجنوبية تمثل قوى إقليمية في شرق آسيا وتمثل ألمانيا وفرنسا قوى إقليمية في أوروبا أما القوى الإقليمية التي سنتناولها الدراسة فهي إيران تركيا وإسرائيل في منطقة الشرق الأوسط.

4. الإستراتيجية: يتميز مفهوم الإستراتيجية بالتطور فمدلولها لا يشير إلى مضمون مطلق وثابت حيث اتصف المفهوم بالنشاط والدينامية.

ترجع كلمة إستراتيجية إلى لفظه "Stratigos" التي تعني باليونانية قائد وقد استخدمت لتعني علم القيادة ويعرفها كلوزفيتش "closfith": «فن استخدام المعارك ووسيلة للوقاية من الحرب، أي أن الإستراتيجية تضع مخطط الحرب، وتحدد التطور المتوقع فيها التي تتألف منها الحرب، كما تحدد الإشتباكات التي تقع في أي معركة».

ويعرفها "طه بدوي": «إن الإستراتيجية والدبلوماسية، في نظرية وحدة السياسة الخارجية، ليست إلا الوجهين المتكاملين لفن واحد، هو فن السياسة».

فالإستراتيجية اقترنت في البداية بالمجال العسكري ولكن بمعناها المعاصر بدأت تحتوي جوانب سياسية اقتصادية اجتماعية ثقافية إعلامية حيث دخلت الإستراتيجية في التخطيط الاقتصادي لتكون الإستراتيجية الاقتصادية وفي التخطيط السياسي لتكون الإستراتيجية السياسية وغيرها¹.

كما تعرف الإستراتيجية أنها حساب الأهداف والموارد لخلق نتائج ذات مزايا أفضل مما يمكن أن تكون عليه وهي فن وعلم تطوير واستخدام القوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والسيكولوجية للدولة بصورة منسجمة مع توجيهات السياسة المعتمدة لخلق تأثيرات ومجموعة ظروف تحمي المصالح القومية وتعززها مقابل

¹ - النعيمي، مرجع سابق، ص ص. 35، 36.

الدول والأطراف الأخرى، وتسعى الإستراتيجية لإيجاد التناسق والتكامل بين الأهداف والطرائق والموارد لزيادة احتمالية نجاح السياسة وتقوم الإستراتيجية بعرض مبرراتها ومنطقها بمصطلحات عقلانية ومتسقة فيمكن وصفها على أنها دليل سياسي لبلوغ الهدف المنشود أي الأهداف والغايات¹.

5. الجيوسياسية "Geopolitic": يجمع المصطلح بين الجغرافية والسياسية حيث يقوم على الدراسة الجغرافية للدولة من حيث سياستها الخارجية، و يبحث عن العلاقة بين السياسة والرقعة الأرضية و تهدف الجيوسياسية إلى تحويل المعلومات الجغرافية إلى ذخيرة علمية يتزود بها قادة الدولة وساساتها².

6. الجغرافية السياسية: تهتم بدراسة العلاقة بين الإنسان والبيئة التي تحيط به وتهتم بدراسة الوحدات السياسية أي دراسة الدولة باعتبارها شخصية دولية تتأثر بظروفها الداخلية من موارد، وسكان ومظاهر سطح، كما تتأثر وتؤثر بما يحيط بها من جيران في منظومة متكاملة، تهدف إلى سد حاجات السكان ويعرفها "باشيون" "Pacione": «تهتم الجغرافيا السياسية بدراسة دور أي عامل جغرافي مؤثر في القرارات والتغيرات السياسية»³.

7. الحراك: يعتبر الحراك السياسي الأكثر تعقيدا حيث يشير إلى كلّ النشاطات السياسية الفردية منها والجماعية وهو جزء من الحراك الاجتماعي والذي يهدف إلى الانتقال أو التحرك من موقف سياسي إلى آخر ومن رؤية سياسية إلى أخرى ومن تحالف معين

¹ - هاري أربارغر (ت: محرز علي راجح)، الإستراتيجية ومحترفوا الأمن القومي التفكير الإستراتيجي وصياغة الإستراتيجية في القرن الحادي والعشرين (الإمارات: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2011)، ص 16، 17.

² - محمد أزهر السماك، الجغرافيا السياسية بمنظور القرن الواحد والعشرين بين المنهجية والتطبيق (الأردن: دار البازوري للنشر والتوزيع، 2011)، ص 12.

³ - حسن خليل، الجغرافيا السياسية، دراسة الأقاليم البرية والبحرية والدول وأثر النظام العالمي في متغيراتها (بيروت: سنتر حمادي، 2006)، ص ص 15-17.

إلى تحالف آخر يتجه نحو تفاعل شعبي وسياسي واجتماعي لإبراز قضية سياسية واجتماعية في المجتمع والنضال من أجلها بغض النظر إذا كان هذا الانتقال أو التحول يخدم السلطة ويرضيها أو يخالفها، فالحراك السياسي هو في الأصل حراك اجتماعي كما أنّ الحراك السياسي يشير إلى حالة من الجمود والتدهور التي فرضت على المثقفين والتيارات والجماعات والقوى السياسية المختلفة كونها الأكثر وعياً وحيوية في المجتمع فتتحرك لتقدم بعض التصورات البديلة والممكنة، فالحراك بهذا المعنى يتضمن تصاعد المطالب ويرتبط بظرف استثنائي يجعل له معنى خاصاً¹.

8. الشرق الأوسط: إن الاستعمار الأوروبي في وضع خطته لتقسيم مناطق النفوذ في آسيا وإفريقيا أوجد ثلاثة مصطلحات الشرق الأدنى، الشرق الأوسط، والشرق الأقصى، وذلك انطلاقاً من قرب أو بعد هذه المناطق عند أوروبا حيث أطلقوا على المناطق البعيدة عن أوروبا والممتدة من الهند غرباً بالشرق الأقصى، وعلى المناطق القريبة من شرق البحر المتوسط "الشرق الأدنى"، وأصبحت المنطقة التي تتوسط الشرقين الأقصى والأدنى تعرف بمنطقة الشرق الأوسط ولكن اختلفوا في تعيين حدودها.

لقد تحدث الضابط البحري البريطاني "ألفريد ماهان، Alfred Mahan" في مقال له في سبتمبر 1902 ليدل به عن المنطقة الواقعة بين الهند وشبه الجزيرة العربية ومركزه الخليج العربي.

تعتبر المنطقة من أغلى المناطق في العالم بالنفط والمعادن وتتمتع بموقع إستراتيجي هام بين القارات الثلاث أوروبا آسيا وإفريقيا وتشمل بلدان شبه الجزيرة العربية والفرات وإيران شرقاً ومن سوريا شمالاً إلى اليمن جنوباً، وعرفه آخرون بأنه يضم جميع الدول الأعضاء في

¹ - علي الزغبى، السياسات التنموية وتحديات الحراك السياسي في العالم العربي: حالة الكويت (الكويت: مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، 2015)، ص ص. 27، 28.

الجامعة العربية وإيران، ويضم إليه المتخصصون في الولايات المتحدة الأمريكية: إثيوبيا باكستان وأفغانستان والدول الإسلامية المستقلة حديثاً في آسيا الوسطى، ولم تستقر بعد البلدان التي يشملها الشرق الأوسط إذ يعمل الإستراتيجيون على توسعه ليشمل كل البلدان العربية ما عدا (السودان، الصومال) باكستان وجمهوريات آسيا الوسطى.

فالشرق الأوسط صعب التحديد فهو هلامي القوام، يتسع ويضيق على خريطة العالم حسب التصنيف أو الهدف الذي يسعى إليه باحث في مجال من مجالات العلوم أو التصنيف الذي تتخذه هيئة خاصة أو دولية أو وزارة من وزارات الخارجية في العالم¹.

أدبيات الدراسة:

- كتاب لأحمد سعيد نوفل وآخرون، بعنوان "التداعيات الجيوإستراتيجية للثورات العربية"، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014. عرض الكتاب البنية الجيوسياسية في الوطن العربي ومشروع الشرق الأوسط الكبير كنموذج عن الاختراق وإعادة التشكيل في المنطقة وعرض التغيرات الجيوإستراتيجية التي طرأت في المنطقة أثناء الربيع العربي، خاصة مع وصول الأحداث إلى سوريا وما أفرزته هذه الأحداث من اختلاف في مواقع اللاعبين الإقليميون والدوليون كما عرضت أهداف الولايات المتحدة الأمريكية وإستراتيجياتها في المنطقة وكذلك العلاقات العربية الأوروبية حتى بداية الربيع العربي والسلوك الصيني الروسي إزاء موجة الربيع العربي والأهداف والمصالح الإيرانية التركية الإسرائيلية في المنطقة. وصولاً إلى أن الربيع العربي بعد جيواستراتيجي مهم خاصة الأزمة السورية التي أظهرت تفاعلات بين النظاميين الإقليمي والدولي من خلال تقاطع واختلاف المصالح لكل هذه الأطراف.

¹ - حسين غازي، الشرق الأوسط الكبير بين الصهيونية العالمية والإمبريالية الأمريكية (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2005)، ص ص. 10-12.

- دراسة مروان قبالان "المسألة السورية واستقطاباتها الإقليمية والدولية دراسة في معادلة القوة والصراع على سورية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015. تنطلق الدراسة من أن الأزمة السورية شكلت مدخلا لإعادة رسم تحالفات المنطقة وتوازناتها والتي بدأت بأزمة داخلية وسرعان ما تحولت لصراع إرادات إقليمية ودولية غلبت عليها الحسابات الجيوسياسية ما أثر على مسار حل الأزمة وإثبات أن موازين القوى هي العامل الحاسم في بناء التحالفات وتوجيه السياسات الخارجية للدول وتحديد علاقاتها مع الفاعلين على المستوى الإقليمي والدولي، كما أن الجيوسياسي مازال العامل الحاسم في رسم سياسات الدول بدلا من الجيواقتصادي والأحداث الأخيرة في الشرق الأوسط أكدت ذلك. انتهت الدراسة على أن الحالة السورية أكثر تعقيدا عن مثيلاتها في إطار الربيع العربي بسبب موقعها الجيوسياسي المهم والصراع والتنافس الإقليمي والدولي على سوريا سيكون له الأثر الحاسم في تجديد مآل الأزمة ومساراتها المستقبلية.
- دراسة علي حسين باكير، الثورة السورية في المعادلة الإيرانية-التركية المأزق الحالي والسيناريوهات المتوقعة، "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات" الدوحة، 2012. انطلقت الدراسة من عرض كل من الموقف الإيراني والتركي من الثورة السورية والخطوات التي اتخذتها كل منهما إزاء النظام السوري ومحددات هذين الموقفين التي جاءت انسجاما مع سياسة وأهداف كل طرف ما خلق توترا شديدا في العلاقة بين إيران وتركيا. وانتهت الدراسة من خلال تقديم سيناريوهات محتملة تعرض مصير النظام السوري إما بسقوطه أو بقاءه وانعكاسات ذلك على إيران وتركيا.
- دراسة للباحث محمد واضح، بعنوان "الرهان السوري في العلاقات الروسية الأمريكية"، رسالة ماستر غير منشورة، جامعة الجزائر، قسم الدراسات العسكرية والإستراتيجية، 2013-2014. هدفت الدراسة لعرض طبيعة العلاقات الروسية-الأمريكية من نهاية

الحرب الباردة إلى بداية الأحداث في سوريا وإبراز المكانة التي تحظى بها منطقة الشرق الأوسط في الإستراتيجيتين الروسية والأمريكية، وموقع سوريا ضمن هتين الإستراتيجيتين، خاصة بعدما تحولت إلى ساحة تنافس دولي، ومحاولة فهم طبيعة المصالح الروسية والأمريكية في المنطقة، وكيف انعكس ذلك على مواقفها في الأزمة السورية وتأثير ذلك على مسارها. وخلصت الدراسة إلى أن سوريا تمثل رهانا للعلاقات الروسية الأمريكية والتي تمثل صراعا جيوبوليتيكي كبير بين القوة البرية (روسيا)، والقوة البحرية (أمريكا) بهدف تحقيق العالمية فروسيا تمثل رهان حقيقي للعلاقات بين البلدين على المستوى الجيوبوليتيكي والمستوى الأمني والمستوى الاقتصادي.

• دراسة وليد عبد الحي "محددات السياستين الروسية الصينية تجاه الأزمة السورية، مركز الجزيرة للدراسات 2012. انطلقت الدراسة من التحولات التي طرأت على الدبلوماسية الصينية والروسية بشأن المسألة السورية التي اعتبرت كبداية لنهاية التفرد القطبي وبداية مرحلة التعدد القطبي وعرضت العلاقات السورية-الروسية وأهمية سوريا الإستراتيجية بالنسبة لروسيا التي صاغت مواقفها المختلفة انطلاقا من ذلك وكذلك محدّدات الموقف الصيني من الأزمة السورية ومختلف التفاعلات الدولية في هذه الأزمة. وانتهت الدراسة برصد ملامح الصورة المستقبلية التي تتمحور حول الأبعاد المحتملة للأزمة السورية.

إن ما يعاب في هذه الدراسات هو تركيزها على الأزمة السورية فقط فصحیح أن هذه الأخيرة هي المتضررة بشكل كبير من أحداق الربيع العربي وتستدعي دراسة واهتمام أكبر، لكن رصد الأحداث في الدول التي بدأ منها الحراك لا يقل أهمية بل يساعد على فهم وتفسير الأهمية والمكانة الجيوسياسية لسوريا بحكم نهاية الأحداث ووضوحها في هذه الدول إلى أنها

لا تزال مستمرة في سوريا وهذا ما يفسر أكثر الدور والأهمية التي تحظى بهما سوريا على المستوى الإقليمي والدولي.

إن معظم الدراسات التي تناولت الأزمة السورية تناولتها بشكل جزئي فمنها من عرض الأدوار والمواقف الإقليمية، ومنها من تناول الأدوار والمواقف الدولية، وهناك من اهتم بدور قوتين دوليتين، أو إقليميتين وهناك من ركز على قوة إقليمية وأخرى دولية، لذا فهي فشلت في الربط بين مختلف تفاعلات الأدوار الإقليمية والدولية وتأثيرها على هذه الأحداث وهذا ما سنتبناه دراستنا.

كما أن ما يعاب على هذه الدراسات هي الفترة الزمنية والتي تبدأ عادة ببداية أحداث الربيع العربي والتي تنتهي غالبا في 2015 أي التدخل العسكري الروسي في سوريا وبالتالي لم ترصد مختلف التطورات التي طرأت على مسار الأزمة السورية.

تبرير الخطة:

كمحاولة منا لتغطية جميع جوانب الموضوع محل الدراسة شملت الخطة مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

خصصنا الفصل الأول لدراسة منطقة الشرق الأوسط من خلال التطرق إلى الأهمية الجيوبولتكية والجيواستراتيجية للمنطقة ومعرفة مختلف العوامل المادية والمعنوية المؤثرة عليها، ثم التطرق إلى أهم التحولات التي طرأت على المنطقة منذ 2011 أي فترة الربيع العربي والبحث عن المصطلح الأقرب والأنسب للأحداث التي شهدتها المنطقة ومختلف المحركات الداخلية والخارجية التي كانت وراء ذلك.

ويأتي الفصل الثاني لدراسة إستراتيجيات القوى الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط والمتمثلة في كل من تركيا إيران إسرائيل وذلك من خلال التطرق إلى الأهمية التي تحظى بها منطقة الشرق الأوسط في السياسة الخارجية لهذه الدول وأهم مصالحها في المنطقة

ورصد مواقفها من الحراك العربي عامة و تأثير هذه السياسات على سوريا خاصة وذلك من خلال عرض العلاقات بين هذه القوى الإقليمية بسوريا، لفهم وإدراك الموقف الذي تبنتها تجاهها وما هي تداعيات ذلك على مسار الأزمة السورية.

ونفس الشيء بالنسبة للفصل الثالث ندرس فيه إستراتيجيات القوى الكبرى في منطقة الشرق الأوسط والمتمثلة في كلّ من الولايات المتحدة الأمريكية روسيا والصين، من خلال ذكر الأهمية التي تحظى بها المنطقة في السياسة الخارجية لهذه الدول وأهم مصالحها في المنطقة ورصد مواقفها من الحراك العربي عامة وسورية خاصة من خلال عرض العلاقات التي تجمع هذه القوى الكبرى بسوريا لفهم مواقفها تجاه الأزمة، وما هي تداعيات ذلك على مسار وحل الأزمة السورية.

الفصل الأول:
دراسة إستراتيجية في
خصوصيات منطقة الشرق
الأوسط

لقد تناولت العديد من النظريات الجيوبولتيكية الأهمية التي تحضى بها منطقة الشرق الأوسط، فوفقا للنظريات التي تناولت قلب العالم، فإن السيطرة على الشرق الأوسط يعني السيطرة على العالم، نظرا لما تحتويه من خصائص جيوسياسية وجيواقتصادية كبيرة، فهي همزة وصل بين قارات العالم الثلاث، آسيا، أوروبا وإفريقيا، وتشرف على أكبر مجموعة مائية من البحار والعديد من الأنهار الهامة، كما تحتوي على أكبر مواقع المرور الدولية، ما جعلها ممرا حيوي مهم للتجارة العالمية، كما تحضى بأهمية اقتصادية كبيرة فهي من أغنى مناطق العالم بالموارد الطبيعية، تصديرا واحتياطاً، بالإضافة إلى أهمية حضارية ثقافية كبيرة، وفي إطار كل ذلك تحولت المنطقة إلى ساحة تنافس جيواستراتيجي لتوفرها على كل الشروط التي قد تجعل من أي دولة تسيطر عليها تصبح دولة عظمى، وقد شهدت المنطقة على إثر ذلك العديد من الصراعات والأزمات.

ومع بداية 2011 عرّفت المنطقة حقبة جديدة، وشهدت فترة حساسة والتي اعتبرت منعطفا حاسما حمل في طياته العديد من المتغيرات الجذرية على كافة المستويات السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، فبداية بمجرد مطالب تتادي بالتغيير، وإطلاق الحريات وتحقيق الديمقراطية والعدالة والمساواة، مرورا بأحداث استخدم فيها العنف والترهيب وصولا إلى إسقاط دول وتدميرها ، كانت أسبابه عدة عوامل داخلية وخارجية.

المبحث الأول: الأهمية الجيوبوليتيكية و الجيوستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط.

المطلب الأول: الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة الشرق الأوسط.

إن ما يحدث في منطقة الشرق الأوسط من تفاعلات بين القوى الكبرى يمكن تفسيره بالعودة إلى العديد من المقاربات الجيوبوليتيكية والتي تتلخص فيما يلي:

1-القوى القارية في الجيوبولتيك:

جوهر هذه الفكرة أن للقوى القارية أفضلية تمكنهم وتؤهلهم لتحقيق السيطرة العالمية، والتي تتلخص أفكار كل من:

أ-فريدريك راتزل "F.Ratzel 1844-1904:

يعتبر راتزل أب الجيوبولتيك حتى لو لم يستخدم هذا المصطلح في أعماله، فقد كتب عن الجغرافية السياسية، وأوضح أن الدول كائنات حية تعيش في هذه الطبيعة في صراع دائم للحصول على مساحات أكبر لتكفل لها البقاء عندما تكبر، ورغم أن القانون الدولي يتحدث عن الحدود الثابتة والمرسومة إلا أن الفعل السياسي يتحدث عن الحدود البيولوجية والشفافة، فالحدود البيولوجية حدود متحركة تعتمد على احتياجات الدولة، فكلما كبرت ونمت إزداد حجمها لها الحق في زيادة رقعتها على حساب الدول المحيطة حتى باستخدام القوة، ثم استبدل هذا المفهوم بفكرة الحدود الشفافة، الذي تمتد فيه حدود الدولة إلى حيث تقف مصالحها، وهذه هي الذريعة التي تستند إليها القوى العظمى في العالم، أي لحماية مصالحها فتتدخل بذلك في أي نزاع داخلي للدول¹.

ولقد قدم راتزل في كتابه الجغرافيا السياسية 1897 طرق سلمية لنمو الدولة أطلق عليها "قوانين النمو المساحي" أو قانون التوسع:

¹ - خليل، مرجع سابق، ص.24.

- تنمو مساحة الدولة بنمو حضارتها وانتشار لغتها أو دياناتها، فالانتشار الحضاري قد يؤدي لترايط عقائدي ونفسي بين الدول قد يكتمل لترايط سياسي، فالدولة التي لها تجانس لغوي، ديني بين سكانها يسهل عليها أن تمتد للدولة الجارة، بطرق دبلوماسية أو عسكرية.

- كلما ضمت ودمجت الدولة وحدات أصغر إزدادت قوة وهيمنة، سواء كانت قوتها في الموارد، أو المساحة، أو حجم السكان، أو العتاد العسكري، وتهيمن الدول الكبرى على الوحدات الصغيرة، وتظهر هذه الأخيرة التبعية والرغبة في الدخول في تكتلات اقتصادية أو سياسية أو عسكرية مع الدول الكبرى.

- إن الدولة في نموها تسعى لضم المناطق ذات قيمة اقتصادية، أو موقع استراتيجي هام مما يزيد ميزات لقوتها وهذا ما أثبتته التاريخ والدول المستعمرة اتجهت إلى سواحل البحار والمناطق ذات البعد الاستراتيجي، ومناطق خصبة، ومناطق الانتاج المعدني.

- تتقل الدول الكبرى أفكار الوحدة والنمو للوحدات الصغيرة التي غالبا ما تكون ذات جذور ثورية، وتبرز فيها شخصية قيادية، كما أن هذه الدول الكبرى في سعيها لتوسيع مساحتها تؤدي إلى صراع فيما بينها حول المناطق الاستراتيجية والذي ينعكس بالسلب على الوحدات السياسية الصغيرة، كما أن الميل للتوسع والضم يزداد ويشتد وينتقل من دولة لأخرى¹.

إنّ راتزل أول من درس وعالج المكان والموقع معالجة أصولية مقارنة بين الدول، فأوجد روابط بين المساحات القارية الكبيرة للدول والقوة السياسية، فالمسطح الكبير هو طاقة سياسية إذا ما حسن استخدامها، لما تنتجه من موارد تساهم في نشأة وتدعيم القوى السياسية، ففي كتابه "خرائط مدن الشمال الأمريكي وحضاراته 1874"، أشار راتزل إلى إحساس الولايات

¹ - المرجع نفسه، ص ص. 25-27.

المتحدة الأمريكية بالتوسع، حيث تعيش الدول الكبرى في تطورها الإحساس والميل إلى التوسع الجغرافي، والذي سيبلغ مستوى الكرة الأرضية، فتاريخ السياسة العالمية في القرن 20 ستسيطر عليه دول ذات امتدادات ضخمة كالولايات المتحدة الأمريكية، روسيا، استراليا، وستتراجع دول أوروبا خاصة تلك التي لها مساحات صغيرة وموارد محدودة¹.

من خلال ما قيل يتضح أن أفكار راتزل حول التوسع هي حتمية ضرورية لنمو الدول وتطورها، حتى باستخدام القوة، حيث يعطي الشرعية للدول الكبرى لكي تسيطر على الدول الضعيفة أو الصغيرة خاصة التي لها بعد إستراتيجي مهم.

لقد تعرضت أفكار راتزل للنقد والجدل خاصة فكرة الجغرافية الحتمية ومنهم "هاسنجر" Hassinger، الذي يرى أن للمكان دورا هاما إلا أنه ليس العامل الوحيد الذي يجب أن تنتظر إليه الجغرافيا السياسية حيث يضيف إلى المكان العوامل البشرية التي تلعب دورا في الأوضاع السياسية للدولة، ويرى "أوفريك" Overback، أنه قد طغت على أفكار راتزل أن الدولة كائن مربوط إلى الأرض، حيث يعالج موضوعات الدولة مشكلاتها، على أساسها مناهج البحث في العلوم الطبيعية، لهذا ظهر المكان الطبيعي عند راتزل على أنه العامل الأساسي وحجر الزاوية في الجغرافيا السياسية².

ب- هالفورد ماكندر "HALFORD MACKINDER 1861-1947:

ارتبط ماكندر بنظرية قلب الأرض "ففي مقالة للجريدة الجغرافيا عام 1954، حدد فيها المركز السطحي للظواهر الجيوسياسية ووضع نسقا تصوريا للعالم على أنه وحدة

¹ - عدنان صافي، الجيوبولتيكا الجغرافيا السياسية من النشأة إلى الحداثة (عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، 2010)، ص.73.

² - المرجع نفسه، ص ص. 24، 25.

سياسية واحدة قابلة للتحكم، كما حاول تقديم مفاتيح اللعبة السياسية الكبرى وكيفية إدارتها، يرى ماكندر أن قلب الأرض، الذي هو في السياسة العالمية "الأوراسيا، أوروبا، وآسيا" حيث أن هذه المنطقة الأكثر أهمية ضمن حدود الجزيرة العالمية "World Island"، وتتدخل في هذه الجزيرة العالمية، آسيا، إفريقيا، أوروبا¹ والمنطقة الوسطى لهذه الجزيرة العالمية هي نقطة الارتكاز "Pivot Area"، وعدلها فيما بعد لمنطقة السويداء "Hertland" والتي تمتد من نهر الفولغا غربا في روسيا، إلى شرق سيبيريا، ومن المحيط المتجمد الشمالي إلى هضاب إيران وأفغانستان وبلوجستان في الجنوب، وهناك هلال داخلي أو حدي "Inter Crescent" يحيط بقلب العالم ويتضمن شرق أوروبا، وجنوب غرب آسيا خارج الأراضي الإيرانية والهند وجنوب شرق آسيا، ومعظم الصين، ويمثل الهلال الداخلي منطقة ذات حضارة وكثافة، وهذا ما يتفق مع الفرضية القائلة أن الحضارة ظهرت لأول مرة على ضفاف الأنهار أو البحار، وتمثل هذه النظرية لحظة جوهريّة بجميع النظم الجيوبولتيكية، فالتقاطع بين المدارات المائية والبرية يمثل عاملا أساسيا في تاريخ الشعوب والدول، وهناك هلال خارجي أو جزيري "Oute-crescent"، ويضم الأمريكيتين الشمالية والجنوبية، والجزء الجنوبي من إفريقيا وأستراليا².

ومن هنا صاغ ماكندر نظريته "من يسيطر على أوروبا الشرقية (بيلاروسيا، وإستونيا، ولاتفيا وليتوانيا ومولدافيا وأوكرانيا) يستطيع أن يسيطر على قلب العالم، ومن يسيطر على قلب العالم، يسيطر على الجزيرة العالمية، ومن يسيطر على الجزيرة العالمية (أوروبا، آسيا، إفريقيا)، يسيطر على العالم"، ومن هنا تولدت ثنائية الصراع بين قوى البر (ألمانيا وروسيا)، مع قوى البحر (أمريكا الشمالية، بريطانيا، واليابان)، حول السيطرة على الجزيرة العالمية حيث رأى أن صراع العالم هو صراع بين قوى البر، والبحر، والغلبة ستكون للدول البرية.

¹ - جاسم سلطان، الجغرافيا والحلم العربي القادم جيوبولتيك عندما تتحدث الجغرافيا (بيروت: دار تمكين للأبحاث والنشر، 2013)، ص. 61.

² - خليل، مرجع سابق، ص. 320.

لقد تخوف ماكندر من نشوء دولة قوية في "Hertland"، تتمكن من تكوين إمبراطورية عالمية، وتصبح قاعدة برية، بحرية و جوية إذا ما اتحدت ألمانيا وروسيا، سواء بالاتفاق أو الغزو، حيث أنه لم يعطي أهمية لأمريكا، إلا أنه في تعديله 1943 أعاد صياغة أفكاره، وتكلم عن المحيط الأطلنطي الشمالي على أنه المحيط المتوسط أو الأوسط "Midl and Ocean" حيث ربط أراضي أوروبا الغربية وشمال غرب إفريقيا بمعظم مناطق العمران في الولايات المتحدة، وكندا وأمريكا الوسطى والكاريبي وفنزويلا في وحدة جديدة هي إقليم الأطلنطي الشمالي، فهذا الإقليم أهمية مماثلة للهرتلاند وقوة منافسة له¹، كما أضاف مناطق جديدة، فمدّ من حدود "Hertland"، وما يميز هذه الأخيرة كونها منطقة سهلية وقلعة دفاعية، محاطة من الشمال بمسطح مائي متجمد يشكل منطقة حماية لها، كما أشار لمنطقة ارتكاز أخرى سماها بالقلب الجنوبي، وتضم إفريقيا جنوب الصحراء، وتفيض مياهه من الهضاب الداخلية نحو كل من النيجر، الكونغو، الزمبيري، والأولانج، واللمبوبو، وتتصل المنطقتان عبر الدول العربية التي تمتد من النيل غربا إلى ما وراء الفرات شرقا.² وقام بإخراج حوض لينا (سيبيريا الشرقية)، من الهرتلاند لقلّة أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية، كما أدمج في قلب العالم، التبت وأعالي أنهار الصين والهند، وأضاف أوروبا الوسطى، لأنها ذات قيمة إستراتيجية، كما أخذ بعين الاعتبار استخدام وسائل النقل والنمو السكاني والصناعي، فأضاف البلطيق والبحر الأسود إلى قلب العالم، فقد نقل ماكندر الأهمية الجيوبولتكية للهرتلاند من مجرد الاعتماد على الموقع وتكتل الأراضي وسهولة الحركة للقوى القارية إلى الاعتماد على الناس والعمران والموارد والخطوط الخلفية للحركة³، من محاسن ماكندر أنه كان دائم التغيير في حدود قلب العالم، حيث كان يدرك أن استغلال الإنسان لمحيطه الطبيعي كان دائم التغيير، إلا أنه تعرض للنقد، منه من رأى أن الهرتلاند ليس

¹ - صافي، مرجع سابق، ص. 78.

² - خليل، مرجع سابق، ص. 320.

³ - صافي، مرجع سابق، ص ص. 76-78.

مؤهلاً لحكم العالم. فتوسط الهرتلاند يجعله عرضة للهجوم، جواً، فسلح الطيران يقلل كثيراً من أهمية موقعها الجغرافي، في حين اعتبر "مينج Mining" أن ماكندر لو يوفق في تحديد "Hertland" والهالين طبقاً لمعيار الموقع بالنسبة لليابس والماء، فمن الأجدر لو حدده على أساس المعيار الحضاري كونه أكثر ثباتاً، كما أنه قد طرأت على العالم أحداث في عصرنا الحالي تلغي آراء ماكندر منها ما تشهده منطقة الخليج العربي والشرق الأوسط عامة، ومناطق جنوب شرق آسيا، وهزيمة الأمريكان في الفيتنام، وظهور الصين كقوة تحظى بمرتكزات طبيعية وبشرية تؤهلها لأن تكون قوة عالمية مؤثرة في منطقة الهلال الداخلي¹.

ج-كارل هاوسهوفر "HAUSHOFER" 1869-1946: ومدرسة ميونيخ:

لقد تأثر هاوسهوفر بأراء راتزل وماكندر، وفي سنة 1924، أسس معهد ميونيخ للجيوپوليتكا، والخطورة في فلسفته السياسية هي الدعوة للتوسع الألماني والصراع والحرب الشاملة، واستخدام القوة، وهناك ثلاث مبادئ تحدد الإستراتيجية العامة لمدرسة ميونيخ، والتي تتجلى في أفكار هاوسهوفر: مبدأ الدولة العملاقة أو الكبرى التي دعى إليها راتزل، مبدأ الجزيرة العالمية التي طورها ماكندر، مبدأ إزدواجية القارات واحدة في الشمال وأخرى في الجنوب، وتكونان معا كتلة إقليمية قارية ذات اكتفاء ذاتي، حيث تقدم الشمالية المصنعان، وتكون الجنوبية مجالها الحيوي في إنتاج الخامات والتسويق وقد قدمت مدرسة ميونيخ مفهوم الأقاليم الكبرى "Pan Region" للسيطرة على القارات وهي: أمريكا الكبرى وتضم كل دول الأمريكيتين بزعامة الولايات المتحدة، أوروبا و إفريقيا، وتضم كل أوروبا عدا الاتحاد السوفياتي، وكل إفريقيا والعالم العربي الآسيوي وتركيا، تحت زعامة برلين وروما، روسيا الكبرى وتضم معظم الاتحاد السوفياتي، عدا شرق سيبيريا، وإيران، أفغانستان والهند كلها، وباكستان.

¹ - خليل، مرجع سابق، ص.324.

آسيا الشرقية الكبرى وتضم اليابان، شرق سيبيريا الاتحادية والصين، وجنوب شرق آسيا وبورما وأندونيسيا وأستراليا ومعظم عالم المحيط الهادي تحت زعامة اليابان، وكل هذه الأقاليم الكبرى تسير وفق إزدواجية القارات، ولم يتمكن من إيجاد صيغة التوازن اللازمة بين أقاليمه الكبرى الثلاثة في العالم القديم (أوروبا، إفريقيا، وروسيا الكبرى، وآسيا الشرقية الكبرى)، وبين العالم الجديد (أمريكا الكبرى)، لذا يرى ضرورة اتحاد كل من أقاليم العالم القديم للوقوف والتساوي مع العالم الجديد¹.

كما أخذ هاوسهوفر عن راتزل أن الدولة كائن حي، وشخص الأمراض التي تشكو منها الدولة السكانية، الاقتصادية، العسكرية فالتوسع هو العلاج لهذه الأمراض، كما قدم مبدأ الكفاية الاقتصادية للدولة والتي تتوفر لديها عددا كبيرا من السكان، ونسبة مواليد مرتفعة، وتشابه بين دم السكان (السلالة) وتوازن بين سكان الريف والمدن، وهذه كلها تشكل عوامل القوة بالنسبة للدولة، كما أن هذه الأخيرة حتى تحقق إكتفائها الذاتي لا بد من أن تمتد إلى مسطحات كبيرة في اليابسة في صورة اقتصاد كبير حيث يقول أوتوماول: «أن التغلغل الاقتصادي الكامل له تماما نفس الآثار المترتبة على الاحتلال العسكري»، كما ترى مدرسة ميونخ أن للعواصم تأثير نفسي على الشعوب، فالعاصمة دليل قوة واستقرار الدولة، لذا على الدول نقل عواصمها من مكان الخطر إلى مناطق أكثر أمانا مثلما نقلت تركيا عاصمتها من أسنبول إلى أنقرة، والعاصمة الباكستانية من كراتشي إلى إسلام آباد، والعاصمة البرازيلية من ريوديجانيرو إلى برازيليا.

كما تولي المدرسة اهتماما للقوى البرية عن غيرها، لأنها تستولي على المجالات الأرضية، فيرى هاوسهوفر أن كل من القوات البحرية والجوية مكملتان للقوة البرية، و يرى ان القواعد الحربية تفقد قيمتها الاستراتيجية فالمناطق التي تقع فيها هذه القواعد اكبر قيمة

¹ - صافي، مرجع سابق، ص ص. 85-89.

واهمية فالتحكم في قناة السويس دون مصر تصبح قليل الأهمية، ويرى أن نفوذ الدول المتنافسة تنتهي في مناطق حساسة هي "مناطق الاحتكاك"، وغالبا ما تبدأ فيها المعارك السياسية والعسكرية، كما يؤمن أن حياة الدول الكبيرة أما الصغيرة فمصيورها الزوال، ومصير العالم هو لثلاث حكومات هي الولايات المتحدة في الغرب، اليابان في الشرق، وألمانيا في أوروبا وإفريقيا، وعلى ألمانيا أن تبتلع الدول الصغرى غرب وشرق ألمانيا للسيطرة على أوروبا القارية، حتى باستخدام القوة كما يرى أن أوروبا بما فيها شرق أوروبا السلافية (بولندا تشكوسلوفاكيا، والبلقان)، عليها الاتحاد تحت زعامة ألمانيا لتصبح قوة تفاوضية مع الاتحاد السوفياتي، حول مصير الاوراسيا.

لقد تعرضت المدرسة لانتقادات، كونها مليئة بالتناقضات الجغرافية فهي مخططات نظرية أريد لها التطبيق بالقوة العسكرية وحدها، كما أن العنصر الثالث الذي وضعه هاوسهوفر وزملائه كمقومات الدولة القوية أي التشابه التام للسلالة، يعبر عن منطق عنصري يرتبط بسيادة الشعب الجرمانى، لذا فهو مؤيد للعنصرية النازية¹.

2- القوى البحرية في الجيوبوليتيك:

على عكس راتزل وماكندر وهاوسهوفر، نجد مجموعة أخرى من الجيوبوليتيكيين الذين يرون أن للقوى البحرية أفضلية تمكنهم من السيطرة العالمية، وتتلخص في أفكار كل من:

أ- ألفريد ماهان "Alfred Mahan" 1840-1914:

¹ - المرجع نفسه، ص ص. 90-96.

يرى الاستراتيجي الأمريكي ماهان أن القوة البحرية هي الحضارة الأسمى، والمهيأة للسيطرة العالمية، والقوة البحرية تعني عنده القوة العسكرية، التي يمكن نقلها بالبحر إلى المكان المطلوب وتحليل موقف الدولة ووضعها الجيوبولتيكي يجب أن يتم على أساس ستة بنود:

1. **الموقع الجغرافي للدولة:** بمعنى موقعها البحري وانفتاحها على البحار أي إذا كانت أحادية الموقع أي تطل على بحر واحد، أو إثنين أو أكثر، مع مراعاة صلاحية هذه البحار للملاحة، وإمكانية إجراء اتصالات بحرية مع الدول الأخرى، ومدى امتداد الحدود البرية والقدرة على بسط النفوذ والسيطرة على المناطق الإستراتيجية، وتهديد أراضي العدو بأسطولها¹.

2. **الهيئة الفيزيائية للدولة:** أي هيئة الشطآن البحرية، وإعداد الموانئ المتموضعة عليها.

3. **امتداد مساحة الأراضي:** التي تعادل امتداد الخط الساحلي.

4. **العدد الإحصائي للسكان:** يرتبط بقدرة الدولة على بناء السفن وخدمتها.

5. **الطابع القومي:** مقدرة الشعب على العمل بالتجارة، فالقوة البحرية تعتمد على التجارة السلمية الواسعة، فلبناء قوة بحرية لابد من معرفة مدى رغبة السكان وميولهم لركوب البحر.

6. **الطابع السياسي للإدارة:** وبه ترتبط إعادة توجيه أفضل المصادر الطبيعية والبشرية نحو إنشاء القوة البحرية القادرة.

¹ - السماك، مرجع سابق، ص ص 326-329.

تحدث ماهان على ان لأمريكا مصيرا بحريا هو "المصير المعلن" Manifest " Destiny"، ففي مرحلته الأولى يتجسد في التكامل الاستراتيجي لمجموع القارة الأمريكية، ثم في تحقيق السيطرة العالمية، وقد تنبأ ماهان أن تصبح أمريكا قوة بحرية قيادية، تترك اثارها على مصائر العالم، ففي كتابة "اهتمام أمريكا بالقوة البحرية"، أنه على أمريكا لتصبح دولة عالمية أن تتجز ما يلي¹:

المشاركة مع القوة البحرية البريطانية للسيطرة على البحار، وإقامة العراقيل في وجه الطموحات البحرية الألمانية، والمراقبة اليقضة للتوسع الياباني في المحيط الهادي، ومقاومته وإقامة دفاع بالتنسيق ما بين الأوروبيين والأمريكيين لخنق المطامع الآسيوية².

لقد ركزت في كتابه "مشكلات آسيا" 1900 على مشكلات أوراسيا، حيث أن قارات العالم الشمالية هي مفتاح السيطرة العالمية، وأن قناتي السويس وبانما هما الحدود الجنوبية لعالم الشمال المتميز بكثافة الحركة التجارية والسياسية العالمية، فأوراسيا هي أهم جزء في العالم الشمالي، وتمثل روسيا موقعا أرضيا مسيطرا في آسيا، ومن غير الممكن مهاجمتها لأنها منيعة، كما أن المناطق الآسيوية بين درجات عرض 30° و 40° شمالا هي نطاق الاحتكاك بين القوى البرية والبحرية، بما أن هذه الأخيرة هي مفتاح السيطرة العالمية فإنه بإمكان كل من بريطانيا وأمريكا المتحالفين الوصول إلى السيادة العالمية باحتلال قواعد عسكرية تحيط بأوراسيا، فقد تنبأ ماهان بتحالف بين الولايات المتحدة وبريطانيا واليابان سيحدث يوما ضد روسيا والصين³.

¹- ألكسندر دوغين، أسس الجيوبولتيكا مستقبل روسيا الجيوبولتيكي (دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004)، ص ص. 100-95.

²- موسى الزغبى، الجيوسياسية، الجيوسياسية والعلاقات الدولية وأبحاث في الجيوسياسية Geopolitique وفي الشؤون والعلاقات الدولية المتنوعة (دمشق: وزارة الثقافة، 2004)، ص. 66.

³- صافي، مرجع سابق، ص ص. 98، 97.

لقد نقل ماهان إلى المستوى العالمي مبدأ "الأناكوندا"* والذي يتجسد في حصار الأراضي المعادية من البحر عبر الحدود الساحلية وهو ما يؤدي إلى الاستنزاف الاستراتيجي للعدو وبما أن القوة البحرية معيار قوة الدولة فإنه كمهمة إستراتيجية منع بناء تلك القوة في معسكر العدو، فمهمة أمريكا في تعزيز قوتها في تلك البنود الستة المذكورة، وإضعاف العدو فيها، ومعاملة المنافسين دول أوراسيا الكبرى (روسيا، الصين، ألمانيا)، في سحب المناطق الساحلية من تحت سيطرتها، وإغلاق منافذها على المجال البحري قدر المستطاع، فمن الناحية العملية كانت الخطوط الأساسية لإستراتيجية الناتو وغيره من الأحلاف الموجهة نحو وقف الاتحاد السوفياتي "مبدأ الوقف" مطابق لمبدأ الأناكوندا الاستراتيجي، ومن ذلك تشكل: ASIAN (مجموعة دول جنوب شرق آسيا)، و"ANZUS" واتفاقية الدفاع المشترك بين أستراليا، نيوزيلندا، وأمريكا)، و"CENTO" (حلف دول وسط آسيا) التي تمثل تطورا مباشرا لمنطلقات ماهان¹.

ولتحقيق التفوق يرى ماهان بضرورة وجود مناطق استناد (موانئ، قواعد عسكرية موانع حصينة في المضائق، امتلاك بحرية متواجدة في كل مكان. وقادرة على الانتقال بسرعة نحو النقاط الإستراتيجية، بطريقة تضمن حرية التجارة في البحار وممارسة الحصارات البحرية حول الدول المعادية.

يرى ماهان أن لأمريكا أسس لبناء القوة البحرية أي هي دعوة للتوسع خارج حدودها وعلى أمريكا بناء قوة بحرية مؤلفة من عدة أساطيل كبيرة تمكنها من الدفاع ضد أي حصار بحري يوجه ضدها، والبحرية الأمريكية اليوم هي تلك القوة في انتشارها حسب ماهان.

* - الأناكوندا: هي خطة استراتيجية تهدف إلى سلخ أكبر مساحة من الأوراسيا وأوروبا وآسيا لمنع توسعها الجيوبولتيكي.

¹ - دوغين، مرجع سابق، ص ص. 100، 101.

لقد تعرضت نظرية ماهان للنقد، منها عدم مراعاتها للتغيرات السريعة و المستمرة في مجالي الصناعة والنقل خلال 1900 خاصة الوسائل البرية والجوية والغواصات والطائرات فقد حكم على أحداث نهاية القرن التاسع عشر بعقلية القرن السابع عشر، وأهمل تزايد القدرة الجوية في فرض الحصار والهجوم، وأن النقل البري سينافس النقل البحري وتكون كافة الميزان لصالح القوة البرية.

إلا أن نظرية ماهان تلقت اهتماما من قبل المسؤولين، منهم الرئيس الأمريكي "روزفلت" الذي سعى إلى تنفيذ الكثير من مبادئها خاصة التوسع خارج الحدود، لضمان الدفاع القومي ضد أي حصار يوجه ضد أمريكا، ومنها احتلال جزر هاواي لما تمثله من قاعدة عسكرية أمامية يمكن استخدامها ضد أي هجوم يأتي من القارة الآسيوية¹.

ب-نكولاي سبكمان "Spykman" 1893-1943:

يعدّ سبكمان خليفة ماهان إلا أنه لا يتفق معه، في سيادة القوة البحرية.

إهتم سبكمان بدراسة العلاقات الدولية، والقوة والعلاقة بين العوامل الجغرافية والسياسية الخارجية للدول. فالعوامل الجغرافية عنده هي أكثر تأثيرا في السياسة الخارجية للدول، ففي كتابة جغرافية السلام عام 1944 يرى أن القوة هي الحاسم في سلامة الدولة فالسلام لا يتحقق الا ببناء قوة تدعمه و الذي يتحقق في الدول الكبرى فالنظام الجماعي للسلام خير وسيلة لتحقيق هذا الهدف، كتأليف عصابة أمم، أو تنظيم لتحقيق التوازن الدولي وهذه هي النظرية التي تدار بها السياسة الدولية حاليا، ومكانة الدولة في العالم يحددها موقعها الجغرافي وعلاقته بمراكز القوى العالمية، وقدم سبكمان ثلاث طرق لتحقيق السلام العالمي، وهي الطريقة الفردية حيث تبذل كل دولة وسعها لتحقيق أمنها القومي، وطريقة

¹ - السماك، مرجع سابق، ص ص. 329-332.

التعاون الثنائية عن طريق الاتحادات أو تقديم المساعدات، وطريق الأمن الجماعي القائم على أساس المسؤولية الجماعية¹.

يرى سبمکان أن الهلال الداخلي لدى ماكندر هو مفتاح السياسة العالمية ويسميتها بالإطار "Rimland" أو الحافة الي تضم أوروبا الغربية والشرق الأوسط، والهند وجنوب شرق آسيا والصين، حيث يتمتع هذا الإطار بعدد كبير من السكان ومصادر ثروة غنية واستخدام البحر كخطوط حركة أساسية للتجارة والحرب، ويعتبر أن منطقة الأطراف هي منطقة فاصلة بين القوى المتصارعة (البرية والبحرية)، حيث يقول أنه من يحكم الإطار يحكم الأوراسيا، ومن يحكم الأوراسيا يتحكم في مصير العالم، إلا أن تقسيم الإطار بين القوى الأوروبية والأمريكية يجعله من المستحيل أن يقوم بهذا الدور أي السيطرة العالمية لكن إذا ما تمكنت دولة واحدة من السيطرة عليه سيتم الوصول إلى السيطرة على العالم، حيث كان يخشى من أن تتمكن ألمانيا من السيطرة على الإطار "Rimland"، بعد أن تحتل أوروبا الغربية الذي يمهّد الطريق للسيطرة العالمية².

ويرى سبمکان أن قلب الأرض لدى ماكندر هو ميت نظرا لانخفاض درجة حرارته، وضآلة موارده الزراعية، وأن معظم موارد القوى المحركة، الحديد والمعادن مرتكزة في روسيا الأوروبية وليس سيبيريا، فهذه الأخيرة هي مناطق تخلخل سكاني وأراضي جافة تختلها مساحات شاسعة من الغابات، كما أن الهرتلاند هي كتلة حبيسة بين الإطار من ناحية ولتندرا والمحيط القطبي من ناحية ثانية، كما أنه قليل الثروات بإستثناء التركستان والأورال ويرى أن الهلال الخارجي هو بريطانيا واليابان وإفريقيا وأستراليا، وأطلق على العالم الجديد بالقوى الخارجية، كما ذكر أن أثر إفريقيا سيكون محدودا لظروف مناخية ستضعف قواها

¹ - صافي، مرجع سابق، ص ص. 99-101.

² - السماك، مرجع سابق، ص ص. 334، 335.

السياسية، وقسم سبكرمان الكرة الأرضية إلى قسمين، قسم شرقي ويضم كل من قارة أوراسيا وإفريقيا وأستراليا، وقسم غربي، ويتألف من الأمريكيتين الشمالية والجنوبية¹.

3- القوى الجوية في الجيوبولتيك:

لقد ظهرت آراء أخرى، ترى أن النمو الذي عرفه عصر الطيران والفضاء قد أدى إلى آراء جديدة حول التشكيل الجيوبولتيكي للعالم ومنهم نجد:

أ- جورج رينر "Renner" 1944:

يرى أن الطرق الجوية قد ربطت بين "Hertland" الأوروأسيوي، و "Hertland" أصغر في أمريكا الشمالية، عبر المنطقة القطبية، وبالتالي فإنه بواسطة الطيران تشكل هرتلاند جديد يمتد من نصف الكرة الشمالي عبر المنطقة القطبية، ومن صفاته أنه مهدد بالخطر من إحدى القوتين اللتان تحتلانه فالاتحاد السوفياتي كان يهدد الهرتلاند في أمريكا والعكس صحيح، حيث يرى أن الهرتلاند الجديد يمكن أن يصبح قاعدة للسيطرة العالمية لأنه قريب من الدائرة القطبية وبالتالي يمكن أن تصبح المنطقة القطبية الشمالية بؤرة الحركة ومفتاح النفوذ العالمي.

ب- ألكسندر دي سيفيرسكي "Seversky":

نشر بحثاً بعنوان "القوة الجوية مفتاح البقاء" في 1950، حيث رسم خريطة للعالم ذات قطبين، تقع الأمريكيتين في جنوب القطب، وأوروبا، آسيا، إفريقيا، في شمال القطب أي العالم القديم والجديد كما هو متعارف عليه، ويوضح أن السيادة الجوية الأمريكية تشمل كلا الأمريكيتين، وتغطي السيادة الجوية السوفياتية جنوب وجنوب شرق آسيا وإفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وتتلاقى منطقتي النفوذ الجوي للدولتين في مناطق أخرى، في مناطق

¹ - صافي، مرجع سابق، ص. 104.

الحسم في أي معركة، أو هي منطقة المصير، وتشمل أوروبا الغربية شمال إفريقيا، والشرق الأوسط وحددت أفكاره في من يملك السيادة الجوية يسيطر على مناطق تداخل النفوذ (منطقة المصير)، ومن يتحكم بمنطقة المصير يسيطر على العالم¹.

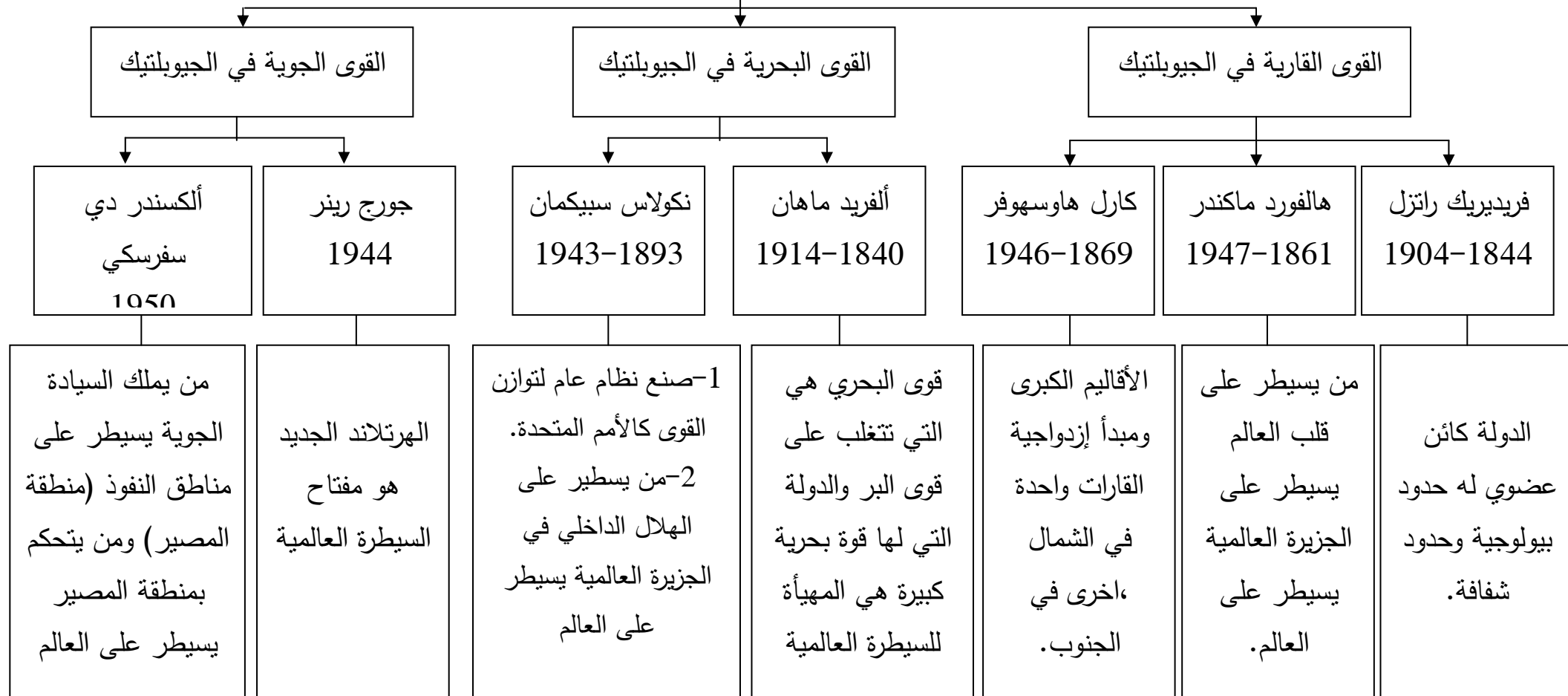
كما نصح الولايات المتحدة ببناء قوة جوية كما انتقد إشعال أمريكا للحروب الإقليمية كالفيتنام، والشرق الأوسط ونيجريا وغيرها التي تؤدي إلى استنزاف قوة أمريكا، حيث جاءت آراء سيفرسكي استكمالا لآراء رينر، لكنها تختلف عنها في نتيجتين: الخريطة التي اعتمدها سيفرسكي حيث أبعد إفريقيا عن أمريكا الجنوبية بصورة لا وجود لها في الطبيعة، بالإضافة إلى منطقة القطب الشمالي الذي يرى أن دولة واحدة فقط تستطيع السيطرة عليها. وهي تلك التي لها سيادة وسيطرة جوية (الولايات المتحدة الأمريكية، الاتحاد السوفياتي، والمملكة المتحدة بريطانيا) وفي كلامه هذا ينقد نفسه، لأنه أي دولة صغيرة أو كبيرة في الجزء الشمالي أو الجنوبي للكرة الأرضية، تستطيع إذا ما توفرت لديها شروط أن تصبح قوة جوية فأستراليا، البرازيل، الأرجنتين، قد تصبح دولا ذات سيادة طالما حققت تطورات في مجال الطيران.

في حين يرى بعض المتخصصين أن سلاح الجو لا يمكن اعتباره بعدا ثالثا في مجال القوة لأنه عنصر حماية وتغطية للقوات البرية والبحرية، فالقوة الجوية ليست عامل حسم في الحروب يلغي أو ينهي دور القوى البرية والبحرية². ولقد اعتمد التواجد الدولي في منطقة الشرق الأوسط العديد من هذه المنطلقات الجيوبوليتكية في تواجدهم في المنطقة والتي ستظهر لاحقا.

¹ - السماك، مرجع سابق، ص. 337.

² - صافي، مرجع سابق، ص ص. 105-107.

الشكل رقم (01): يوضح أهم النظريات الجيوبوليتكية



المصدر: من إعداد الطلبة استنادا إلى ما سبق من مراجع

المطلب الثاني: الأهمية الجيوإستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط.

تكمل الأهمية الإستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط في معرفة أهميتها الجغرافية ومكانتها الاقتصادية والعسكرية، والثقافية التي ستوصلنا إلى معرفة وفهم اهتمام الدول الأخرى بها، ولما لها أهمية كبيرة في إستراتيجياتها، وتوجه سياستها الخارجية، ولماذا لطالما كانت ومازالت وستظل منطقة الشرق الأوسط تحظى باهتمام كبير على المستوى الدولي.

وفي هذا الصدد يقول "جورج لينكوفسكي، G.Linkovski": «لا يمكن لأيّ سياسة خارجية رشيدة، أن تتجاهل الشرق الأوسط وأثره على بقية مناطق العالم»¹.

تعد منطقة الشرق الأوسط من أهم مناطق العالم من الناحية الإستراتيجية، فهي همزة وصل بين قارات العالم الثلاث، آسيا، أوروبا وإفريقيا، حيث كانت المنطقة على مرّ التاريخ ممرا حيويا للمواصلات العالمية، البرية، البحرية والجوية، كما تتمتع المنطقة بأهمية إستراتيجية حيوية إذ تشرف على أكبر مجموعة مائية من البحار وهي:

- **البحر الأبيض المتوسط:** الذي يتوسط القارات الثلاث، وله منفذين: الشرقي عبر قناة السويس، والغربي عبر مضيق جبل طارق، ويربط أوروبا بالشرق الأوسط وآسيا، وقد كان ولازال ممرا تجاريا هاما بالنسبة لكافة دول العالم².

- **البحر الأحمر:** وهو من أهم طرق الملاحة الرئيسية في العالم، إذ يربط بين القارات الثلاث، أوروبا، آسيا وإفريقيا، وهو معبرا رئيسيا لتصدير نفط الخليج والأسواق العالمية، لذا تحرص القوى الكبرى أن يكون لها مواطئ أقدام ومناطق نفوذ فيه³.

¹- مصطفى محمود ممدوح، الصراع الأمريكي السوفييتي في الشرق الأوسط (الإسكندرية: مكتبة مدبولي، 1990)، ص.49.

²- حسن عمر كامل، النظام الشرق الأوسطي وتأثيره على الأمن القومي العربي، دراسة في الجغرافيا السياسية والجيوپولتيك (سوريا: دار رسلان للطباعة والنشر، 2008)، ص.63.

³- وسيم ريم، "أهمية بحر الأحمر"، في:

- **البحر الأسود:** الذي يتصل في شماله ببحر أزرف وفي جنوبه ببحر إيجه، ويتميز بأهميته التجارية التي تربط بين تركيا والدول الأوروبية، وتكمل أهميته الاقتصادية في الثروة السمكية خاصة تلك المهددة بالانقراض، كما أنه البحر الوحيد في العالم الذي لا يتجمد

- **بحر العرب:** الذي يقع في الجنوب الشرقي لمنطقة الشرق الأوسط، ويضم خليج عمان، وخليج عدن، ويتصل في جنوبه مع المحيط الهندي، ويتميز بأهميته التجارية بالدرجة الأولى¹.

- **بحر القزوين:** الذي يعتبر أكبر بحيرة مغلقة في العالم، فهو حبيس بين آسيا وأوروبا وتكمل أهميته اقتصادية أنه يملك حوالي 4% من الاحتياط العالمي للنفط وحوالي 7% من الاحتياط العالمي للغاز الطبيعي، وهذا ما فتح المنافسة بين الأطراف الدولية والإقليمية².

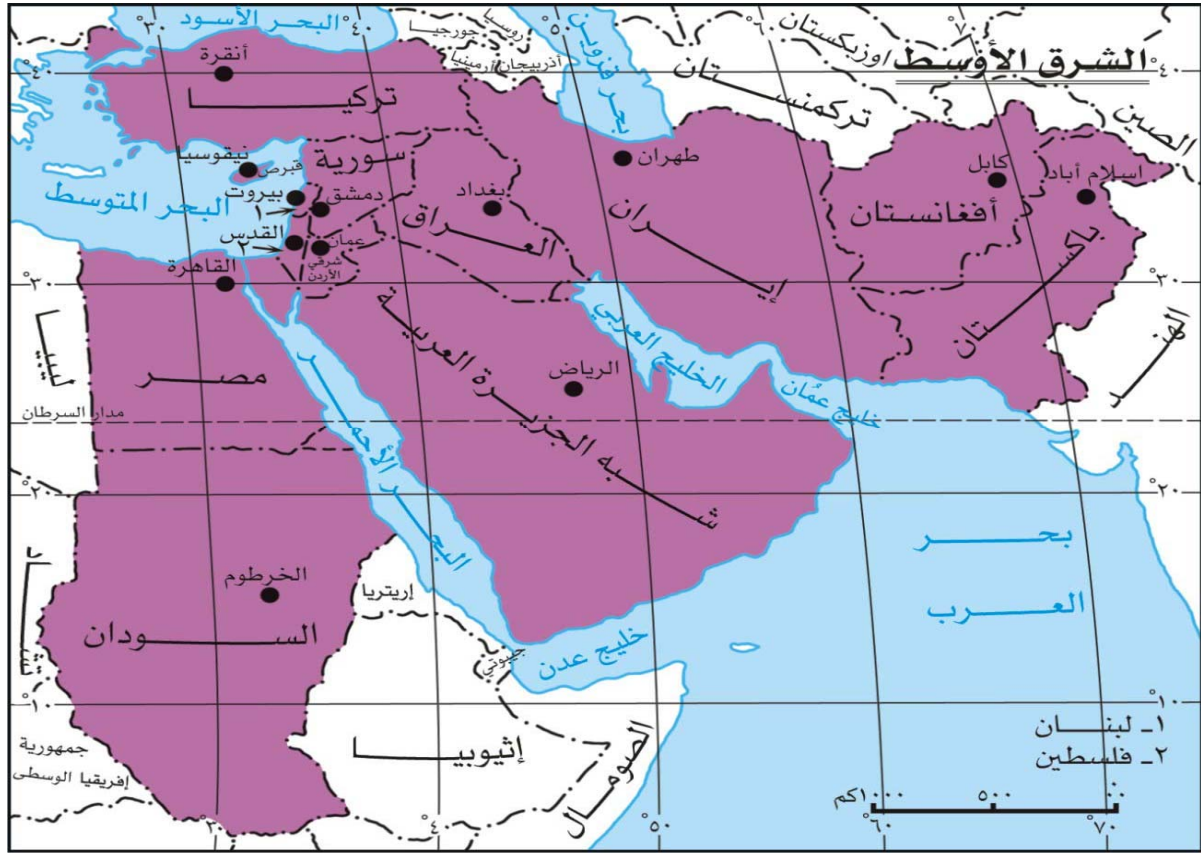
- **بحر إيجه:** الذي يقع بين اليونان من ناحيتي الغرب والشمال، وتركيا من ناحية الشرق ويربط بين البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط، ويعتبر ممرا رئيسيا للسفن التجارية.

³ - موسى أحمد خليل، موسوعة المحيطات والبحار والأنهار (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2002)، ص. 141.

² - البكري هاديل، "لماذا سمي البحر الأسود بهذا الاسم"، في:

Mawdoo3.com/ لماذا سمي البحر الأسود بهذا الاسم

خريطة البحار



المصدر: غرافيك نيوز، الشرق الأوسط

كما يحتوي الشرق الأوسط على العديد من الأنهار الهامة وتتمثل في:

- **نهر النيل:** والذي يعدّ أطول نهر في العالم، والذي يعبر عشرة حدود لدول إفريقيا حيث ينبع النيل الأزرق من الهضبة الإثيوبية ويتجه نحو الشمال الغربي، ويتوحد مع النيل الأبيض الذي ينبع من البحيرات العظمى في منطقة الخرطوم في السودان وهذا ما يمنح لإثيوبيا مكانة جيوبوليتيكية كبيرة.

- **نهر الفرات:** وينبع من السلاسل الجبلية في شرق الأناضول في الأراضي التركية ليقطع بذلك حدود سوريا عند مدينة حرابلس، ليدخل الأراضي العراقية عند مدينة

القائم، وهذا ما جعل تركيا تستخدم مياه الفرات كعامل قوة وضغط جيوبوليتيكي للتأثير على سوريا والعراق.

- **نهر الدجلة:** وتقع منابعه في مرتفعات تركيا الجنوبية الشرقية، وتشارك فيه تركيا والعراق ويدخل الأراضي السورية في الضفة الغربية¹.

- **نهر الأردن:** وهو نهر وطني يجري داخل ثلاث أقطار عربية، سوريا، الأردن، لبنان وشكل جوهر الصراع العربي الإسرائيلي، لأهميته الكبيرة كمورد مائي حيوي واستراتيجي، خاصة مع قلة سقوط الأمطار في منطقة الشرق الأوسط، وفي حوض هذا النهر تحديداً، ما زاد أهمية كل قطرة موجودة في هذا النهر².

نهري الاردن و النيل



المصدر: World resources institute

¹ - موسى أحمد، مرجع سابق، ص. 139.

² - عمر كامل، مرجع سابق، ص ص. 325-327.

كما يتحكم الشرق الأوسط في أهم مواقع المرور الدولية وهي:

- **قناة السويس:** التي تصل بين خليج السويس والبحر المتوسط، وهي من أهم الممرات المائية الإستراتيجية حيث تصارعت قوى كبرى للسيطرة عليها، فهي الطريق الأسرع والأقصر للسفن التجارية والعسكرية، فهي تسمح بعبور السفن القادمة من دول المتوسط وأوروبا وأمريكا للوصول إلى آسيا دون سلوك الطريق الطويل، رأس الرجاء الصالح، وتتحكم في 40% من حركة السفن في العالم.

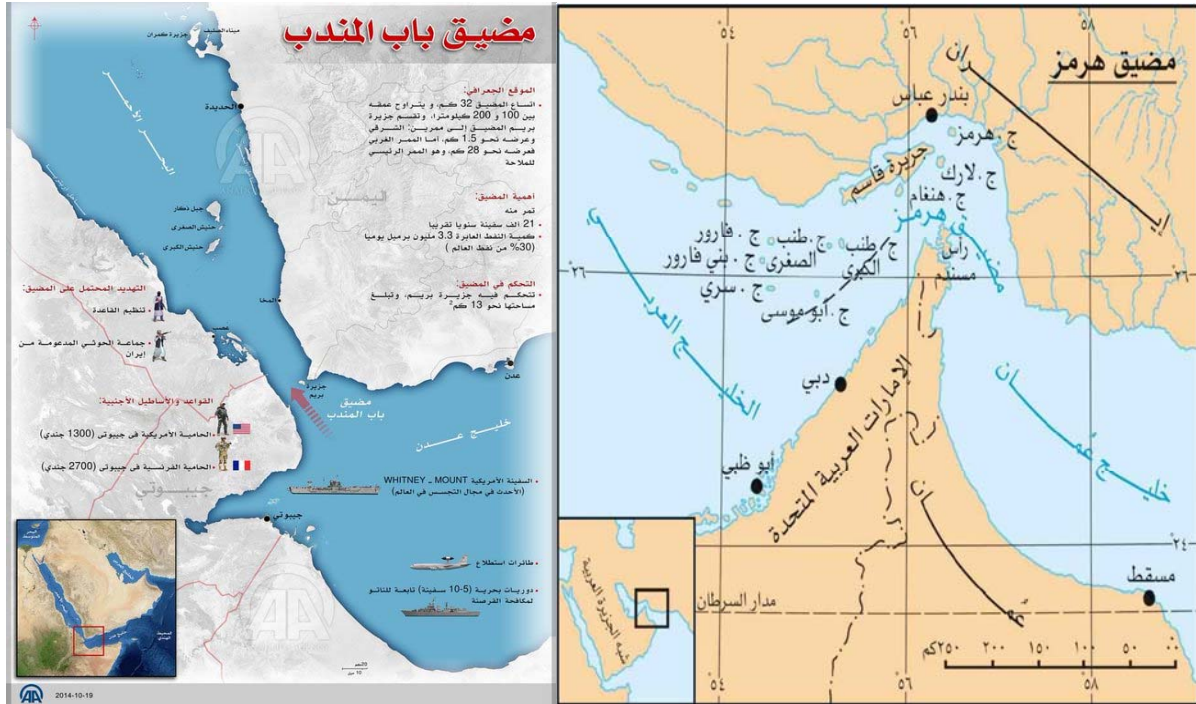
- **مضيق باب المندب:** والذي يعد مدخلا للبحر الأحمر الجنوبي، وهو من الممرات المهمة إستراتيجيا لكل من الأردن، السودان أريتريا فهو الممر الوحيد لتجارتها البحرية، وقد كان هذا المضيق منطقة تنافس منطقة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي سابقا.

- **مضائق البسفور والدردينيل:** وتقع هذه الممرات الإستراتيجية ضمن المياه الإقليمية التركية، واكتسبت أهمية إضافية بقربها من أراضي الوطن العربي، حيث يصل مضيق البسفور بين البحر الأسود وبحر مرمرة، ويربط مضيق الدردنيل بين بحر مرمرة، وبحر إيجه، الذي يتصل بدورة بالبحر المتوسط.

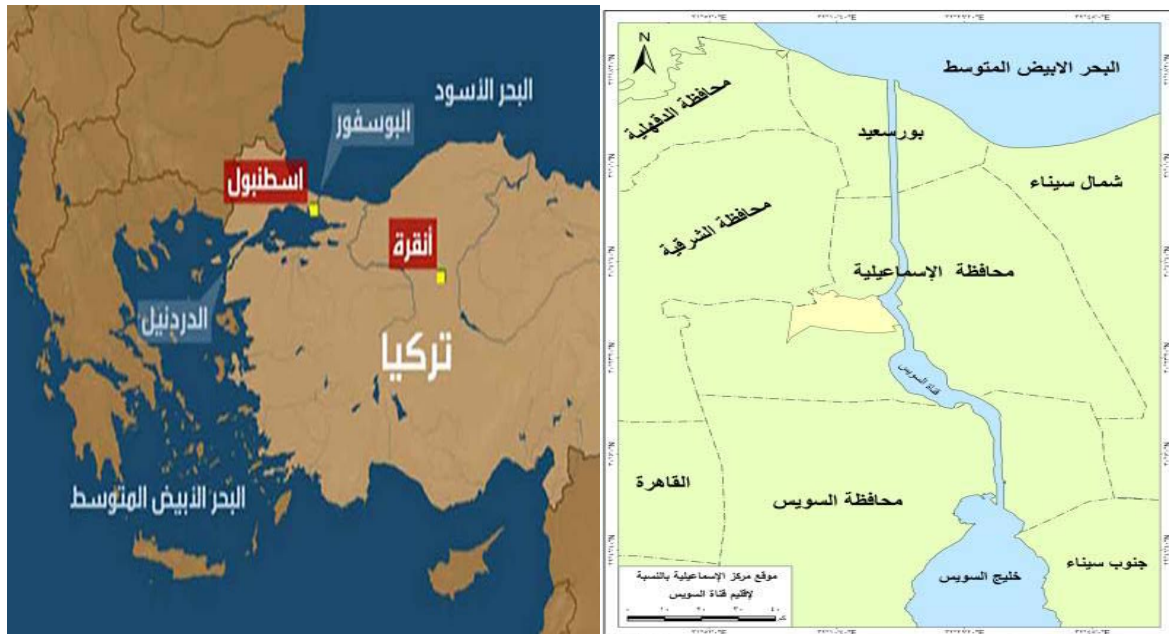
- **مضيق هرمز:** وهو أحد أهم الممرات المائية في العالم وأكثرها حركة للسفن يقع في منطقة الخليج العربي. ويفصل بين مياه الخليج العربي ومياه خليج عمان، وبحر العرب والمحيط الهندي، وهو المنفذ البحري الوحيد للعراق والكويت والبحرين وقطر وتعتبر المضيق 20-30 ناقلة نفط يوميا محملة بنحو 40% من النفط المنقول بحرا على مستوى العالم¹.

¹- المرجع نفسه، ص ص. 68، 69.

مضيقي هرمز و باب المندب



قناة السويس و مضيقي البوسفور و الدردنيل



المصدر: World resources institute

أما مناخ منطقة الشرق الأوسط فيتنسم بالاعتدال على مدار العام، حيث يقع في مكان وسط بين المنطقة المدارية جنوباً، والمنطقة المعتدلة والباردة شمالاً أي صلاحية للزراعة على مدار العام، كما تتميز منطقة الشرق الأوسط بوفرة الموارد الطبيعية والثروات المعدنية ومصادر الطاقة، أي وفرة عوامل الإنتاج الأساسية وصلاحية الأجواء والمياه للطيران والملاحة طوال العام. كما أن لمنطقة الشرق الأوسط أهمية اقتصادية كبيرة فهي من أغنى مناطق العالم بالموارد الطبيعية وتتلخص في:

البتروال والغاز :

لقد كانت الأهمية الاقتصادية لمنطقة الشرق الأوسط حتى بداية القرن العشرين تقاس بمدى أهمية موقعها والتحكم في طرق المواصلات، والتجارة الدولية، إلا أنه في عام 1908 ومع اكتشاف البترول في إيران، وتزايد اعتماد الدول الصناعية الكبرى على هذه المادة التي أصبحت بمثابة عصب الحياة الاقتصادية زاد اهتمام بالمنطقة¹ فتحول بذلك الشرق الأوسط إلى ساحة تنافس استراتيجي خاصة مع تنامي الشعور بالحاجة إلى مصادر الطاقة مع الثورة الصناعية، وعلى هذا الأساس اكتسب الشرق الأوسط وضعاً إستراتيجياً مهماً، وليس باعتباره خطاً لنقل المصادر الطبيعية فقط، بل مخزناً لها، وامتلاكه لنصيب ضخم من الاحتياط العالمي، فينتج حوالي ثلث نفط العالم².

ويمتاز بترول الشرق الأوسط بعدة مزايا منها:

انخفاض تكاليف إنتاجه، بسبب ارتفاع معدلات الإنتاج، وقلة عمق الآبار، وانخفاض نفقات البحث، والاستثمارات المطلوبة، كما أن أسعاره منخفضة مقارنة بدول أخرى، كما أنه

¹ - ممدوح، مرجع سابق، ص 52-55.

² - أحمد داوود أغلو (ت: محمد جابر تلجي وطارق عبد الخليل)، العمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية (الدوحة: الدار العربية للعلوم ونشر، 2010)، ص 367-387.

من حيث النوعية فالشرق الأوسط ينتج خامات خفيفة ومتوسطة وثقيلة وهذه الأنواع تناسب كل الأسواق المختلفة¹.

فقد أضافت الثروة البترولية للشرق الأوسط عامل جذب وأشكال مختلفة من الاستراتيجيات العالمية، والتنافس الدولي في المنطقة والتدخل في شؤونها الداخلية والسياسية. كما أنه رغم وجود مصادر بديلة للطاقة إلا أنها لا تساهم إلا بقدر محدود من احتياجات الطاقة، لذا سيظل البترول ذو أهمية كبيرة بين مصادر الطاقة الأخرى، ومن غير المحتمل أن تقل نسبة اعتماد دول العالم على هذه المادة كمصدر للطاقة² وهذا ما جعل الدول الكبرى لا تستطيع الاستغناء عن بترول الشرق الأوسط، وستظل تعتمد عليه، وفي أهمية بترول الشرق الأوسط يقول "Binford" القائد العام للقيادة المركزية الأمريكية: «إن التدفق اللامحدود لموارد البترول من دول الخليج الصديقة... هو الذي يحرك الآلة الاقتصادية العالمية»³.

أما فيما يخص الغاز فتعتمد الدول الصناعية الكبرى على هذه المادة في توليد الطاقة والكهرباء لما له من أهمية كبرى، وتأثيرا مباشرا في الاقتصاد العالمي، فشأنه شأن باقي الموارد الطبيعية التي تسعى القوى العظمى للهيمنة على منابع وطرق إمداداته، والشرق الأوسط من أكثر المناطق تصديرا للغاز الطبيعي، كما يحتوي على أكثر من ثلث الاحتياط العالمي، وجزء كبير من هذه المادة يتم تصديره (80% نحو أوروبا)، مما يجعل الاقتصاد العالمي بأسره يعتمد على استمرار تدفق غاز الشرق الأوسط⁴.

¹ - ممدوح ، مرجع سابق، ص.57.

² - كامل، مرجع سابق، ص.71.

³ - حسن عدنان، الحروب على الموارد الجغرافية الجديدة للنزاعات العالمية (لبنان: دار الكتاب العربي، 2002)، ص.39.

⁴ - وسام الهيجاء، "أنابيب الغاز الطبيعي... أدوات الصراع الخطر في الشرق الأوسط"، في:

وهذا ما توضحه الخريطة التالية:



كما أن لمنطقة الشرق الأوسط أهمية عسكرية كبيرة، والعديد من العوامل تحدد هذه الأهمية، فالمنطقة تتوفر فيها عوامل لازمة لإنتاج وقيام صناعات حربية، صناعة الأسلحة، والدخائر، كما أن لدى المنطقة قوة بشرية هائلة، يمكن تجنيدها واستخدامها في العمليات العسكرية، كما تتمتع المنطقة باتساع مكاني، يمكن نشر القواعد العسكرية، وتأمينها ضد أي عدوان، كما أن تنوع التربة يوفر الظروف المختلفة لتدريب القوات على القتال في أنواع

مختلفة من ميادين القتال، كما أن المنطقة إكتفاء ذاتي في مصادر الطاقة والوقود اللازمة للعمليات الحربية

كما أن امتداد سواحلها المطلّة على البحار والمحيطات، ووجود موانئ ضخمة صالحة لأن تكون قواعد بحرية مع وجود العديد من المطارات والقواعد الجوية، كما أن توفرها على نسبة هائلة من خطوط المواصلات البرية، البحرية والجوية يسهل نقل وتحريك القوات والمعدات

كما تملك منطقة الشرق الأوسط المواد الأساسية لإنتاج الأسلحة منها اليورانيوم البوتانيوم وغيرها من المواد الأولية، وتعد باكستان، إسرائيل، إيران من أكثر الدول إنتاجا للسلاح في منطقة الشرق الأوسط¹.

بالإضافة إلى كلّ هذا فإن لمنطقة الشرق الأوسط أهمية حضارية كبيرة حيث تتميز اللوحة البشرية والسكانية للمنطقة بالغنى والتنوع، فقد اجتمع على أرضها الساميون والهنود والأوروبيون والأفارقة، وتعاقبت حضارات السومريين والأكاديين، والأشوريين والفينقيين والكنعانيين والأراميين وسواهم، فهناك ثروة ثقافية استثنائية، فقد كانت المنطقة على الدوام مركز وملتقى حضارات إنسانية عديدة وقد شهد الشرق الأوسط على حضارات ما بين النهرين، بمختلف مكوناتها السومرية البابلية والكلدانية والأشورية، ثم الفتوحات العربية والخلافتين الأموية، والعباسية، وشهد تاريخ الأناطول حضارة الحوثيين، ثم عرف الشرق الأوسط الفتح البطيء من قبل الأتراك السلاجقة، ومن بعدهم العثمانيين وصولاً إلى السيطرة الاستعمارية الأوروبية، بريطانيا، إيطاليا، فرنسا، إسبانيا، والتي أثّرت بشكل كبير في ثقافة

¹ - ممدوح، مرجع سابق، ص ص. 53، 54.

وشعوب المنطقة وأيضاً من حيث الحدود التي رسمتها، والتي بقيت حدوداً رسمية بعد الاستقلال وبعدها عرف الشرق الأوسط التواجد الأمريكي في المنطقة¹.

كما تتسم منطقة الشرق الأوسط بأهمية ثقافية كبيرة حيث تعرف تنوع وتعدد ثقافي ولغوي وديني ولساني إذ تسكنه ثلاثة أنواع من الشعوب.

1- الشعوب السامية: وتضم الغرب، وهم لا يمثلون أمة واحدة فهناك العديد من الاختلافات الإقليمية والقومية والدينية بينهم، والإسرائيليون ويتحدثون العبرية والآشوريين يستخدمون السريانية.

2- الشعوب الهندية الأوروبية: وتضم إيران وأفغانستان وبعض أجزاء روسيا أسيوية وأوزبكستان ويتكلمون الفارسية وبعض اللغات المشتقة منها.

3- الشعب التركي: ويتحدثون اللغة التركية.

ونفس الشيء من الناحية الدينية، فهناك تعدد ديني في المنطقة إلا أن أكثرها انتشاراً هو الإسلام، وينقسم أبناءه إلى سنة وشيعة وتنقسم هذه الأخيرة إلى جعفرية وزيدية وعلوية إلى جانب البهائيين والدروز، وهناك المسيحية التي تنقسم بدورها إلى العديد من الكنائس تصل إلى اثنتي عشر كنيسة ومنها: الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، والروم الكاثوليك، والأنجليكان والبروتستانت بالإضافة إلى الديانة اليهودية بطوائفها المتعددة، مع العديد من الأديان والمذاهب الأخرى²، ولقد أدى هذا التنوع والتعدد الديني والقومي والعنقي والثقافي إلى نشوب العديد من الصراعات المحلية والتي تستغلها قوى خارجية للتواجد والتدخل في شؤون المنطقة.

¹ - عمر كوش، "تاريخ الشرق الأوسط"، في:

www.aljazeera.net/knowledge/gat/books/2010/04/08

² - كامل، مرجع سابق، ص ص. 36، 37.

المبحث الثاني: تأثير العوامل المعنوية والمادية على منطقة الشرق الأوسط.

المطلب الأول: تأثير العوامل المعنوية على منطقة الشرق الأوسط.

تواجه منطقة الشرق الأوسط العديد من المشاكل أو المعوقات، سياسية، واجتماعية واقتصادية، والتي شكلت نقاط ضعف بالنسبة لدول المنطقة، وأثرت بشكل كبير على تطورها. وهي:

1-الأقليات الثقافية:

هو مصطلح يطلق على الأقليات سواء كانت أقليات عرقية، اثنية، أو دينية، أو لغوية، أو قومية، أو قبلية، وذلك وفقا لنموذج اللجنة الخاصة التابعة للأمم المتحدة بشأن حماية الأقليات¹.

إن مشكلة الأقليات لا تقتصر فقط على منطقة الشرق الأوسط، بل توجد في مختلف الدول، حيث أصبحت تطالب بحقوقها، وتسعى الاعتراف بوجودها، ولغتها، وعرقيتها وثقافتها، وحقوقها التعليمية، خاصة مع ظهور الديمقراطية، وحقوق الإنسان، حيث أصبح من الصعوبة إنكار حق هذه الأوليات العرقية والدينية².

وتختلف تطلعات ومطالب هذه الأقليات في الشرق الأوسط، من دولة لأخرى، وذلك حسب موقعها الجغرافي، والجيو اقتصادي، ووزنها السياسي وامتدادها التاريخي، ومدى ارتباطها بقوى خارجية سواء إقليمية أو دولية، فمنها من تطالب بالحقوق السياسية، والمساواة الاقتصادية والاجتماعية، ومنها من ينادي بالانفصال أو الحكم الذاتي. ولقد تشكلت هذه الأقليات في الشرق الأوسط ضمن الحدود والتي رسمتها كل من بريطانيا وفرنسا، بشكل

¹ - محمد عبد الغنى سعودي، الجغرافية السياسية المعاصرة دراسة الجغرافية والعلاقات السياسية الدولية (القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، 2010)، ص.68.

² - حسان بن نوى، تأثير الأقليات على استقرار النظم السياسية في الشرق الأوسط (الإسكندرية: مكتبة الوفاء القانونية، 2015)، ص.106.

عشوائي في القرن التاسع عشر، والتي تمثل تداخلات، وتشابكات، ساعدت في إثارة النزاعات في المنطقة¹.

إن المكون الاثني لشعوب منطقة الشرق الأوسط، أضاف إلى المنطقة تعقيدا وأزمات حيث أن معظم دول المنطقة يشهد حالة من التوتر، نتيجة لنتامي الشعور بظاهرة الإحساس الإثني للجماعة، وضعف إحساس هذه أقليات الإثنية بالمواطنة، ما أعطى لنا تسمية "المجتمعات المجزأة"، حيث تطمح كل إثنية لتشكيل قومية، وهي الحجة التي تتخذها الدول للتدخل في المنطقة، أي باسم حماية حقوق الأقليات، وهذا ما زاد في تغذية هذا الانتماء الإثني لهذه الأقليات².

وفيما يالي سيتم التطرق إلى بعض الدول في الشرق الأوسط التي تعرف تنوعا عرقيا ودينيا، والتي تتواجد بها نسبة كبيرة من الأقليات:

-**لبنان:** يمثل المسلمون الأكثرية، 50% بالمذهب السني والجعفري وطائفة علوية المسيحيون العرب. أغلبهم من الموارنة روم الأرثوذكس وبروتستانت بالمائة ، من السكان.

المسيحيون غير العرب وفيهم الأرمن، الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت والسريان والآتين والأقباط 5%، الدروز 6% من الشعبية الباطنية العلويين 1%، الأكراد 1%، الأتراك 1%³.

-**سوريا:** يمثل العرب في سوريا الأكبر به بالنسبة 79% (70% منهم مسلمون و9% عرب العلويين)، الأكراد 8% أغلبهم مسلمون مذهب سني، الشيعة الإثنا عشرية 1% الشركس ويختلطون مع الأكراد في الديانة، الدروز 3%، اليزيدية والاسماعلية أعداد قليلة

¹ - المرجع نفسه، ص ص. 94-110.

² - عبادة محمد التامر، سياسة الولايات المتحدة وإدارة الأزمات الدولية (إيران- العراق- سورية- لبنان أنموذجا) (بيروت: المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات، 2015)، ص. 98، 99.

³ - المرجع نفسه، ص. 97.

منها، وعدة آلاف من اليهود، المسيحية الأرثوذكسية 7% وهناك طوائف أخرى لا تتجاوز 1%¹.

-مصر: يمثل العرب المسلمون بالمذهب السني الحنفي، والمذهب الشيعي الإسماعيلي حوالي 85% من السكان. وهناك الأقباط المسيحيون وإلى 10%، البهرة أكثر من عشرة آلاف، النوبيون 2% الأفارقة الغجر 2% أقلية البجا والبخارية 0.5%، البربر السوبون 0.5%.

-العراق: يتألف المجتمع العراقي من أكثرية عرب مسلمين بالمذهب السني والشيعي بنسبة 75% ويشكل الأكراد العراقيون حوالي 17% معظمهم مذهب سني، ومنهم أقلية تسمى بـ "الفيلية"، ويمثل المسيحيون 5% وبعد الاحتلال الأمريكي معظمهم ولم يبق سوى 3% وهم في تناقص، وهناك طائفة الصابئة المندائيين (أتباع يوحنا المعمدان) يشكلون 1%، وهناك التركمان 2%. وهناك أقلية إيرانية 1%، والشركس 0.5% والأرمن كلهم مسيحيون نسبة ضئيلة، هناك اليهود بنسبة ضئيلة².

-دول الخليج: أغلبية من العرب المسلمين بمذهبهم السني، والباقي أقليات على أساس الدين والعرق، فعلى أساس الدين حيث تشكل الشيعة 12% وتختلف نسبهم من دولة لأخرى البحرين 60 و 65%، الكويت 30%، السعودية 15-20% قطر 16%، الإمارات 16% سلطنة عمان 10%.

المسيحيون ويشكلون في البحرين 9%، قطر 8.5% الكويت والإمارات 5%، وهناك عدد قليل من اليهود في مملكة البحرين فقط.

¹ - مصلح خضر الجبوري، الدور السياسي للأقليات في الشرق الأوسط (عمان: الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2014)، ص.35.

² - المرجع نفسه، ص.ص. 39-42.

أما على أساس العرق هناك ثلاث أقليات، الإيرانيون ويشكلون نسبة قليلة من السكان، قطر والبحرين 10%، الكويت 4%، إمارات 12%، السعودية 4%، وهناك الآسيويون ويشكلون الأقلية، والأفارقة من جنسيات وأعراف مختلفة: النوبيين والكنوز والزنج الزغاورة، الهوسا وغيرهم وتختلف نسبهم، السعودية 5%، عمان 2% وبين 1% و 2% في باقي الدول.

وهناك الوهابية في السعودية ويشكلون 25% أغلبهم من أهل السنة (شوافع)، وفي الجنوب الإسماعيليين 6%، وهناك 15% شيعة، والوهابية هي أقلية حاکمة في السعودية والوهابية ليست من هب، بل هي حركة أقرب للحركات السياسية¹.

-إيران: هناك أكثر من أربعين قومية في إيران ويشكل الفرس الشعب الأصلي، أكثر من ثلث السكان الأصليين تقريبا، حيث هناك حوالي 150-200 مليون متحدث بالفارسية كلغة أم ويشكل: الفرس، البشتون والبلوش والأكراد نسبة 90%، وإلى جانب الفرس تعيش عدد من الأقوام الأذرية والقوقازية ويتمثل بالجورجيون (الكرج)، إذ يوجد حوالي 15 قرية في إيران يسكنها الجورجيون.

وهناك الشركس ويقطنون في شمال إقليم فارس، وهم أقل الشعوب الإيرانية لا يتجاوز عددهم عدة آلاف إضافة إلى أعداد من الشيشان والداغستانيين وهم في الجنوب الغربي ويطلق عليهم عربستان (الأهواز).

أما التوزيع على أساس الديني والمذهبي، فغالبية الإيرانيون يدنون الإسلام والمذهب الشعبي الجغرافي (الإثني عشر)، فهو مذهب الأغلبية (وأكثرهم من الفرس، الأذريين والعرب، وقليل من أكراد والبلونسا ويشكل السنة (المذهب الشافعي)، مذهب غالبية الأكراد.

¹ - بن نوى، مرجع سابق، ص. 104-206.

والبلوش (المذهب الحنفي)، وهناك الطواشي وقليل من العرب وبعض الأذريين وقليل من الفرس وهم (شافعية)، بالإضافة إلى هذا هناك بعض المسيحيون أغلبهم من الأرمن، واليهود الذي يبلغ عددهم 25 ألف نسمة والزرادشتيون حوالي 22 ألف نسمة وهناك البهائية (البهائيون)، وهو دين غير معترف به رسمياً ويبلغ عددهم 37 ألف نسمة¹.

-تركيا: يضم المجتمع التركي العديد من الأقليات منها، الأكراد حيث يبلغ عددهم حوالي إثنتي عشر مليون نسمة، ويشكلون خمس السكان، أغلبهم مسلمون (70% منهم أكراد سنة) وتشكل البقية منهم العلوية ويندمج معهم اليزيديون ليشكلو (29% من الأكراد)، وهناك العلويون ويشكلون حوالي (18-20) مليون نسمة وفيهم علويون أتراك ويسمون (بغزل شان) أي الرأس أحمر، ومنهم علويون عرب لا يتجاوز عددهم نصف مليون نسمة، أما العلويين الأكراد فهم يشكلون ثلث السكان، هناك اليهود الذي يبلغ عددهم أكثر من مائة ألف نسمة واليونانيون وهم لا يتجاوز عددهم في الوقت الحاضر المائة ألف نسمة وهناك الأرمن ولا يتجاوزون حالياً ثمانين ألف ويتحدثون اللغة الأرمنية.

وهناك السريان والكلدان، ويقدر عدد السريان بعشرات الآلاف ويتحدثون اللغة السريانية والتركية، أما الكلدان فهم أقل من السريان ويتحدثون اللغة الكلدانية، وتوجد أقلية عربية ولا وجود لإحصائيات رسمية ودقيقة لعددهم، حيث يقدر بنصف مليون نسمة نصفهم سنيون ونصفهم علويون، والقليل من المسيحيين (أرثوذكس كاثوليك)، وهم يتوزعون في مناطق مختلفة، ومع كل هذا هناك الآليان وهم مسلمون، وأقليات ذات أصول سوفيتية منهم الروس، الأستوفيون، الأوزبك، الأذريون، وأقليات من أصول ألمانية، منهم الشركس والكرج وكلهم لا يعرف عددهم بشكل دقيق².

¹ - الجبوري، مرجع سابق، ص ص. 97-105.

² - المرجع نفسه، ص ص. 63-90.

2- الإرهاب:

لقد كان الإرهاب موجودا في كلّ الحضارات، إلّا أنّه قد أخذ قوة دلالية سياسية وأهمية إستراتيجية بعد هجمات 11 سبتمبر 2001، والذي بموجبه أخذت الولايات المتحدة الأمريكية على عاتقها التكفل بالقضاء على إرهاب، الذي يمس بأمنها القومي، ومنه قد لعبت عبارة الإرهاب دورا أساسيا في إعادة بناء العلاقات بين الدول لاسيما بين الشرق والغرب، أو بين المسلمين وغير المسلمين.

إنّ المفهوم الغربي لإرهاب يوجه عادة إلى المسلمين، على أنّها ممارسة إسلامية تريد الاعتداء على كلّ ما هو غير مسلم، ولقد لعب الإعلام الغربي دورا في نشر هذه الصورة المشوهة للمسلم، حيث استطاع زرع هذه الفكرة داخل الشعوب الغربية، لدرجة نشأة الكراهية والنفور من المسلمين، واتهامهم إمّا مجنونين أو مصابين بمرض معد، لذا فهم دائما مصدرا للتهديد والخطر يجب تجنبهم والحذر منهم، وفي المقابل إظهار سمو الشعب الغربي على أنّه ذلك الشعب المتحضر والمدني، مقارنة بالشعب المسلم المتوحش إرهابي.

يرى نعيم تشومسكي في محاضرة ألقاها في أفغانستان 2002 أن ما يسميه الغرب إرهابا إسلاميا، هو فقط دفاع الضعفاء عن غطرسة وهيمنة الأقوياء، ولو زالت الأسباب الحقيقية لهذا إرهاب لازال الإرهاب كما يرى أن الغرب هو السبب الحقيقي وراء كلّ الممارسات الإرهابية التي تنسب للمسلمين¹.

ويذهب "هابر ماس" في نفس اتجاه شومسكي، أن أصل انتشار الممارسات التي يسميها الغرب إرهابية أو ما يسمونه "الفاشية الإسلامية"، ليس منافسا ملموسا، لشن الحرب عليه، في حين أن الحرب على الإرهاب هي حرب ملموسة، فما يسميه الغرب فاشية إسلامية هو في الواقع صناعة سياسية غربية وليس له وجود ملموس، وحتى وإن وجدت

¹ - نعيمة الرياحي، الثورات العربية والاستراتيجيات السياسية الراهنة (تونس: دار نقوش عربية، 2015)، ص ص. 141-146.

أفعال إرهابية فهي استتباع لسياسة غربية. أمّا الحرب على الإرهاب فهو واقع. كما أن الصراع الحضاري أو الديني ليس هو الوجه الحقيقي للصراع بين الغرب والشرق، وإنما هو صراع اقتصادي سياسي، وأي خطر قد يهدد أمن الغرب الغذائي والجغرافي والسياسي ينعت بالإرهاب¹.

ومن هنا يتضح لنا أنّ هناك عدّة اعتبارات سياسية، تدخل في تحديد مفهوم الإرهاب، حيث تنتظر بعض الدول إلى الحركات تحررية أو انفصالية على أنها حركات إرهابية في بعض الدول، وتعتبر حركات أخرى مماثلة على أنها مشروعة في دول أخرى وتقدم لها الدعم المادي والمعنوي، فمثلا الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر الحركات التحررية في فلسطين ولبنان على أنها حركات إرهابية، بينما ساندت حركات مماثلة في تيمور الشرقية، وجنوب السودان، وإقليم كشمير، وذلك بما يتفق ومصالحها السياسية.

ونفس الشيء بالنسبة لأفغانستان، فقد قدمت الولايات المتحدة المساندة للجماعات الإسلامية التي صدّت للعدو السوفيتي سنة 1979، حيث وصفت أعمال هذه الجماعات بالجهاد. وأصبح بعدها إرهابا عندما تعارضت مصالح هذه الجماعات مع المصالح الأمريكية².

لقد خلقت الثورات العربية مفاهيم جديدة هي أكثر صلاحية من مقولات الإرهاب وميزت بيئة وغيرها من الممارسات الأخرى كأعمال العنف المشابهة، مثل الحرب المشروعة أو غير المشروعة، والمقاومة المشروعة وغير المشروعة، والانقلاب العسكري، والعصيان المدني، والإضراب الشعبي، والاحتجاج العنيف، سواء فردي أو جماعي، والمظاهرات

¹ - المرجع نفسه، ص. 150.

² - فتوح أبو ذهاب هيك، التدخل الدولي لمكافحة الإرهاب وانعكاساته على السيادة الوطنية (أبو ضبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2014)، ص ص. 28، 29.

والإعتصامات وغيرها، والتي تختلف إختلافا كبيرا عن مفهوم الإرهاب الذي يعني القتل والتدمير¹.

وتتفق العديد من الآراء على أنّ أساس الإرهاب في الشرق الأوسط يرتبط بأسباب أخرى وعلى رأسها:

3- غياب الديمقراطية:

لقد صنّف "شارا نسكي، Charansky" المجتمعات، حسب اختبار سماه "ساحة المدينة"، إلى مجتمعات حرّة، ومجتمعات الخوف، فالبلد الذي يسمح أي مواطن التعبير عن رأئه في ساحة المدينة هو مجتمع حرّ. والبلد الذي لا يسمح بذلك هو مجتمع الخوف وتشمل هذه المجتمعات كل الدول العربية وإيران وباكستان وكوريا الشمالية².

ويرى أن نشر الديمقراطية والحرية في هذه المجتمعات هي ضرورة أخلاقية تفرضها مبادئ إنسانية، كما هو أمر ضروري لحماية أمن المجتمعات الحرّة من خطر المشاكل التي ستصدرها مجتمعات الخوف وعلى رأسها الإرهاب كما أنه في مجتمعات الخوف لا يمكن الاعتماد فقط على نتائج الانتخابات، لأنّ الأنظمة هي التي تتحكم في مصائر الشعوب سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية، والحل يكون بالتدخل الدولي لإقامة المؤسسات الديمقراطية أولا. وبعدها ترسيخ مبادئ الحرية ثم إقامة الانتخابات.

ويشير بذلك على ان النظم ومجتمعاتها، يجب أن تكون مطابقة في منهجها السياسي مع السياسات الأمريكية وإلاّ فهي مجتمعات خوف غير ديمقراطية، وقد صبّ اهتمامه على الوطن العربي وعموم الدول الإسلامية، «فالعرب والمسلمين ليسوا مهيين للديمقراطية، الأمر الذي يستوجب نقلهم إلى الديمقراطية».

¹ - الرّياحي، مرجع سابق، ص.141.

² - رمزي المنيأوي، الفوضى الخلاقة...الربيع العربي بين الثورة والفوضى (دمشق: دار الكتاب العربي، 2012)، ص.10.

كما أضاف نظرية تقوم على فلسفة سياسية تفترض وجود خطر داهم على الأمن القومي الأمريكي في كلّ لحظة من قبل عدوّ مجهول، وهذا التهديد ليس بالضرورة دولة أو منظمة إرهابية، بل يكفي فقط أن يتمّ تصويره من قبل مراكز التخطيط الاستراتيجي الأمريكي في البيت الأبيض والبنّاجون للمبادرة بالحرب¹.

وتختلف الآراء حول عملية غياب الديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط حيث يرى البعض أنّ عدّة عوامل أدّت إلى غياب الديمقراطية في المنطقة ومنها.

أ- الديمقراطية والاستبداد: تعرف كلّ الأنظمة في منطقة الشرق الأوسط تقريبا، على أنها أنظمة استبدادية، ورغم أنّ أغلبها يحضى بوجود أحزاب سياسية، انتخابات دورية منتظمة... إلخ، إلّا أنّها يظفي عليها سيطرة الحزب الواحد على السلطة، ولقد قدم "تري لين كارل" "Teny Lynn Karl" 1995، مصطلح "نظام هجين" "Hybrid Regime"، ليعرف لنا الدولة التي تعمل بالحكم الديمقراطي والاستبدادي معا، فظهرت مصطلحات جديدة أنتجت توجهها شائعا سمي "الديمقراطية مع مواصفات ما" "Democracy With adjectives" ومن هنا سميت هذه الأنظمة ب: ديمقراطية استبدادية، ديمقراطية وراثية، ديمقراطية ذات هيمنة عسكرية... إلخ، وفي المقابل ظهر تيار آخر استبدل الديمقراطية بالاستبداد، أي "الاستبداد مع مواصفات ما"، وصنفت، إلى أنظمة استبدادية تنافسية، استبدادية انتخابية والتي تسمى أيضا الديمقراطية الزائفة، الديمقراطية الافتراضية، ديمقراطية الواجهة... إلخ)، ويكون في هذه الأنظمة مؤسسة انتخابية إلّا أنّها لا تفسر وجود ديمقراطي، والتشريعات إما تكون غير موجودة أصلا، أو يتحكم فيها الحزب الحاكم، والقضاء مسيطر عليه من قبل النظام والإعلام ملك للدولة يخضع للرقابة، وصنفت دول الشرق الأوسط ضمن هذه الدول سنة 2002².

¹ - المرجع نفسه، ص. 11.

² - سليلين بولمي (ت: جلال خشيب)، جذور الاستبداد في الشرق الأوسط (مركز إدراك الدراسات والاستشارات، 2017)، ص ص. 6-9.

- نظم استبدادية تنافسية: كإيران، اليمن، لبنان.
 - نظم استبدادية انتخابية: كالأردن، الكويت، مصر.
 - نظم استبدادية مغلقة: كالبحرين، عمان، العراق، سوريا، قطر، السعودية.
- كما تعاني تركيا باعتبارها أكر ديمقراطية في إقليم الشرق الأوسط، من سياسات غير ديمقراطية، فقد قدمت عدّة انتقادات لحزب العدالة والتنمية لاتجاهه نحو الحكم الاستبدادي وصنفت تركيا على أنها تحضى بحرية جزئية، حيث تدهور فيها معدل حرية الصحافة من حرية جزئية إلّا لا حرية سنة 2014.

ويقدم لنا النظام السياسي الإسرائيلي على أنّه النظام الوحيد الذي يمكن اعتباره نظاما ديمقراطيا في المنطقة وما عدا ذلك فبلدان الشرق الأوسط تقريبا تعرف ديمقراطية متقلبة أو غائبة تماما.

ب- الديمقراطية والإسلام: يعتبر "برنار لويس" أشهر الباحثين المدافعين على فكرة أنّ الاسلام غير متوافق مع الديمقراطية، فغياب الفصل بين السياسة والدين هو السبب لعدم التوافق الموجود، والدولة الإسلامية دولة ثيوقراطية المبدأ، حيث يؤمن المسلمون بأن السلطة الشرعية تأتي من الله فقط، وطالما يستمد الحاكم (ال خليفة) سلطته من الله، ومن القانون المقدس (الشريعة)، فالشعب يخضع للسلطة دون مساءلة ويرى "هنتغتون" أن الإسلام هو المسؤول عن العجز الديمقراطي في منطقة الشرق الأوسط. فحسب رأيه¹ أن الإسلام ليس مضافا للديمقراطية، أي لا يرحّب بها، ففي داخله يحمل عوائق ثقافية تقف أمام عملية الديمقراطية، فالإسلام يرفض التمييز بين المجتمع الديني والمجتمع السياسي، "فالسياسة الحكومية" والتشريعات تتدفق من العقيدة الدينية والخبرة الدينية"، "ومفاهيم الإسلام للسياسة

¹ - المرجع نفسه، ص ص. 10-14.

تختلف وتتعارض مع أسس السياسة الديمقراطية". فتحدث في مقاله "صدام الحضارات" بوجود نزاع عميق بين قيم الغرب وقيم الإسلام، حيث أن المجتمعات المسلمة هي الأكثر عرضة للعنف السياسي وأن كتلة الهلال الإسلامية، من حافة إفريقيا إلى وسط آسيا، هي كتلة ذات حدود دموية". أي أن العنف السياسي في المجتمعات أمر مرتبط بالثقافة الإسلامية التي لا تتوافق مع الأفكار الغربية عن الديمقراطية.

وتضيف "ميللر" Judith Miller أن الإسلام غير متوافق مع قيم التعددية والديمقراطية، وحقوق الإنسان.

ويذهب بلين "Bellin" أن الكاثوليكية والكونفوشيوسية، قد تم أيضا إدانتها بتهمة عدم التوافق مع الديمقراطية إلا أن ذلك لم يمنع بلدان أمريكا اللاتينية، وجنوب أوروبا، وشرق آسيا، من الانتقال إلى الديمقراطية. ولقد قدم ستيفن فيش "Steven Fish" بعرض قائمة لحوادث العنف السياسي في العالم بين 1946-1999. وهي 207 حالة عنف سياسي، وقد سجل فقط 72 حادثة أي 35% من مجموع الحوادث كانت داخل البلدان المسلمة. كما قام أيضا باستخدام مؤشرات "الاستقرار السياسي غياب العنف"، وقارن بين معدات الاستقرار السياسي وغياب العنف بين البلدان المسلمة والكاثوليكية، ووصل إلى نتيجة أن مستوى التنمية الاقتصادية هو العامل الأساسي الذي يحدد درجة استقرار وغياب العنف في البلدان حيث تشهد البلدان التي تحضى بدخل مرتفع بقدر أكبر من الاستقرار وقلة العنف، عن تلك الدول التي يكون فيها الدخل منخفض، ومنه فإن العلاقة بين الإسلام وعدم الاستقرار هي علاقة ضعيفة¹.

ويرجع سبب الكره الشديد للإسلام من طرف الغرب، أنه مازال يمثل عامل قوة ويلعب دورا في تحقيق الوحدة بين دول المنطقة، فرغم كل شيء، خلق قدرة جماعية هائلة ذات

¹ - المرجع نفسه، ص ص. 14-17.

فعالية ووزن في العلاقات الدولية، والتي تشكل تهديدا لمصالح القوى الكبرى التي تسعى بكل قوة إلى منع حدوث أي شكل من أشكال الوحدة والتكامل¹.

ج-الديمقراطية والثقافة العربية: ويذهب آخرون بإلقاء اللوم على الثقافة العربية بدلا من الدين، كسبب رئيسي للعجز الديمقراطي في المنطقة، ويعد "هشام شرابي" أحد أنصار هذه الفكرة، والذي قدم مصطلح وهو السلطة الأبوية الجديدة "Neopatriarchy"، وجوهر هذه الفكرة أنه في المجتمع العربي هناك هيمنة قمعية للأب في العائلة، التي تكون غير قابلة للجدل، وهي نفسها العلاقة بين الرجل والمرأة، ويصل ذلك إلى العلاقة بين الحاكم والمحكومين، وعلاقة أب بالطفل هي العلاقة القائمة بين الدولة والمواطن، وهذا ما خلق ثقافة هيمنة وتبعية في الحياة الاجتماعية والسياسية معا، حيث تفاعلت الهيمنة التقليدية (الأبوية) مع الحداثة في العالم العربي فأنتج مجتمع لا هو تقليدي ولا هو حديث.

في حين يرى لورنس روزن "Lawrence Rosen" أن الثقافة عامل مهم، إلا أنه لا شيء يشير إلى أن الثقافة العربية والإسلام هو الذي يحول دون تطوّر الديمقراطية، ويرى أن البناء المؤسساتي من الممكن أنه أخذ مسارا مختلفا في العالم العربي مقارنة بالعالم الغربي إلا أنه يحذر من الافتراضات القائلة بأن أشكال الدساتير الغربية سوف تناسب بالضرورة الاحتياجات المحلية في الشرق الأوسط.

د-الديمقراطية والغرب: هناك من يرى أن للقوى الخارجية اثر على عملية الديمقراطية في الشرق الأوسط، فمثلا أثناء الحرب الباردة كانت هناك أنظمة استبدادية في الشرق الأوسط مدعومة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي حيث توفر لها أسلحة ومساعدات مالية وتقنية دون مساءلة نمط النظام إذا ما كان استبدادي، طالما أنه لم يكن يهدد مصالحها، وبعد 11 سبتمبر 2001، أخذت الولايات المتحدة الأمريكية الترويج

¹ - سعودي، مرجع سابق، ص.71.

للييمقراطية في الشرق الأوسط، من ضرورة تعزيز انتخابات حرة ونزيهة، إعادة إصلاح مؤسسات الدولة، دعم المجتمع المدني والحقوق المدنية وحقوق الإنسان ولقد باشرت الحكومة الأمريكية أثناء عملية الترويج للييمقراطية نمطين مختلفين أحدهما للأصدقاء، وآخر للأعداء، حيث أن الضغوطات الممارسة على الأصدقاء محدودة جداً، مقارنة بالضغوطات الموجهة للأعداء، حيث كانت هذه الضغوطات الممارسة محدودة جداً، أي مجرد القيام بإصلاحات معينة بطريقة محدودة وذلك بسبب أولويات الطاقة، فهناك أنظمة استبدادية لم تواجه ضغوطات حقيقية طالما تهدد مصالحها الحيوية¹.

وتأخذ عملية الترويج للييمقراطية بالنسبة للاتحاد الأوروبي نفس الشيء، أي أولوية مصالحها الإستراتيجية والاقتصادية، حيث تتجاهل البلدان الأوروبية طغيان النظم السياسية إذا كان ذلك يخدم مصالحها الإستراتيجية، فمثلاً رغم القمع الذي يمارسه النظام في مصر إلا أنه يستقبل قدراً عالياً من المساعدات المالية الأوروبية، فدمقرطة المنطقة كانت دائماً الهدف الثانوي الطاعى على المخاوف والاهتمامات الأمنية والحوية سواء بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، أو الغرب عامة².

ولعلّ هذا ما أثار شكوك دول الشرق الأوسط حول الديمقراطية التي يروج لها الغرب، لأن السعى إقامة ديمقراطية غربية في الشرق الأوسط لا تعكس مصالح الشرق الأوسط، لذا لا بدّ من قيام ديمقراطية تحترم الطبيعة الدينية والثقافية لشعوب المنطقة، أي قيام ديمقراطية شرق أوسطية ذات طبيعة خاصة تراعى رغبات ومتطلبات وخصوصيات المنطقة وشعوبها وليس بالضرورة أن توافق مع الديمقراطية الغربية، حيث أنه رغم وجود بوادر الديمقراطية في المنطقة إلا أن هناك أنظمة مستبدة، وما زال الحكم الفردي سائداً بالإضافة إلى ذلك فإن مختلف الصراعات والنزاعات التي تحدث في المنطقة تعيق قيام الديمقراطية.

¹ - بولمي، مرجع سابق، ص ص. 18-20.

² - المرجع نفسه، ص. 21.

واستنادا إلى ما قيل فهناك من يرجع غياب الديمقراطية في الشرق الأوسط أنها أساس كل المشاكل والأزمات التي تعرفها المنطقة والتي تعرف بالمشاكل السوسيواقتصادية، حيث تحتوي منطقة الشرق الأوسط على دول تعتبر من أفقر دول العالم، التي لا يزيد فيها دخل الفرد عن واحد دولار أمريكي، والذي حدده البنك العالمي كخط الفقر العالمي، وعدة عوامل أدت إلى شيوع الفقر في المنطقة منها الحروب، فبدأ بالصراع العربي الإسرائيلي والحرب العراقية الإيرانية، والأزمة السورية، لبنان، والعديد من الأزمات والصراعات الأخرى التي أدت إلى زيادة الديون الداخلية والخارجية والتي حدثت من النمو الاقتصادي، كما تفاقم مظاهر العجز الاقتصادي بسبب سوء السياسات الاقتصادية، والقرارات السياسية، كما أن بلدان الشرق الأوسط أخذت على عاتقها تكريس نمط الأسواق الموجهة حكوميا، بدلا من الأسواق الحرة، أي غياب الحوافز لتطوير الاقتصاد.

كما تعاني دول المنطقة من سوء التوزيع، حيث أن من يعتلي السلطة تبدو عليه مظاهر الرخاء والرفاهية بينما يعاني الإنسان البسيط لكسب قوت يومه¹.

كما تعرف المنطقة نقشي ظاهرة الفساد، حيث أعلنت منظمة الشفافية الدولية في 03 ديسمبر 2014 أن 21 دولة عربية فشلت في الوصول إلى الحد الأدنى من المعدل العالمي البالغ 43 درجة لبلوغ مرحلة الشفافية والنزاهة المعقولة، أي وجود فساد بالغ في هذه الدول فالسلطة فاسدة وهناك نظام رشاي وتعاملات سرية، حيث يقاس الفساد فيها أنه كلما قربت الدولة من الصفر فهي أكثر فسادا، وكلما اقتربت من المائة تراجع نسبة الفساد، وتفاوتت دول المنطقة بين الدول الفاسدة والأكثر فسادا².

¹ - سعيد عبد الفتاح السيسي (ت: كريم فيصل الظفيري)، الديمقراطية في الشرق الأوسط (كلية الحرب الأمريكية تكتة كارلابل العسكرية، ولاية بنسلفانيا 17013، 2013)، ص.11.

² - منظمة الشفافية الدولية، الفساد في العالم العربي: 21 دولة سقطت في اختبار مؤشر الشفافية الدولية (مركز الروابط للبحوث والدراسات الإستراتيجية، 2014).

وترجع "غادة الزغير" وهي رئيسة قسم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في منظمة الشفافية الدولية، أن النخب الحاكمة المسيطرة والمغيرة لإرادة شعوبها من خلال تزوير العملية الانتخابية، وتقويض التداول السلمي للسلطة، أدّى إلى تغييب الشفافية، خاصة في المعاملات الحكومية وصفقات الأسلحة والنفقة على المؤسستين الأمنية والعسكرية، حيث أشارت إلى الأموال المنهوبة من قبل الرئيس المصري "حسني مبارك" وعائلته 70 مليار دولار، "وزين العابدين بن علي" الذي ينهب 21% من مقدرات تونس الاقتصادية، والرئيس السوري "بشار الأسد" ينهب أموال النفط، وكذلك بالنسبة لليمن 35% من عائدات النفط تذهب للرئيس، وكذلك بالنسبة لتركيا أكّدت المنظمة أن الفساد ارتفع بشكل كبير يمارسها أشخاص مقربين من الحكومة¹.

وكلّ هذا زاد من تدهور مفهوم الديمقراطية التي تقوم عليها الحكومات، حيث يتلاعب من يستحوذ على السلطة بالطبقات الفقيرة لتأثير عليهم، فظهر أسلوب الشيء مقابل الشيء "كسلوك اجتماعي طبيعي، فظهر لدى الناس توجه قوي نحو شراء مواقف السياسيين الناشطين، مقابل مصالح معينة، وبالإضافة إلى كل هذا هناك افتقار لنظام تعليمي قوي يؤثر في إقامة الديمقراطية في الشرق الأوسط، فتعداد السكان الأميين الذي لا يعرفون القراءة والكتابة يقترب من 30-45% من مجموع السكان، باستثناء بعض الدول كإسرائيل، فالنظام التعليمي هزيل، ويتصف بقلة الإلتزام بالحضور، وندرة الأدوات التعليمية والتمويل المحدود وقلة القادرين على الولوج للشبكة العنكبوتية العالمية (الأنترنت)، كما تتصف مناهج المؤسسات التعليمية بالعشوائية².

وتستحوذ مشكلة التشغيل والبطالة اهتمام صنّاع القرار والجماعات ووسائل الإعلام هي والمشكلة التي تشغل بال كلّ أسرة في المنطقة، خاصة وأن منطقة الشرق الأوسط تعرف

¹ - المرجع نفسه.

² - السبسي، مرجع سابق، ص ص. 12، 13.

أعلى معدلات للنمو السكاني في العالم ويشهد الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 15-29 سنة أعلى نسب البطالة والتي بلغت نسبة 2011 نسبة 26.6%، خاصة وأن أغلبهم خريجوا جامعات أو مراكز تكوين¹، وهذا ما أفرز مشكلة أخرى ألا وهي الهجرة التي سببها البطالة أخرى منها:

1-أسباب مرتبطة بسوق العمل:

- تزايد أعداد الخريجين الحاصلين على شهادات عليا والباحثين عن العمل، فالسوق يقف عاجزاً عن استيعاب هذه الأفواج.

- عدم التكافؤ بين الكفاءات وفرص العمل فالتقليص من قدرة التوظيف في القطاع العام نتيجة للسياسات الاقتصادية الصارمة، جعلت الوظائف المتوفرة دون حجم الطلب، والحصول عليها يتطلب منافسة قوية بين المترشحين، وفي المقابل فمعدل التوظيف منخفض في القطاع الخاص الذي يشكي من عدم التلاؤم بين التكوين وحاجات سوق العمل، وذلك نتاج لعدم وجود تنسيق واتصال بين الجامعة والاقتصاد والسياسة العلمية والتكنولوجية.

2-أسباب سياسية: ومنها الانتقاد للآليات الديمقراطية التي تكفل تكافؤ الفرص، حيث لا تقدم نفس الفرص لكل المواطنين.

- تواضع الميزانية المخصصة للبحث العلمي، فالنفقات الكلية المخصصة للبحث تظل متواضعة ومنخفضة مقارنة بالمعدلات المسجلة في الولايات المتحدة الأمريكية التي تخصص 2.4%، والاتحاد الأوروبي 2%، اليابان 2.8%، كوريا الجنوبية 2%.

¹ - مؤتمر قضايا الإصلاح العربي: الرؤية والتنفيذ، المحور الأول: الإصلاح الاقتصادي (الإسكندرية: منتدى البحوث الاقتصادية للدول العربية وإيران وتركيا 2015)، ص.29.

- ضعف وسائل التحفيز الفكري المختبرات، المكتبات، روابط مهنية¹.

3-أسباب مستقطبة:

كما يرجع سبب الهجرة إلى زيادة الطلب العالمي على اليد العاملة خلال العقود الأخيرة، فأصبحت معظم الدول كأستراليا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأوروبا والدنمارك... إلخ، تعتمد في بحثها عن هذه الكفاءات بتطبيق نظام النقط، حيث يتم اختيار هذه الكفاءات على أساس الخبرة المهنية، والشهادات المتحصل عليها... إلخ، فقد جاء ساركوزي بمفهوم الهجرة الانتقائية، أي تلك التي تلقت تكويناً عالياً في بلادها، كما أن استقطاب هذه الكفاءات في الدول المتقدمة لا يقتصر فقط على المهارات العلمية ولكن حتى على رجال الأعمال، فمثلاً تمنح الولايات المتحدة الأمريكية "البطاقة الخضراء" "EB-5" للأجانب الذين يلتزمون باستثمار مليون دولار على الأقل في مشاريع تجارية تخلق على الأقل عشرة مناصب شغل لمواطنين أمريكيين، أو المهاجرين بطرق شرعية.

وفي ألمانيا تمنح بطاقة إقامة للمهاجرين الذي يستثمران على الأقل 250 ألف يورو ويخلقون على الأقل خمسة مناصب شغل لمواطنين ألمان مما زاد من نسبة المستثمرين الأجانب في هذه الدول.

كما أنه توجد عدّة أسباب مهنية حيث أن هناك محيط جاذب في البلاد المتقدمة يتصف بظروف عمل وحياة مغرية، وجود عقلية التنافس، مرونة تنظيمية، إمكانيات مستقبلية في الترقى في العمل والوصول إلى فرص جديدة، وهناك عوامل مهنية ذات صفة شخصية كحوافز في الأجور وأنظمة ضمان اجتماعي جدّ متطورة، الوصول إلى اختيار أفضل بشأن تـمدرس الأطفال².

¹ - إيناس الفرجاني وآخرون، الهجرة الدولية والتنمية، (القاهرة: جامعة الدول العربية، 2014)، ص ص. 50-52.

² - المرجع نفسه، ص ص. 53، 54.

فإذا كانت الفئات المتعلمة في المنطقة، تواجه كل هذه الصعوبات التي دفعت بها للهجرة فلا حديث عن الفئات الأمية، أو الشباب غير المتعلم البطل الذي وجد في الهجرة غير الشرعية انسب حل لمشاكله المختلفة والذي يترصد كل فرصة الرحيل، حيث تفقد المنطقة أعداد هائلة من شبابها غرقا في البحار في محاولتها للوصول إلى دول أخرى سعيًا منها الحصول على فرص أفضل.

إن منطقة الشرق الأوسط تشهد تدفقات هجرة كبيرة ومعقدة، حيث عبر أكثر من 200.000 لاجئ ومهاجر البحر المتوسط إلى أوروبا سنة 2014، وأغلب القوارب تتطلق من السواحل المصرية والليبية والتركية كما أنه بسبب المراكب غير الآمنة، والوقوع تحت أيادي المهربين والمتاجرين بالبشر، فقد هلك حوالي 3600 شخص في البحر، أثناء محاولتهم الوصول إلى أوروبا، كما أنه نظرا لنقص المعلومات في هذا الشأن، فالنسبة قد تكون أكثر بكثير، ولقد سجل السوريون أعلى النسب من هؤلاء المهاجرين نظرا لاضطرابات والعنف الكبير الذي تشهده سوريا (يمثلون الربع)، ومواطنون آخرون من جنسيات متنوعة مصرية، فلسطينية... إلخ¹.

المطلب الثاني: تأثير العوامل المادية على منطقة الشرق الأوسط.

1- النفط:

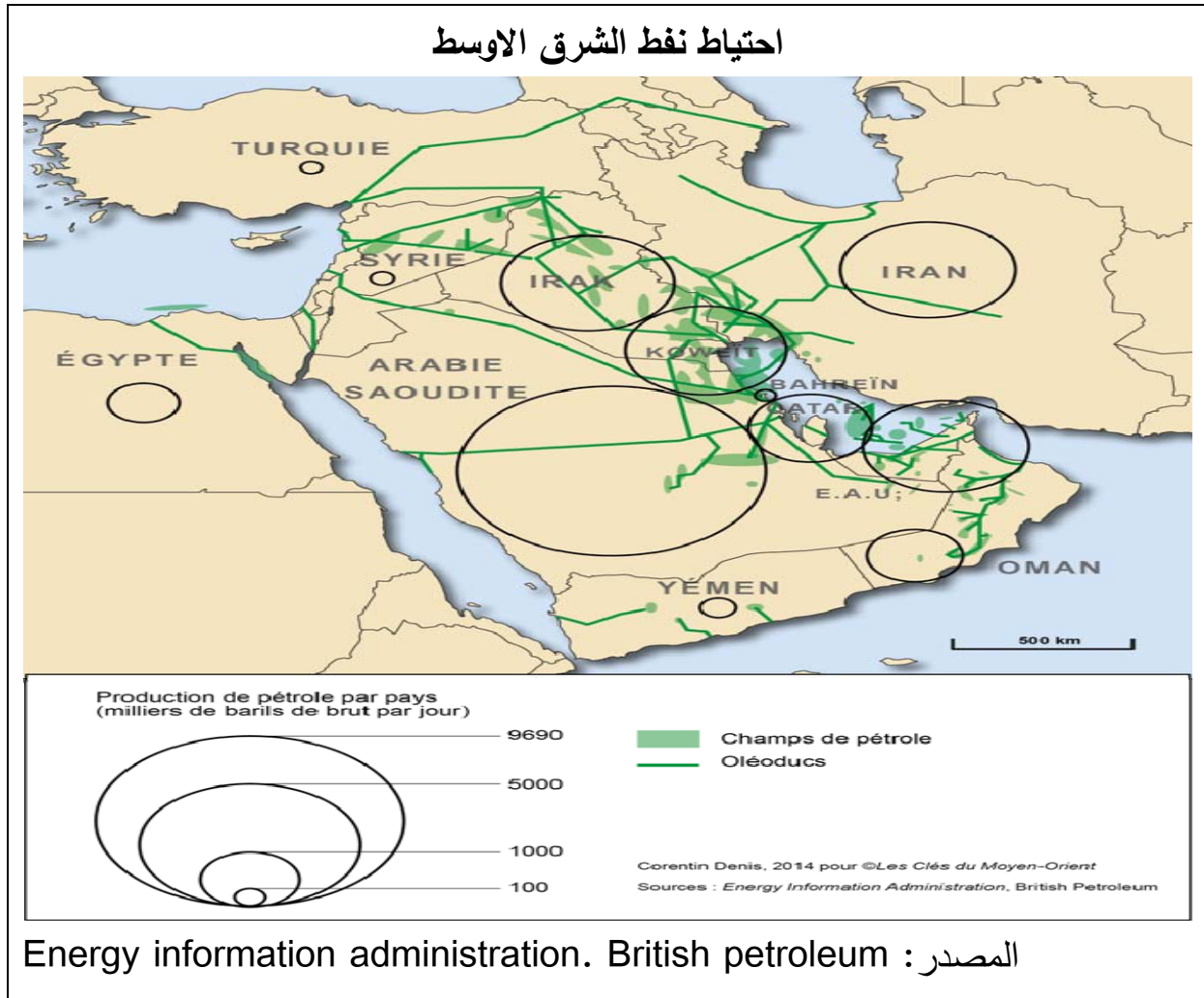
تعتبر منطقة الشرق الأوسط من أغنى المناطق في العالم بالثروات الطبيعية فهي تحتوي على كميات هائلة من النفط حيث تحتوي منطقة الشرق الأوسط على ثلثي النفط العالمي يتوزع بشكل متفاوت بين الدول : فيستحوذ حوض شمال العراق على 15%، إضافة إلى حوض الخليج العربي الذي يشمل مجموعة حقول ممتدة بالقرب من سواحل الخليج العربي، ويعتبر من أغنى الأحواض النفطية في الشرق الأوسط بنسبة قدرها 65% ونضيف

¹ - المشاورة الإقليمية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا، القمة العالمية للعمل الإنساني (عمان: 3-5 مارس 2015)، ص.9. في:

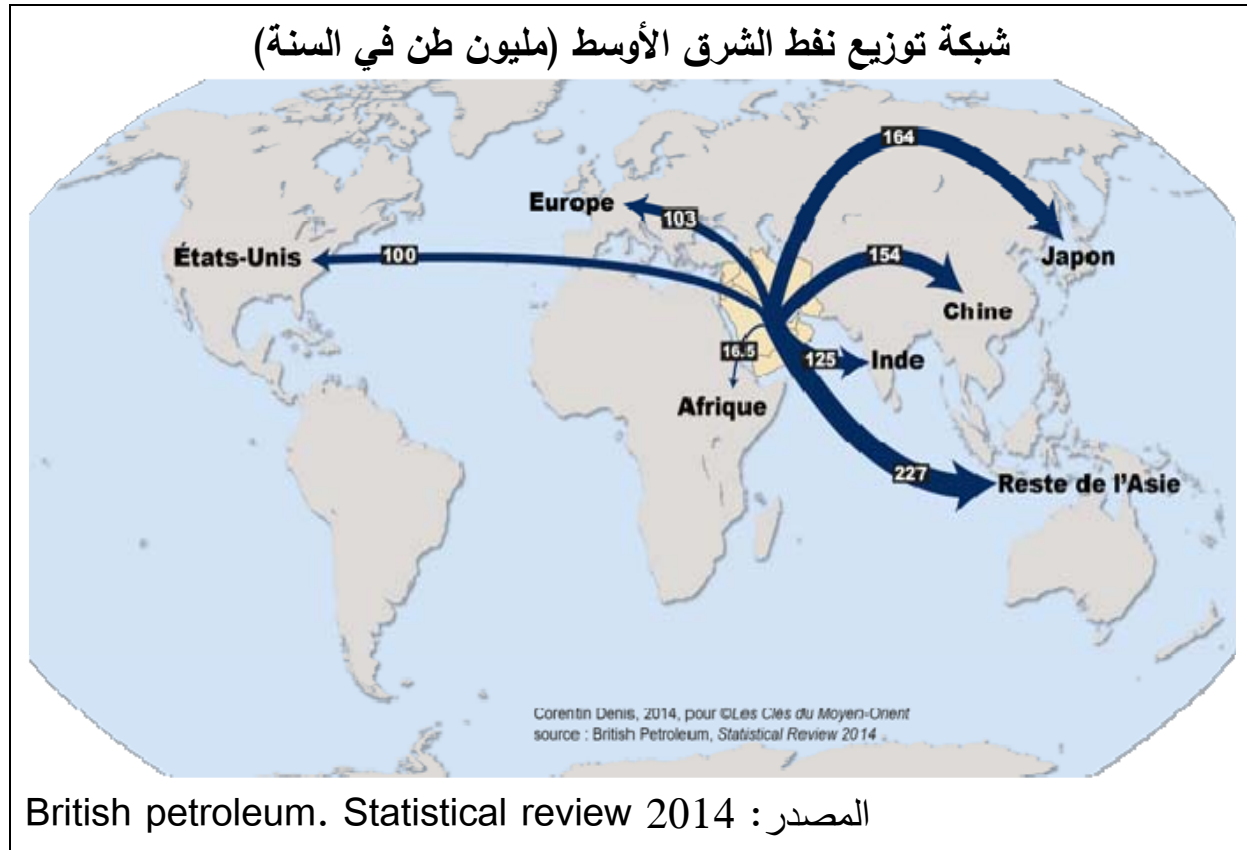
إلى ذلك حقول نفطية تتوزع على جانبي خليج السويس، اما بالنسبة لايران فهي تحتوي على حوالي 20% من احتياط النفط الشرق اوسطي كما هو موضح في الشكل و الخريطة اسفله:

إحصائيات المنتدى العالمي للطاقة (2015)
ومنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (أوابك)

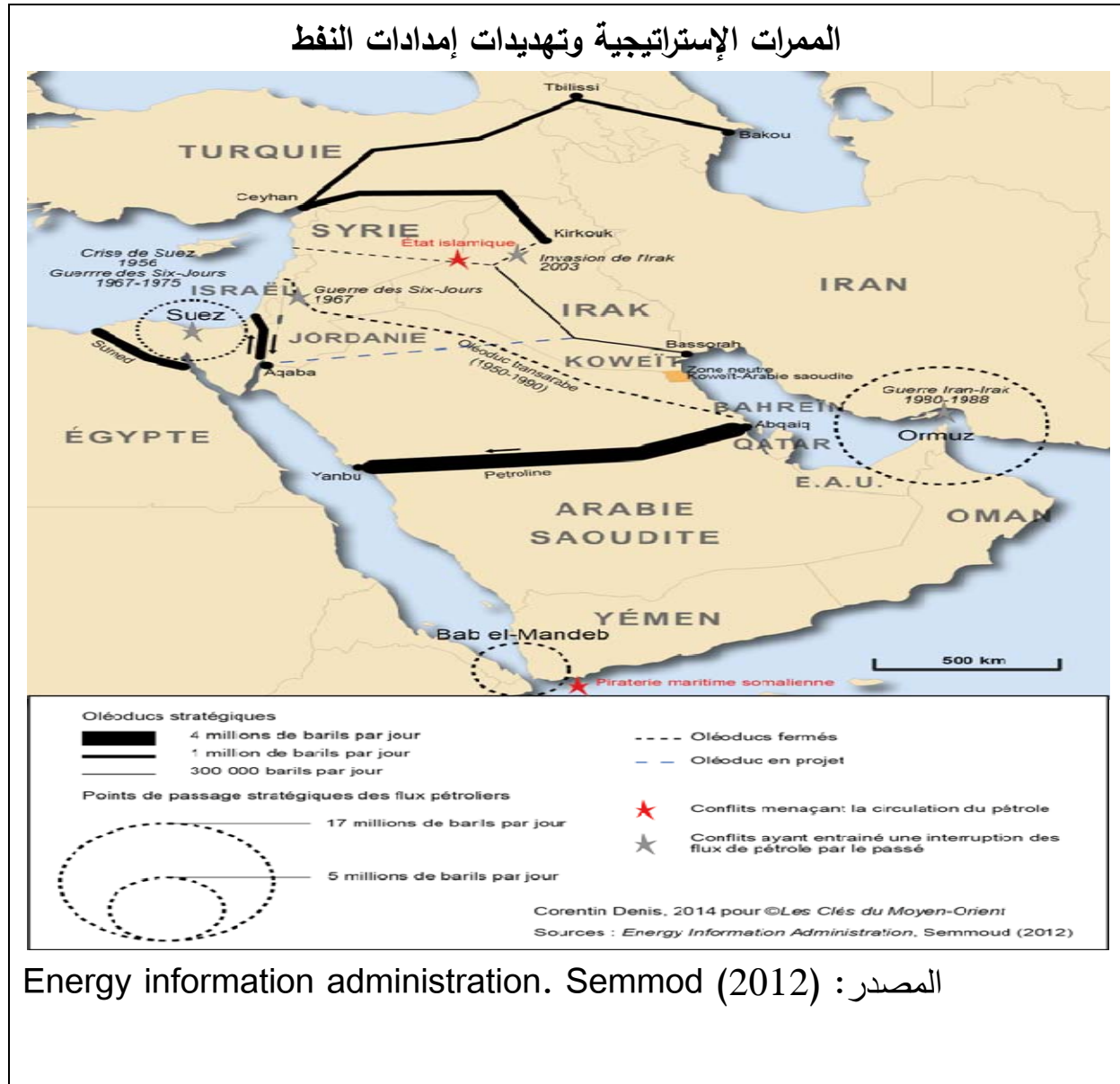
البترول			الدول
الاحتياط (مليار برميل)	التصدير (ألف برميل يوميا)	الاستهلاك الخاص (ألف برميل يوميا)	
266.6	7163	2696.3	السعودية
157.8	1.2		إيران
143.1	3004.9	632.3	العراق
101.5	1963.8	320.6	الكويت
97.8	2441.5	440.2	الإمارات العربية
25.7	562	149.2	قطر
المصدر: British petroleum. Statistical review:			



كما تعتبر المنطقة مصدر مهم في تزويد العالم بالنفط خاصة الدول الكبرى حيث تصدر السعودية لوحدها الى كل من اليابان حوالي 59 مليون طن ، تليها الولايات المتحدة بـ 54 مليوناً و 800 ألف طن، في حين جاءت الصين في المرتبة الثالثة بـ 51 مليون طن. ونجد ايران التي تصدر حوالي 550 الف برميل يوميا الى الصين التي تأتي في المرتبة الأولى حيث تستوعب 22% من صادرات ايران النفطية ثم اليابان 327 الف برميل في اليوم اي 13% من الصادرات و الهند 310 الف برميل في اليوم اي 12% من صادرات ايران و بعدها كوريا الجنوبية 228 الف برميل في اليوم. بالتالي تعتبر اسيا اكبر مستورد لنفط الشرق الاوسط كما هو موضح في الخريطة أسفله:



إلا أنه رغم كل هذه الثروات الطبيعية فإن ذلك عاد بالسلب على العديد من دول المنطقة باعتمادها على وكذلك وقوعها فيما يسمى بلعنة النفط وهذا ما جعلها محطة استقطاب وأطماع العديد من القوى حيث ان المنطقة شهدت العديد من الصراعات والحروب جراء ذلك اهمها حربي الخليج الأولى والثانية والغزو الامريكي للعراق 2003 من أجل السيطرة على اهم منابع النفط كما هو موضح في الخريطة.



- تشكل منطقة الشرق الأوسط مصدرا هاما لتزويد الدول الصناعية بالنفط، كما أنها تمثل مخزونا واحتياطا عالميا، والذي انعكس على المنطقة انعكاسا ذو طبيعتين أحدهما إيجابي، تمثل في التقدم الصناعي والانماء الاقتصادي الذي تشهده بعض الدول في المنطقة، وتنامي قدراتها حيث استخدمت النفط كأداة لتحقيق مصالحها السياسية، فمثلا القدرات المالية التي تتمتع بها بعض دول المنطقة كالسعودية مكنتها من كسب المواقف والخيارات السياسية لصالحها خاصة على الصعيد الإقليمي وعلى صعيد دول العالم الثالث، من خلال سياسة المنح والقروض المساعدات أمّا من حيث

الجانب السلبي فإن الدول الغنية بهذه الثروة مستهدفة من قبل القوى الكبرى التي تحاول ممارسة سياسة الهيمنة والتسلط بشتى الطرق، التدخل السياسي أحيانا والعسكري أحيانا أخرى وذلك لضمان حصولها على نفط المنطقة، أي التحكم في إنتاجه، توزيعه وأسعاره، من خلال شركاتها وأدواتها الاقتصادية المختلفة¹.

يرى البعض أنه منذ 1980 أصبحت الدول التي لا نفط لها أكثر ديمقراطية وسلاما وفي المقابل أصبحت الدول النفطية كالشرق الأوسط مبعثرة لا سلام ولا ديمقراطية فيها حيث تراجع فيها الدخل الفردي، وعرفت العديد منها حروبا أهلية، ما أنتج علةا اقتصادية وسياسية واجتماعية شكلت ما يسمى بنقمة أو لعنة الموارد².

يتفق الجميع على أنّ الأداء الحالي لدول الشرق الأوسط، لا يرتقي إلى مستوى تلك الإمكانيات الكبيرة التي تحضى بها المنطقة، فمن المفترض أن تكون هذه الدول التي لها مورد طبيعي كالنفط أفضل من حيث فرص التنمية، عن الدول التي تفتقر لهذه الموارد، لأنها ستتمكن من الحصول على السلع والتقنية اللازمة للتنمية، وتحقيق الرفاه، وترتقي بمستوى معيشة سكانها بتوفير السلع والخدمات الاستهلاكية في حين صبّ النفط في المنطقة بالنقمة عليها حيث أن هناك من يرجعه سببا لتراجع معدلات النمو الاقتصادي، ومستوى رفاه المجتمع، وذلك لعدة أسباب منها أنّ الربيع النفطي قد أفرز نظاما استبدادية، فاعتماد الدولة على الربيع النفطي كسر حلقة الشفافية والمساءلة التي تربط بين المجتمع والحكومة³.

كما أن ربط اقتصاديات الدول بارتفاع وانخفاض أسعار النفط أثر بالسلب عليها فالإنخفاض الذي حدث مؤخرا في أسعار النفط أثر على سياسات دول الشرق الأوسط، حتى

¹ - خالد الحراري، مفهوم القوة في السياسة الدولية (مصر، مطابع الأهرام، 2015)، ص ص. 89، 90.

² - مايكل إل روس (ت: محمد هيثم نشواتي)، نقمة النفط كيف تشكل الثورة النفطية تنمية الأمم (مكتبة مؤمن قريش: منتدى العلاقات العربية والدولية، 2014)، ص. 27.

³ - يوسف الخليفة اليوسف، الاقتصاد السياسي للنفط: رؤية عربية لتطورات (بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية، 2015)، ص ص. 118، 119.

تلك التي لها نفوذ إقليمي كإيران والمملكة العربية السعودية، التي هي الأخرى تعتمد بشكل كبير على النفط لتمويل حكومتها كما أن انخفاض الأسعار فرض تحديات سياسية داخلية بسبب الأنظمة الرعوية التي تحتاج إلى إيرادات متزايدة لتلبية احتياجات السكان المتزايدة¹.

في حين يرى بعض المراقبين أن سبب لعنة النفط في الشرق الأوسط سببه القوى الأجنبية التي تتدخل في هذه البلدان الغنية بالنفط وتتلاعب بحكوماتها. ويلقي البعض اللوم على شركات النفط العالمية التي تستغل هذه الموارد والتي تحقق أرباحا غير عادية².

إن ما يعرف بنقمة النفط ليس حتميا لوجود دول استطاعت تحويل مواردها الطبيعي إلى أداة تنمية كالنرويج (النفط)، بوتسوانا (الألماس)، فهناك دول استطاعت توفير الشروط اللازمة الذي جعل من هذا المورد الطبيعي نعمة، وهناك دول أخفقت في تحقيق هذه الشروط فتحول بذلك إلى نقمة كدول الشرق الأوسط والدول الإفريقية³.

¹ - عريفوري كوس، هبوط أسعار النفط الأسباب والتبعات الجيوسياسية (الدوحة: مركز بروكنجر، 2015)، ص.1.

² - إل روس، مرجع سابق، ص.32.

³ - اليوسف، مرجع سابق، ص.119.

2-الجيش والأسلحة:

أقوى 15 جيشا في الشرق الأوسط لسنة 2014.						
الدول	الجنود النظاميين	الدبابات	الطائرات	الرؤؤوس العربية النووية	الغواصات	الميزانية (\$مليار)
تركيا	410.500	3657	989	0	14	18.185
إسرائيل	176.500	3870	680	80-200	14	15.000
مصر	468.500	4767	1100	0	4	4.400
إيران	545.000	2409	481	0	31	6.300
السعودية	233.500	1095	652	0	0	56.725
سوريا	178.000	4950	473	0	0	1.872
الإمارات	65.000	545	444	0	0	14.375
اليمن	66.700	1260	181	0	0	1.440
الأردن	110.700	1321	246	0	0	1.500
العراق	271.500	357	212	0	0	6.055
عمان	72.000	215	101	0	0	6.715
الكويت	15.500	368	101	0	0	5.200
البحرين	13.000	180	105	0	0	0.730
قطر	11.800	90	72	0	0	1.930
لبنان	131.100	318	57	0	0	1.735
المصدر: <i>BUSINESS INSIDER/ Global Firepower. The center for arms Gontiol and Nom holiferation</i>						

تحتل السعودية المرتبة الثانية في تصنيف الدول الأكثر استيرادا للأسلحة خلال الفترة الممتدة ما بين عامي 2011-2017م، إذ ارتفعت وارداتها بنسبة 275% مقارنة بالفترة الممتدة بين عامي 2006 و 2010م.

أما قطر فقد زادت بنسبة 279%، ومصر بنسبة 37%، أما العراق فقد زادت بنسبة 83%، في الفترة نفسها، وهذا يعود إلى ثورات الربيع العربي التي مست المنطقة ما جعل هذه الدول تنهياً لأي ثورة فجائية تمس أقاليمها.

أما فيما يخص مبيعات الأسلحة فتتصدر أمريكا السوق بنسبة 33% من مبيعات السوق العالمي، ثم تليها روسيا بنسبة 25% بعد ذلك تأتي الصين بنسبة تقدر 15.9%. فيما يخص الأسلحة المتداولة والمتواجده بكثرة في دول الشرق الأوسط منها:

الأسلحة الخفيفة:

- السلاح الآلي سريع (الكلاشينكوف) - الرشاش الآلي العراقي - RPG-7s.
- الرشاش الإسرائيلي - الرشاش البلجيكي (الجرينوف) - RBG6 - FIM92 - AK47.
- الأري جي ملقى للقذائف - M40 - M79 - M16 - MANPADS (9K₃₂ و SA-16).

الدبابات:

- T-55 السوفياتية. ثم إنتاجها بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. -T-72 الجيل الثاني من الدبابات.
- T-62 السوفياتية استخدمت على نطاق واسع من طرف العراق ضد إيران. BMP-1.
- BRDM-2 السوفياتية هي سيارة دورية مدرعة برمائية -MT-LB مركبة مدرعة.
- (همفيس) الحربية أمريكية الصنع -قاذفات صواريخ (UB-16 و BM-21).

الطائرات:

- F16-MIG21-F الأمريكية -الطائرات الهجومية (أباتشي) -F-15SA.
- (يورو بيتر تابفون) البريطانية -SO-30-ميراج 9-2000.

3-المياه:

¹ - نيكولاي كوز تحاف، "صادرات الأسلحة الروسية إلى الشرق الأوسط"، جامعة بتر سبرج الدولية، 2015.

رغم ما تحتويه منطقة الشرق الأوسط من موارد مائية كبيرة كقناة السويس ومضيق هرمز وباب المندب... إلخ وامتلاكها لاثنتين من أهم الأحواض النهرية في العالم، حوض النيل الذي يضم مصر والسودان وحوض الفرات ودجلة الذي يضم سوريا والعراق إلا أنها تعاني من نقص المياه¹.

فترتبط مسألة المياه في الوقت الحاضر بالأمن القومي، كنتيجة للتصحر، والتزايد السكاني والجفاف... إلخ. ففي دراسة لمعهد أمريكي عن أزمة المياه، يؤكد، الدكتور "بطرس غالي" أن أبرز حروب المستقبل سيكون سببها ندرة المياه، وسبب ارتباط الماء بالأمن القومي، أن هذا الأخير أصبح هشا، وتحول من قضية اقتصادية إلى قضية بقاء ووجود وقضية المياه (الشرب، الزراعة، الصناعة،... إلخ)، قد تكون مسألة تأمينها مسألة، تتداخل فيها شبكة العلاقات الدولية فيما بين الدول ببعضها البعض، والتي قد تصبح أحد أهم محاور الصراعات الإقليمية والدولية، وأشكال النزاعات والتوترات².

ونظرا لأهميته البالغة عند الدول وكيفية تقسيم فائدة هذه المياه فيما بينها جر بها إلى المنافسة والاختلاف على كيفية ومدى تصريفها، وعلى رأسها نجد الاهتمام الإسرائيلي المائي بالجلولان السورية الذي يتركز على نهري الأردن والبرموك، و مطالبتها بحصة من مياه النيل يبلغ 100 مليون متر مكعب سنويا لذلك تسعى إسرائيل جاهدة للربط بين الترتيبات الأمنية والترتيبات المائية³. كذلك الدور الذي تلعبه تركيا في استخدامها للمياه كعنصر سياسي للضغط على الدول المجاورة لها، ومن أجل القيام بمعطيات تنمية اقتصادية صناعية وزراعية كبيرة.

¹ - واثق رسول آغا، الموارد المائية المتاحة في الوطن العربي، الندوة البرلمانية العربية الخامسة، 1997، ص36.

² - سعودي، مرجع سابق، ص ص 46، 47.

³ - عدنان حميدان، خلف الجراد، الأمن المائي العربي ومسألة المياه في الوطن العربي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، م. 22، ع. 2، 2006 - ص. 29.

بالتالي فإن الدول مستعدة للقتال على المصادر الحيوية، لأنه عمل شرعي من أجل تحقيق الأمن القومي، وفي هذا الصدد أكد "موشي شاريت" رئيس الوزراء الأسبق لإسرائيل: «الماء بالنسبة لإسرائيل ليس ترفاً، ليس مجرد إضافة مرغوبة ومساعدة إلى مواردنا الطبيعية، الماء هو الحياة»، ووفقاً لهذا فإن أي تهديد للتدفق المستمر لإمدادات الماء سيعتبر سبباً مبرراً للحرب، إذا ما أثبتت الوسائل الأخرى أنها غير مجدية ويقول "كلاوس توبفر" "Toepfer K.Laurs"، الأمين العام لليونسكو 1999: «أكثر الصراعات حرارة في المستقبل القريب سوف تخاض على الماء أكثر مما تخاض على الأرض أو النفط»، ويقول "إسحاق رابين"، رئيس الوزراء الإسرائيلي: «إذا توصلنا إلى حل كل مشكلة أخرى، في الشرق الأوسط، ولم نحل بشكل مرض مشكلة المياه فإن المنطقة ستنفجر».

إن الصراع ليس جديداً، فهو سمة للسلوك البشري في كل مراحل التاريخ وعرفته مختلف الحضارات*. فمثلاً الحرب العربية الإسرائيلية 1967 قد فجّرها إلى حدّ كبير الاقتتال على روافد نهر الأردن، كما كادت العراق وسوريا أن تتدخلتا في حرب 1975، عندما بدأت سوريا بملء بحيرة الأسد، وخفض تدفق نهر الفرات نحو العراق، وتكمن مشكلة المياه في الشرق الأوسط أن الكثير من مصادر المياه تشترك فيها بلدان أو أكثر، وهذه البلدان والمناطق مقسمة وفق خطوط سياسية ودينية وإثنية وإيديولوجية، فمن المحتمل أن تشتد النزاعات على المياه بفعل هذه العدوات التاريخية¹.

فمثلاً إذا ما أخذنا الدجلة والفرات فهي تمثل مشكلة المياه بين سوريا، العراق، تركيا حيث أن منابع النهرين تصب في هضبة الأناتول. وحين يتجهان نحو الجنوب، ترفد الدجلة

* - سجل أن بني إسرائيل لم يستطيعوا دخول "أرض المعاد" الوديان الخصبة لحوض نهر الأردن حتى طردوا سكانها الأصليين وعندما هاجم ملك "أشور سنحارب" مدينة بابل 689 ق.م، قام بتدمير منشآت رعي المدينة، وقال أنه بذلك قد دمر هيكل أساسها، كما أنه في سنة 1898 كادت بريطانيا وفرنسا أن تدخل في حرب على موقع استراتيجي في النيل "الفاشودة" في جنوبي السودان.

¹ - عدنان، مرجع سابق، ص ص. 150-174.

أنهار عديدة من سفوح الهضبة الإيرانية، ويجري الفرات من منابعه التركية ليخترق سوريا "حرابلس" بمسافة 180 كلم قبل أن يدخل العراق عند البوكمال، ويلتقي بالدجلة ليشكلا شط العرب الذي ينتهي في الخليج العربي وهذه الثلاثية ما زاد تعقيدا على مسألة النهر، حيث ترى تركيا أن نهري الدجلة والفرات ليس نهريين دوليين ولها حق السيادة على مياهها، حيث أنهما ينبعان من أراضيها، لذا فهما مصدرا طبيعيا خاصا بها ولها الحق في التصرف فيهما وترى أن المباحثات حول وضع النهريين يجب أن لا يركز على قسمة هذه المياه بل أن تقوم على أساس مبدأ الاستخدام الأمثل*، في حين ترى سوريا والعراق أن الدجلة والفرات نهريين دوليين وفقا للقواعد القانونية الدولية. وعليه فالسيادة على مياه النهريين يجب أن تكون مشتركة بين الدول الثلاث¹.

مع ازدياد عدد السكان في منطقة الشرق الأوسط زاد معه الطلب على المياه من أجل الاستعمال اليومي وإنتاج الغذاء وغيرها، فقد ثبت أن الماء في المنطقة غير كاف لسدّ الحاجيات البشرية الكبيرة، كما أنه مع تغيير المناخ العالمي زاد الأمر تعقيدا، فمع تراكم الغازات الدفيئة في الغلاف الجوّي، فإن متوسط درجة حرارة العالم سيرتفع، وتنبدل بذلك أنماط هطول المطر في أجزاء كبيرة من العالم، ما يعني ارتفاع مستويات المطر، في بعض المناطق وانخفاضه في مناطق أخرى، واثبت العلماء أن الكثير من المناطق الداخلية الدافئة مثل شمال شرق إفريقيا التي يمر عبرها نهر النيل، وجنوب غرب آسيا التي يجري عبرها نهري الدجلة والفرات، سيقبل إمدادها بالماء².

* - مبدأ الاستخدام الأمثل: يقوم هذا المبدأ على القيام بدراسات فنية موسعة للتربة في البلدان الثلاث. حيث يتم تشكيل لجان فرعية، تحدد أصناف التربة وأنواع المحاصيل الزراعية التي يتوجب زراعتها وعلى هذا الأساس يتم تحديد الاحتياجات المائية لكل بلد.

¹ - سعودي، مرجع سابق، ص ص. 125-127.

² - عدنان، مرجع سابق، ص ص. 150، 151.

كما يؤكد المراقبين على أن منطقة الشرق الأوسط، من أكثر مناطق العالم ندرة من حيث المياه، حيث يبلغ متوسط كمية المياه المتاحة للفرد سنوياً على مستوى العالم 7000 متر مكعب، بينما يبلغ متوسط كمية المياه المتاحة للفرد سنوياً في الشرق الأوسط حوالي 1200 متر مكعب، خاصة مع توقع النمو السكاني في المنطقة من 300 مليون نسمة إلى 500 مليون نسمة 2025، فمن المنتظر تراجع كمية المياه المتاحة للفرد سنوياً إلى النصف أي 600 متر مكعب بحلول 2050.

ويجتمع المراقبين أن الكثير من البلدان في الشرق الأوسط، تستخدم المياه بصورة تتسم بالإسراف، فاستهلاك الفرد من المياه المحلية في دول الخليج هو الأكثر على مستوى العالم، بحيث يزيد هذا المعدل بنسبة 50% للفرد على معدلات الاستهلاك في الولايات المتحدة الأمريكية، كما أن نسبة تسرب المياه من شبكات التوزيع في المدن تتراوح في الغالب بين 40 و 50%، كما تعرف نوعية المياه تدهوراً، فانعدام كفاءة البنية التحتية للصرف الصحي أدى إلى تلوث المياه السطحية والجوفية، ما أثر سلباً على البيئة والصحة العامة حيث تشير التقديرات أن هناك دولاً في المنطقة تشهد نسباً من الإصابة بالأمراض، والوفيات بسبب تلوث المياه¹.

¹ - البنك الدولي، "الموارد المائية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا"، في:

<http://web.worldbank.org/WBITE/EXTERNAL/COUNTRIES/MENAEX/EXTMINAREGTOPWAT/RES/O,contentMDK:21755910-menu PK:497170-1.2/3>.

المبحث الثالث: الربيع العربي.

سنحاول في هذا المبحث تحديد معنى الربيع العربي، وبعض المفاهيم القريبة، لتحديد المفهوم الأنسب والأقرب للأحداث التي تجري في المنطقة، وأهم الأسباب والعوامل الداخلية والخارجية التي أدت إلى حدوثها.

المطلب الأول: مفهوم الربيع العربي.

1-الربيع العربي:

يعتبر الربيع العربي من أهم الأحداث في التاريخ العربي المعاصر، والذي لم يلقى توافق وإجماع على توصيفه، حيث ظلّ "الربيع العربي" مثيرا للجدل النظري والفكري والفلسفي والسياسي، في كلّ أبعاده ومستوياته، فمنذ أن أضرم الشاب التونسي "محمد البوعزيزي" النار في نفسه سنة 2010، وإشعال ثورة الياسمين في تونس، وانتقالها إلى ثورة إرحل في مصر وامتدادها إلى ليبيا، وبلغت اليمن، واستقرت في سوريا، مازال لم يتم الاتفاق على المصطلح المناسب لهذه الأحداث، ومازال السؤال مطروحا حول ما حدث إذا ما كان ثورة، أو انتفاضة أو حراك، أو انقلاب أو...¹.

فمصطلح "الربيع العربي" قد طرح جدلا كبيرا على الساحة العربية والإقليمية والدولية فمنذ انطلاق شرارته الأولى، أصبح المصطلح الأكثر رواجاً على المستوى الإعلامي وتبناه الأكاديميون في تحليلاتهم، ولكن نتساءل هل حقيقة أن هذا المصطلح هو الأصح، أو يشكل توصيفا حقيقيا للأوضاع التي تمرّ بها المنطقة.

لقد اجتمع العديد من الخبراء على أن مصطلح "الربيع العربي" قد تم استوراده من بيئة غير البيئة العربية، فقد تم استعارته من أدبيات الحراك الأوروبي عام 1848، كما استخدم أيضا في براغ تحت مسمى "ربيع براغ" بتشيكوسلوفاكيا 1968، وقد تم استخدام مصطلح

¹ - عبد الخالق عبد الله، "الربيع العربي مصطلحاته ومساراته وانعكاساته"، التقرير العربي السابع للتنمية العرب بين مآسي الحاضر وأحلام التغيير أربع سنوات من الربيع العربي، (بيروت: مؤسسة الفكر العربي، 2014)، ص.449.

الربيع العربي من طرف مختلف وسائل الإعلام الغربية وصناع القرار فيها، لوصف الاحتجاجات التي انطلقت في مختلف الدول العربية في بداية 2011، مشابهة بذلك الاحتجاجات التي شهدتها أوروبا الشرقية، بعد سقوط الاتحاد السوفياتي. كما أنه لو كان عربي المنشأ، لثم تسميته بـ"الشتاء العربي" بحكم انطلاقته في فصل الشتاء وما حمله من رياح وعواصف أسقطت أنظمة دكتاتورية.

أما ربط الربيع بـ"صفة عربي"، فإنه من شأنه إقصاء الأقليات غير العربية، التي شاركت في الحراك، على غرار الأقليات المسيحية في مصر، سوريا، اليمن،... إلخ. كما أن صفة عربي حتى نميز بها المنطقة العربية عن غيرها من مناطق العالم¹.

فالاستسلام لمصطلح مستورد من تجارب عالمية، لا يمت للبيئة العربية بصلة، ولا يعبر عن خصوصية الحدث يدل على إخفاق في الفكر العربي لوصف هذه الأحداث، حيث ظل "الربيع العربي" المصطلح المتداول عربيا وعالميا.

وبالإضافة إلى "الربيع العربي" استخدمت عدة تسميات لوصف الأحداث والتطورات التي تجري في المنطقة كثورات "الربيع العربي"، الحركات الاحتجاجية، الحراك الجماهيري العربي، الانتفاضات العربية، التحركات العربية من أجل الديمقراطية، تمرد، انقلابات، حركة 25 يناير بالنسبة لمصر... وغيرها من التسميات، ولكن هذه الأخيرة لا تنطبق بدقة على كلّ الدول وذلك نظرا للاختلاف والتباين في خصوصيات الحدث في كلّ دولة عن غيرها. رغم وجود عدّة أسباب مشتركة فيها، إلا أنه يبقى لكلّ دولة خصوصياتها والتي أدت وساهمت في انطلاقة الأحداث فيها².

¹ - عمراني كربوسة، "المجتمع المدني في ظل الحراك العربي الراهن... أي دور"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع. 16. (سبتمبر 2014)، ص ص. 153-166.

¹ - عادل الصفتي، "الربيع العربي ماذا يعني"، في:

<http://www.alarabiya.net/views/2011/08/05/160884.html>

كما أن مصطلح ثورات الربيع العربي هو الآخر أثار جدلا وحتى معارضة على أن ما يحدث لا يرقى إلى مستوى الثورة المتعارف عليها في أدبيات الثورة، وفيما يلي سيتم معرفة إذا ما كانت هذه الأحداث ثورات حقا وذلك من خلال: التطرق لمفهوم الثورة، وشروطها/ ومعرفة خصائصها، ومراحلها، وبعض المصطلحات التي يتداخل مفهومها بمفهوم الثورة، والمسارات التي أخذتها معظم الثورات التاريخية.

أ- مفهوم الثورة:

تشير موسوعة علم الاجتماع على أن الثورة هي التغيرات الجذرية في البنى المؤسسة للمجتمع، التي تعمل على تبديل المجتمع ظاهريا، وجوهريا من نمط سائد إلى نمط جديد يتوافق على مبادئ وقيم وأيديولوجية، وأهداف الثورة، وقد تكون الثورة عنيفة دموية، وقد تكون سلمية، وتكون فجائية سريعة أو بطيئة "تدرجية". و لقد تطور مفهوم الثورة من مرحلة زمنية لأخرى، فقد قسم أرسطو الثورات إلى نوعين، نوع يؤدي إلى تغيير الدستور القائم، فينتقل من نظام حكم إلى نظام آخر، ونوع يغير الحكام في إطار بنية النظام القائم. ومع الثورة الفرنسية 1789، أخذ مفهوم الثورة معاً جديدة، مع إتباع "سان سيمون، San Simon" و"ماركس Marx"، على أنها مرحلة من مراحل التطور التاريخي، وحتمية الثورة تكمن في عدم ملائمة النظام القديم، وضرورة استبداله بنظام آخر أكثر فعالية، وبعدها جاء "ماركس" و"إنجلز، Injels"¹، حيث أكدوا على الجانب الاجتماعي للثورة. فالتاريخ صراع بين الطبقات لا الأجناس، فإحلال نظام إنتاجي بنظام آخر، يؤدي إلى ظهور ضغوط سياسية وتغيرات تتبعها الثورة.

² - وفاء علي داوود، "التأصيل النظري لمفهوم الثورة والمفاهيم المرتبطة بها"، مجلة الديمقراطية، ع.49. (31 جانفي 2013)، ص ص. 2، 1.

ولقد ربطها "دوركايم" بظاهرة العنف الجمعي، حيث يعبر عن تحرك جماعي لا يمكن تجاهله، ويتضخم بصورة ملحوظة، من دون ضمان الاستمرار طويلا، والتي تتكون أساسا فيما بين الطبقات الأدنى في المجتمع، فالشعب يعيش حياة مزرية مرتبطة بالفقر، ونقص الحرية، ويعتبرها "روجر بترسن" "Roger Petersen" أن الثورة تبدأ على شكل احتجاجات، تأخذ بعدا شعبيا، تكسر حاجز الخوف، أو ينسى الناس حاجز الخوف ومن ثم تتحول إلى غضب شعبي عارم تطلق عليه صفة الثورة.

إن الثورة تقاس بمدى قدرتها على إحداث انتقالات نوعية عميقة في بنية المجتمع ماديا، من خلال الاقتصاد والتنمية، ومعنويا من خلال نظام سياسي جديد، نخبة جديدة، وتكريس منظومة قيم اجتماعية جديدة ولا يقتصر مفهوم الثورة على الجانب السياسي، حيث أصبح يطلق على أنماط أخرى، كالثورة التكنولوجية. ثورة الاتصالات، ... إلخ، فهي ثورات مادية ينطبق عليها معيار الثورة، لأنها تدل على انتقالات عميقة تحدثها على المستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي والمعرفي للمجتمعات، كما أن استخدام الثورة في مجالات غير سياسية، كالعلم والفن والثقافة... إلخ يؤكد على أن جوهر مصطلح الثورة هو "التغيير"¹.

أما الاستعمال المعاصر للثورة "REVOLUTION" ففيه شقين، الأول يتعلق بنمط التغيرات الكبرى والجذرية التي تحصل في المجتمع نتيجة انتقال السلطة من طبقة اجتماعية إلى أخرى، أو نشوء طبقات جديدة كدليل لوجود ثورة حقيقية، أما الشق الثاني، فهو الاستعمال المعاصر للثورة التي تدل على تغيير جزئي أي على نطاق صغير، حيث يتم الإطاحة بالحكام من مناصبهم واستبدالهم بآخرين دون أن يتبع ذلك تغيير جذري على المستوى الاقتصادي، أو على مستوى منظومة القيم الاجتماعية التي تسود المجتمع، فتكون بذلك الأولى ثورة مستوفية للشروط، أما الثانية ثورة لم تستوفي الشروط.

¹ - خالد المعيني، كي لا تسرق الثورات، دراسات موضوعية في ربيع الثورات العربية، (بيروت: ضفاف للنشر، 2014)، ص.7.

ومنه فإن الثورة الحقيقية تقوم على ثلاث شروط أساسية وهي:

ب- شروط الثورة:

1. فكر خلاق تشتقه عقول المفكرين الذين يمثلون شعوبهم، بحيث يستند هذا الفكر على قضية عادلة.

2. نخبة شجاعة ومنظمة تتبنى هذا الفكر، وتملك رؤيا تنفيذية وتخطيطا سليما.

3. جماهير واعية بجوهر قضيتها، يصعب التلاعب بها.

فإذا توفرت هذه الشروط ارتقت إرهابات الشعوب إلى مطاف الثورات الحقيقية، وغياب هذه الشروط يؤدي إلى انطلاق ثورات شعبية بصورة عفوية، غالبا ما تنتهي إلى عكس ما تحتاجه وتريده الجماهير النائرة لغياب التنظيم، والأهداف والبرامج الواضحة، فهذه الثورات غير المنظمة غالبا ما تولد طغاة جدد، وإنتاج دكتاتوريات ونظم استبدادية جديدة تحكم وتضطهد الشعب باسم الثورة "الثورة المضادة" والتي تستوجب سفك الدماء والتضحيات لاستعادة واسترداد الثورة الحقيقية، وتصحيح مسارها، والتي يرافقها عنف، واحتمالات انقسام مجتمعي، ناهيك عن إمكانية تزايد وتدخل العامل الخارجي¹.

وبالإضافة إلى هذا لقد قدم "إيرك هوبراوم" أربع عناصر مهمة عند الحديث عن أية ثورة.

ج- عناصر الثورة:

1. **الخصوصية:** فلكل ثورة خصوصيتها من حيث الزمان والمكان، وليس هناك تشابه وتطابق بين ثورتين.

¹ - مرجع سابق، ص ص. 8، 9.

2. النصر: والتي تعني انتصار منظومة جديدة على منظومة قديمة.

3. البعد الجغرافي أو نظرية انتشار العدوى: والتي تعني انتقال الثورة من دولة إلى أخرى، بسبب التقارب الجغرافي ووحدة الدين، اللغة تقارب الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي مثلما هو الحال بالنسبة لمعظم الدول العربية.

4. التراكمية: وهو أن تفجير الثورة يرجع إلى عدّة أسباب وعوامل تراكمت عبر السنين والتي أحدثت ضغطاً على القاعدة، فتولد الانفجار الذي يتجسد على شكل ثورة ومنها الأزمات الاجتماعية والاقتصادية، وأزمات حقوق الإنسان والحريات، وتكون بذلك الثورة نتاج تراكم عوامل ضغط إجتماعية واقتصادية وسياسية على القاعدة الشعبية مما يؤدي إلى تفجّر الثورة¹.

وبالإضافة إلى عناصر الثورة، وشروطها هناك مراحل لابدّ أنّ تمرّ بها أي ثورة، فقد قدم "كرين برينتن، Krin Brinten" أربعة مراحل تمرّ بها الثورة وذلك بالاستناد إلى أربع ثورات كبرى وهي الثورة الأمريكية، الفرنسية الروسية و الصينية.

د-مراحل الثورة:

1. المرحلة الأولى: هي المرحلة التمهيديّة ولهذه المرحلة أعراض منها التناحر الطبقي غياب الكفاءة في الحكم، حيث تكون الطبقة الوسطى هي القوة الدافعة لهذه الثورة

¹ - داود، مرجع سابق، ص.4.

فتعبر عن سخطها بسبب القيود الاقتصادية والقوانين المفروضة من قبل الحكومة وتكون هذه الأخيرة غير كفوءة، وتتهار بذلك البلاد، كما قد يكون السبب ملك أخرق أو نقص مالي مزمن في الحكومة.

2. المرحلة الثانية: وتبرز فيها خصائص المرحلة الأولى، والتي يسميها الكاتب "الحمى الصاعدة"، وهي تصاعد سخط الطبقة الوسطى، حيث يثور الشعب، وتقوم المعركة وينهار الهيكل الحكومي تحت ضغط الانتفاضات الشعبية والديون المالية، ويشكل المعتدلون أو الوسط السياسي حكومة جديدة، لكنها غير قادرة على الصمود في وجه مشاكل إدارة الدولة والأزمة الاقتصادية، ووضع دستور جديد وغيرها... إلخ.

3. المرحلة الثالثة: وهي مرحلة الأزمة، حيث تبلغ الثورة الذروة، يصبح المعتدلون عاجزين عن أداء مهمة حكم البلاد، ويتولى المتطرفون السيطرة بالقوة، ويبدأ حكم الإرهاب ويتم التخلص من المعارضة باستخدام العنف، كما قد تتورط الحكومة الجديدة في حرب خارجية من خلال محاولتها نشر مبادئ الثورة، كما يشعر الشعب بالخوف فيبتعد عن مساندة الثورة، ويواجه الثوريون تهديدا داخليا متزايدا بسبب تفاقم الأزمة الاقتصادية.

4. المرحلة الرابعة: وهي خصائص مرحلة الخلاص ويسميها الكاتب "مرحلة النقاهاة" ففي هذه الفترة تضعف الثورة، وتدخل بذلك البلاد فترة الإنعاش، حيث يتولى السلطة حاكم مركزي قوي، ويشرع في عملية إعادة الاستقرار إلى البلاد، ويقوم باستبعاد أو إعدام زعماء الثورة الأكثر عنفا، ويمنح العفو للمعتدلين، ويبدأ الناس بالتخلص من باقي علامات الثورة (تغيير أسلوب حياتهم لمحاولة نسيان الثورة)، ويتخلون عن الكثير من العقائد المتسمة بالتطرف التي يؤمن بها الثوريون.

واستنتج "كرين برينتن" أن معظم الثورات تنتهي بالعودة من حيث بدأت. حيث تنشأ بعض الأفكار الجديدة ويتحول هيكل القوة قليلاً، وتطبق بعض الإصلاحات، ويمحى أسوأ ما في النظام القديم، غير أن الوضع القائم يكون مشابهاً للوضع في فترة ما قبل الثورة، وتشرع الطبقة الحاكمة مرة أخرى بمسك القوة¹.

يتداخل مفهوم الثورة في الأدب السياسي مع مفاهيم أخرى مقارنة منها:

-**الانقلاب:** الذي يعني انتقال السلطة من يد فئة قليلة إلى أخرى تنتمي إلى نفس الفئة الأولى إلى كانت تسيطر على الحكم، أو تشبهها على الأقل، ويكون ذلك باستخدام وسائل العنف الرسمية، دون إحداث تغيير في وضع القوة السياسية في المجتمع، ودون تغيير في أحوال المحكومين، وغالباً ما يكون الانقلاب بإستلاء القوات العسكرية على السلطة بواسطة القوة المسلحة، وتغيير نظام الحكم بالقوة دون الرجوع للناخبين.

-**الحركة الاحتجاجية:** تشير إلى التقاء جماعة من الناس لمحاولة إحداث تغيير اجتماعي وسياسي كلي أو جزئي في نمط القيم السائدة والممارسات السياسية من قبل المواطنين الذين يحاولون تحسين أوضاعهم، حيث تعبر الحركات الاحتجاجية عن حالة من الغضب العام يسود المجتمع، أو فئة داخل المجتمع. غالباً ما تكون مهمشة غير مسموعة فتعبر عن غضبها على شكل احتجاجات قد تكون سلمية أو غير سلمية، في شكل إضرابات وإعتصامات أو تظاهرات، الذي قد يصل إلى استخدام و ممارسة العنف كالحرق وقطع الطرق من أجل التعبير عن مطالبها وإجبار الحكومة على تنفيذها².

-**الأزمة:** يرجع مصطلح الأزمة إلى الفكر اليوناني القديم و يقصد به نقطة تحول في الامراض الخطيرة التي قد تؤدي الى الموت المحقق او الشفاء التام ، اما في اللغة الصينية

¹ - كرين برينتن، (ت:سمير الحلبي) تشريح الثورة (المملكة العربية: دار الفارابي، 2009)، ص ص.7-10.

² - داود، مرجع سابق، ص.5.

فيتشكل المصطلح من كلمتين (wet -ji) (wet) تعني الخطر و (ji) تعني الفرصة التي يمكن استثمارها لدرء الخطر ، أي تحويل الازمة الى فرص و قدرات إبداعية لاعادة صياغة الظروف وإيجاد الحلول البناءة .

يعرفها مل من وينر winer وكاهن kahn انها تشمل على قدر من الخطورة المفاجئة وغير المتوقعة ويعرفها امين هويدي سواء كانت عالمية أو إقليمية هي مجموعة من التفاعلات المتعاقبة بين دولتين او اكثر تعيش في حالة صراع شديد يصل الى احتمال نشوء الحرب ووقوعها و فيها يواجه صاحب القرار موقفا يهدد المصالح العليا للوطن و يتطلب وقتا قصيرا للتعامل مع هذا الموقف باتخاذ قرارات جوهرية¹.

-**الانتفاضة:** يرى لنين أن الشروط الثلاث ضرورية لأي ثورة، حزب سياسي منظم ومتين قيادة قوية، برنامج واضح، ووفقا لهذا فإن ما حدث في الدول العربية، لم تتوفر فيها هذه العناصر، حيث لم تكن ذات أهداف واضحة بل كانت عفوية، ولم يكن لها قيادة محددة، فلم يكن يقودها حزب أو تنظيم محدد في بداياتها فهي بذلك مجرد انتفاضات استطاعت إطاحة رأس النظام، ولكنها أبقت على النظام برموزه ومؤسساته².

إن انتفاضات الربيع العربي لم ترتق إلى مستوى الثورات. فبالمقارنة بينها وبين ثورات تاريخية في العالم، لم تأخذ المسارات التي أخذتها معظم هذه الثورات التاريخية وهي:

¹ - إدريس لكريني، "إدارة الأزمات الدولية في عالم متحول"، في:

<http://www.diwanalarab.comspip.phparticle6188>

² - عبد الحي زلوم، "قراءة في كتاب، الربيع العربي ثورة أم فوضى غير خلافة"، في:

<http://www.islamdaily.org/ar/sclolars/11584.artide.htm>

1-المسار التغييري الإصلاحي التدريجي: وهو قائم على تراكمات مستمرة من النضالات السياسية والاجتماعية. التي تؤدي في النهاية إلى تغيير النظام السياسي من داخل المؤسسات القائمة، مثلما حدث في اليونان، البرتغال، المكسيك، البرازيل".

2-المسار الثوري الطويل: وهو قائم على وجود حركة سياسة ثورية منظمة، ذات برنامج سياسي ثوري وقيادة كيريمية، الذي يؤدي إلى انهيار النظام بكل مؤسساته، وإعادة تأسيس الدولة على أسس إيديولوجية وسياسية واجتماعية جديدة، مثل الثورة الصينية الكوبية، البولشوفية...إلخ.

3-المسار التغييري السريع: وهو قائم على الانهيار الداخلي المفاجئ للنظام القائم من خلال الإضرابات، العصيان المدني الانتفاضات المدنية أو العسكرية والتي تؤدي إلى انهيار كامل لمؤسسات الدولية، فيتم حل المؤسسات، وبناء أخرى جديدة، مثل انتفاضات أوروبا الشرقية في نهاية الثمانينات¹.

ومن هنا فإن إنتفاضات "الربيع العربي" لم تأخذ أيا من هذه المسارات الثلاثة، فما حدث في مصر، وتونس واليمن، لم ينجح في إنشاء مؤسسات جديدة لتأخذ مكان المؤسسات الدولة القائمة، لتكون أساسا مؤسساتيا للشرعية الثورية، وقد يرجع ذلك لعاملين هما:

- السرعة القياسية التي نجحت فيها الانتفاضة الشعبية في إسقاط رأس النظام (تونس شهر واحد، مصر، ثمانية عشر يوما)، فهذه السرعة القياسية، لم تعط للقيادات الوقت الكافي لإقامة مؤسسات جديدة، حيث نجحت فقط في إسقاط النظام، وبقيت مؤسسات الدولة كما هي قبل الانتفاضة.

¹ - إدريس لكريني وآخرون، أطوار التاريخ الانتقالي مآل الثورات العربية (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015)، ص.227.

- أما العامل الثاني هو أنّ القوى والحركات التي قادت الانتفاضات لم تكن تقصد أصلاً تغيير النظام، حيث كانت تطالب بإصلاحات ديمقراطية من داخل النظام القائم.

- ومثلاً حركة ستة أفريل وحركة كفاية في مصر، كانتا تخوضان صراعاً إصلاحياً ضد نظام مبارك قبل ثورة يناير تحت عنوان الإصلاحات الديمقراطية لمؤسسات النظام، وليس تغييرها. كما أن ما حدث في ينام كان ممارسة الضغط الجماهيري على المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية التي ملأت الفراغ السياسي بعد إسقاط مبارك.

- كذلك رحيل الرئيس "علي عبد الله صالح" عن السلطة في اليمن، لم يؤد إلى استبدال مؤسسات الدولة القائمة بمؤسسات ثورية جديدة، كذلك العملية الانتقالية نحو الديمقراطية في تونس، أخذت شكل الإصلاح الدستوري من خلال مشاركة الأحزاب والحركات السياسية المعارضة دون المساس بمؤسسات الدولة القائمة.

ومن خلال الخصائص المشتركة للانتفاضات بين هذه الدول الثلاث، فإنه لا يمكن وصف هذه الأخيرة ثورات بل هي حركات إصلاحية تسعى لتحقيق أهداف الثورة تدريجياً من خلال مؤسسات الدولة القائمة والذي يحمل في طياته خطر عودة قوى الثورة المضادة، التي سيتاح لها إمكانية إعادة تنظيم صفوفها من جديد، سواء كانت داخل مؤسسات الدولة كالجيش أو الأحزاب والقوى السياسية¹.

من خلال كلّ ما قبل يرى الكثير أن مصطلح الثورة لا ينطبق على الأوضاع العربية فما حدث في المنطقة لا يصل إلى درجة مفهوم الثورة، حسب رياض الصيداوي لم تصل إلى إسقاط جذري للنظام القائم ومختلف ابنيته ويرى الخبير عروس أن ما تمر به المنطقة

¹ - المرجع نفسه، ص ص. 228، 229.

العربية هو مجرد ثوران مستمر، لم يصل بعد لدرجة ثورة، مآلاته غير واضحة المعالم، ولا نعرف أيّ برّ ستصل إليه.

إلاّ أنّ المصطلح الأقرب لما يحدث وما زال يحدث في المنطقة هو مصطلح "الحراك"، لما عرفته من احتجاجات ومظاهرات مختلفة، خاصة مع اختيار أماكن الإنطلاقة كميدان التحرير في مصر، وميدان اللؤلؤة في البحرين خاصة مع انضمام العديد من الاتحادات والنقابات العمالية والأحزاب السياسية المعارضة¹.

كما أنّ هذا الحراك لم يأخذ بعد شكله النهائي، ولم يستوفي كافة الشروط التي تؤهله لأن يصبح ثورة، فما زالت هناك مسافة تفصل بين الحراك الشعبي عن معيار الثورة الحقيقية².

وهناك من يرى أنّ هذه الأحداث تحمل سمات الثورات من جانب، ومن جانب أخرى تحمل عناصر الانتفاضات فما حدث في البلدان العربية هو أقلّ من الثورات بالمعنى المتعارف عليه للثورة، ولكنه أكثر من انتفاضات أو احتجاجات مطلبية بحكم استمرارها³.

وهناك من يرى أنّ العالم العربي في تحركاته الشعبية وتحولاته السياسية انقسم إلى ثلاث مجموعات:

- مجموعة تحولات ديمقراطية سلمية مثلما حدث في تونس، مصر...

- مجموعة تحولات غير سلمية مثلما حدث في سوريا، اليمن...

¹ - كربوسة، مرجع سابق، ص. 156.

² - المعيني، مرجع سابق، ص. 10.

³ - مصطفى حضر الجبوري، جذور الاستبداد والربيع العربي (عمان: الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2014)، ص 190، 191.

- مجموعة الإصلاح الذاتي والتي استمعت إلى الرؤية الأمريكية، فيما يتعلق بالإصلاح، والتي أخذت بها عدّة دول عربية، كالأردن، دول مجلس التعاون الخليجي، والتي يشكل أمنها واستقرارها خط أحمر بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية¹.

من خلال كلا ما قيل يتضح أن للربيع العربي عدّة تسميات، فهناك من يعتبرها ثورة، انتفاضة، احتجاجات حراك...، وهناك من يجمع بين عدّة مصطلحات في تحليله بين الثورة والانتفاضة، والحراك وذلك باستخدام كل مفرد له ليدل على حالة دولة معينة حسب الأوضاع ومجريات الأحداث فيها وهناك من يكتفي في تحليله بمصطلح الحراك وربطه بسياسي اجتماعي، شعبي، فالحراك الشعبي ليدل على أن الشعب هو من قام بها، والحراك الاجتماعي لأنه جاء لأسباب إجتماعية ويحمل مطالب إجتماعية وكذلك بالنسبة للحراك السياسي هو الآخر قام لأسباب سياسية يحمل مطالب سياسية.

وهذا ما سيتم استخدامه في هذه الدراسة، أي استخدام كل مصطلح حسب خصوصية كلّ حدث، أمّا مصطلح "الربيع العربي"، سيتم استخدامه رغم أنه مصطلح مستورد ولا يعبر عن خصوصية الأحداث التي تجري في المنطقة العربية، والذي يعبر عن إخفاق في الفكر العربي كما سلف الذكر، لأن الغرب هو من أعطى هذه التسمية، رغم أنه حقيقة لم يعطي الوقت الكافي للمفكرين العرب لاستيعاب كل تلك الأحداث والتحوّلات ليتمّ تشخيصها وإعطاء التسمية المناسبة أو المصطلح الأقرب والأصح ليحبر عن خصوصية تلك الأحداث إلاّ أنّ هذا لا يبرر العجز الفكري للنخبة العربية التي استهلكت المصطلح، وإعترفت به، حيث كان باستطاعتها رفضه، وعدم تداوله، أو إعطاء البديل بعد إستعابها لمجريات الأحداث.

¹ - حسن الأنباري آخرون، الخريطة السياسية للوطن العربي ما بعد الثورات العربية (عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط، 2012)، ص ص. 18-20.

أمّا فيما يخص مصطلح الثورة، فإنه من الواضح أن الأحداث في المنطقة العربية لم تتوفر فيها شروط الثورة، حيث توفرت في بعض الأحداث بعض عناصر الثورة، وفي أحداث أخرى أخذت بعض مراحلها، إلا أنّها لم تأخذ المسارات التي أخذتها معظم الثورات التاريخية لذا يمكن اعتبارها ثورات لم تستوفي الشروط المطلوبة.

المطلب الثاني: الأسباب الداخلية والخارجية للربيع العربي.

1- الأسباب الداخلية للربيع العربي:

إن الأسباب والعوامل التي أدت إلى تفجير العالم العربي سنة 2011. هي خليط من الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ورغم اختلاف الأسباب باختلاف المكان والزمان لكل حدث، إلا أنّ هناك أسباب عامة تشترك فيها كل الاحتجاجات في العالم العربي.

أ- الأسباب السياسية:

تعاني غالبية الدول العربية من الجمود السياسي وعدم ممارسة الديمقراطية بمعناها الحقيقي التداول السلمي والتعددية السياسية، التي تغطيها انتخابات شكلية وحياة نيابية مقيدة مما يشوب الشك في نزاهة الانتخابات، ومدى تعبيرها عن رغبة الشعب، فلا وجود لتداول حقيقي للسلطة، ما أدّى إلى فقدان الأمل في تغيير الأنظمة والأوضاع¹، خاصة مع اختصار الحياة السياسية في يد رئيس الدولة والأجهزة الأمنية وحزب سياسي مهيمن على المجلس النيابي يديره الرئيس وأفراد عائلته والمقربون وغالبا ما يكون الرئيس دكتاتوري يقضي على كلّ الحريات العامة وعلى مبدأ تداول السلطة فأصبح انتخابه بشكل متكرر، وغالبا ما يفوز بـ 95% من الأصوات وإضافة إلى ذلك ظهرت فكرة التوريث، فمع وصول القادة والرؤساء العرب إلى أعمار السبعينات والثمانينات، برزت علامات جدية للتوريث السياسي

¹ - الجبوري، مرجع سابق، ص.188.

لأولادهم وأقربائهم (في مصر الرئيس مبارك، والقذافي والذي تحقق في سوريا توريث الرئاسة من حافظ الأسد إلى ابنه بشار الأسد¹).

واستنادا إلى هذا فإن معظم المطالب جاءت من أجل إنهاء هذه الأنظمة الدكتاتورية وأستبدالها بأخرى تكفل للمواطن ممارسة حقوقه السياسية، من حرية الرأي، والتداول والمشاركة الفعلية في الحياة السياسية، وحرية تكوين الأحزاب وجمعيات المجتمع المدني وحرية وسائل الإعلام.

ب- الأسباب الاقتصادية والاجتماعية:

لقد شكلت هذه الفئة الجزء الأكبر من المتظاهرين خلال الانتفاضات والتي تسعى إلى تحسين مستوى العيش ومنها:

- تعاني الدول العربية من إخفاق في تحقيق التنمية الاقتصادية رغم كل الموارد الطبيعية والطاقوية التي تزخر بها المنطقة، فلم تلتحق باقتصاديات الدول الصناعية القديمة، ولا حتى باقتصاديات الدول الناشئة في جنوب شرق آسيا والصين، وأمريكا اللاتينية، حيث أنها أحد الدوافع الرئيسية للانتفاضات العربية، بدليل تمكن دول مجلس التعاون الخليجي على إخماد المطالب، نظرا لمواردها المالية الغزيرة، وهذا ما عجزت عنه الدول الأخرى².

- تعاني الدول العربية من انخفاض في مستوى معيشة المواطن، وتراجع مستوى التعليم، وضعف الشفافية والمساءلة وانتشار الفساد، لدرجة غير مسبوقة على مستوى العلي والمؤسساتي، وزيادة الهوة بين الفقراء والأغنياء وارتفاع أسعار المواد الغذائية

¹ - جرج قرق، "سيناريوهات المستقبل العربي"، التقرير العربي السابع للتنمية بالعرب بين مآسي الحاضر وأحلام التغيير أربع سنوات من الربيع العربي، (بيروت: مؤسسة الفكر العربي، 2014)، ص ص. 383، 384.

² - المرجع نفسه، ص. 387.

وتكاثر المساكن العشوائية، ومدن الصفيح و التتك حول المدن، فمثلا في القاهرة يوجد حوالي 10 ملايين شخص يعيشون بالعشوائيات كما يسميها المصريون، وهناك 40% من الشعب المصري يعيشون على دخل فردي لا يزيد عن دولارين في اليوم الواحد. وحالها حال الدول الأخرى¹.

- تعاني الدول العربية من ارتفاع مستويات الفقر والبطالة، حيث تسجل الدول العربية الأعلى على المستوى العالمي حيث تصل إلى نسب مخيفة حوالي 25% من مجموع القوى العاملة فقط، وبعد الشباب من أهم العوامل في ظهور الانتفاضات في العالم العربي، فالقوة العمرية 29/15 سنة تشكل أكثر من ثلث سكان العالم العربي وتعاني من الإقصاء والتمييز، والبطالة هي من أهم المشاكل والتي وصلت إلى 25% مقارنة بالمتوسط العالمي 14.4%، ويمثل الشباب المتعلم 90% من الشباب المتعطّل عن العمل، وتدني مستويات الأجور وسوء ظروف العمل. حيث يعمل 72% من الشباب في القطاع غير الرسمي، ما أدى إلى نقشي ظاهرة العنوسة وتأخر سن الزواج. فوفقا للتقارير الدولية أكثر من 50% من الذكور في المرحلة العمرية من 25/30 سنة لم يسبق لهم الزواج وهي النسبة الأعلى بين الدول².

- وهناك من يرجع سبب كل هذه المشاكل، إلى اتجاه عدد من الدول العربية إلى تبني سياسات تحرير اقتصاد من القيود الحكومية، أي تراجع دور الدولة في الاقتصاد عبر عمليات خصخصة لعدد كبير من المرافق العامة عملا بقواعد العولمة، التي فرضتها أمريكا على اقتصاديات العالم الثالث والدول التي تحررت من النظام الاشتراكي. فنتائج المسار الإصلاحي الاقتصادي في الدول العربية الذي قاده البنك الدولي

¹- حسن محمد الزين، الربيع العربي آخر عمليات الشرق الأوسط الكبير (بيروت: دار القلم الجديد، 2013)، ص.148.
²- دينا شحاتة، مريم وحيد، "محركات التغير في العالم العربي"، مجلة السياسة الدولية، ع.184 (القاهرة: مؤسسة الأهرام، 2011)، ص.12.

وصندوق النقد الدولي ومؤسسات التمويل الإقليمية والدولية، لم يكن في مستوى التحديات التي تواجهها الاقتصاديات العربية، خاصة في أعمال القطاع الخاص التي بقيت محصورة في نشاطات تقليدية في قطاعات التجارة والعقارات والمقاولات دون أي نشاط ابتكاري في النشاطات الصناعية والخدماتية، فلم تستطع الدول العربية الاستفادة من حركة العولمة والمشاركة فيها ما أنتج الاعتماد الكثير على تصدير الموارد الطبيعية والمنجمية والطاقوية. زيادة العجز في الميزان التجاري المتعلق بتبادل السلع والتجهيزات الصناعية والغذائية، خلّو الصادرات العربية (خارج المواد البتروكيمياوية والاسمدة) من سلع ذات محتوى تكنولوجي رفيع، فالاقتصاديات العربية بالإضافة إلى أنها ريعية، كذلك قلة مصادر الربح المخصصة للعلم والتكنولوجيا وتطوير القدرة الإنتاجية الابتكارية التي تقوم عليها العولمة¹.

- وهناك من يرى أن من أسباب الربيع العربي هو فشل معظم الدول العربية في تحقيق الاندماج الوطني بين الجماعات الدينية والعرقية والإثنية المختلفة، حيث تعرضت هذه الأقليات إلى التهميش والإقصاء والتمييز الديني والثقافي والاجتماعي، حيث ظهر طابع عرقي، أو طائفي، ديني في تحدي السلطة المركزية وفي الانفصال عنها بشكل كامل (حالة السودان)، أو في تأسيس مناطق حكم ذاتي لا تخضع لسيادة الدولة المركزية (الصومال، لبنان، العراق، اليمن)². وهذا كله شكل فجوة بين طبقات المجتمع وشرائحه بمعناها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والديني، فانقسم المجتمع إلى عدة شرائح تنطبق عليها تسمية الثنائيات المتناقضة (أغنياء، فقراء، أميون علمانيون، إسلاميون، متشددون، مسلمون، مسيحيون، سنيون، شيعيون... إلخ) ما

¹ - قرم، مرجع سابق، ص.388.

² - شحاتة، مرجع سابق، ص.12.

أدى إلى انتقال النسق الاجتماعي والثقافي العربي من التجانس والإتساق إلى التشتت والتوتر.

- وهناك من يرجع التحولات الكبرى التي شهدتها العالم العربي إلى مجال التكنولوجيا والاتصال، حيث ان سهولة الاتصال سهلت اندلاع الحركات الشعبية والاحتجاجات في المنطقة العربية، وذلك من خلال عدّة جوانب.

إنّ سهولة الاتصال حولت العالم إلى قرية صغيرة، فمعرفة ماذا يحدث في دول العالم من أكبرها إلى أصغرها، ومعرفة الأساليب التي تعيش عليها هذه المجتمعات المتحضرة من حرية وكرامة وديمقراطية وعدالة ومساواة فأخذ الشباب يقارن نفسه بها، خاصة في تلك الدول التي لا تتوفر لديها على الأقل ما يتوفر في الدول العربية من ثروات وإمكانيات.

كما أصبحت الشعوب العربية أكثر تأثيرا لما يجري من حولها أو على جيرانها من أحداث، لما يتم عرضه وبثه، حيث أصبح يشعر بالتهديد وعدم الاستقرار، ويتوقع تعرضه للمثل، فمع التطور المذهل للأدوات الحديثة للتعبير والتواصل والتفاعل عبر المواقع الإلكترونية والشبكات الاجتماعية، حيث أصبح الفضاء الإلكتروني ساحة للحوار، وأداة للتعبير والاحتجاج والتنسيق في تنظيم وتحريك الاحتجاجات، خاصة مع التركيبة الجيلية للشعوب العربية، فالشريحة العمرية بين 15 إلى 40 سنة هي الأكثر استخداما لهذه الشبكات¹.

فقد برز دول الإعلام في الربيع العربي، ففي يوم 11 جانفي 2011 كانت هناك ثلاثون صفحة لمجموعة على الفيس بوك، تدعو للتظاهر ليوم 25 جانفي، وفي يوم 24 انضمت 126 مجموعة وصفحة جديدة، ويوم تنحي الرئيس مبارك وصل العدد الإجمالي

¹ - الجبوري، مرجع سابق، ص ص. 188-190.

للسفحات التي لها علاقة بالحدث إلى 2313 صفحة وعدد المشاركات 9815 مشاركة و461 ألف تعليقاً، فتعدّ شبكات التواصل الاجتماعي أهم لممارسة الديمقراطية في العالم العربي¹.

2- الأسباب الخارجية للربيع العربي:

بالإضافة إلى كل هذه الأسباب والعوامل الداخلية التي اتفق الجميع حولها على أنها لعبت الدور الأكبر في قيام الربيع العربي، هناك عدّة أسباب وعوامل خارجية هي الأخرى ساهمت أو أدّت إلى حدوث التغييرات التي حدثت في منطقة الشرق الأوسط، أمّا بخصوص دورها في الربيع العربي فقد ظهر اتجاهين.

1. اتجاه يرى أن ما حدث في المنطقة العربية يرجع لأسباب وعوامل داخلية بحتة، ولا وجود فيها لأي دور خارجي (وحتى أبعد من ذلك) وأن الغرب هو الآخر تقاجاً بهذه الأحداث، وحتى أبعد من ذلك على أن الغرب لا تسعده هذه الأحداث.

2. إلّا أنّ هناك اتجاه آخر، يقرّ بأن للعامل الخارجي دور هام، وبارز في الربيع العربي وكان السبب ووراء التغييرات التي حدثت في المنطقة، وذلك بالاستناد إلى عدّة وثائق وتصريحات أو من خلال التحليل المنطقي والربط بين مجريات الأحداث في المنطقة.

لقد قدم مزري حسين كتاب بعنوان: "الوجه الخفي للثورة التونسية الأصولية والغربية تحالف محفوف بالمخاطر الكبرى"، حيث يعترف أن انتفاضات الربيع العربي ليست عفوية كما هو مصور، حيث أكد أنّ الأجهزة السرية الأمريكية بدأت منذ 2008 بتدريب بعض من الشباب

¹ - جمال غيطاس، "تطورات المعلوماتية الفورية ودورها في الربيع العربي"، التقرير العربي السابع للتنمية العرب بين مآسي الحاضر وأحلام التغيير، أربع سنوات من الربيع العربي (بيروت: مؤسسة الفكر العربي، 2014)، ص. 273.

العربي على كيفية تفجير الثورات عن طريق أجهزة المعلوماتية الحديثة مثل الفيسبوك بالإضافة إلى البروباغوندا la probagonde الهائلة التي تمارسها قناة الجزيرة، كما أكد على أن "أوباما" هو الذي ضغط على قادة الجيش لكي يتخلوا عن "زين العابدين بن علي" و"حسني مبارك"، فالربيع العربي مخطط له مسبقاً، كما جاءت تسميته بالربيع العربي من طرف الإعلام الفرنسي والغربي فور حدوثها.

إن الربيع العربي مؤامرة خارجية، دون إنكار للعوامل الداخلية التي ساعدت هذه المؤامرة على النجاح فالولايات المتحدة الأمريكية لم تخلق الأشياء من العدم، فالأرضية كانت مهياً، إلا أنها لم تحصل إلا عندما ضغطت الأجهزة الأمريكية على الزر. فحسب هذا التفسير تصبح نظرية المؤامرة ليست مؤامرة تقريبا، بل أصبحت استغلال ذكي لوضع جاهر للاستغلال¹.

إنّ الربيع العربي خلفه استعمار جديد، حيث يتجلى هذا المشروع الاستعماري الجديد في افتعال النزاعات المذهبية (بين السنة والشيعة)، واللعب بين أوتار الصراع التاريخي بين الإمبراطورية الفارسية الصفوية، والإمبراطورية العثمانية، وخططا لتفتيت وتقسيم الدول، مع العلم أن هذه الصراعات المذهبية والطائفية والعرقية موجودة على أرض الواقع والغرب يشغلها فقط، حيث أن كل البلدان العربية ذات المساحة الواسعة مستهدفة من قبل الغرب وسيتم تقسيمها وتفتيتها طبقا لمعايير طائفية وعرقية، لتحقيق أهداف اقتصادية (بتروöl غاز مياه)، مثلما حدث في العراق، والسودان، حيث الثورة الحقيقية تهدف للإصلاح وليس للقمع الدموي حيث يرى أن وراء الفرح بالديمقراطية والحرية هناك ثلاث مخاطر أخطر من

¹ - هشام صالح، الانتفاضات العربية على ضوء فلسفة التاريخ (بيروت: دار السابق، 2013)، ص ص 120، 121.

الدكتاتورية وهي الفوضى الشاملة بعد انهيار الدولة. وأخطر من الفوضى الشاملة هي الحرب الأهلية، وما هو أخطر من الحرب الأهلية هي عودة الاستعمار¹.

إن ما تشهده المنطقة العربية من حراك وعنف سياسي وطائفي وإرهاب يمثل تطبيق المرحلة الثانية من مشروع سايس بيكو جديد لتقسيم الشرق الأوسط إلى جزئيات صغيرة، عن طريق تحويل الطائفية والقبلية والقومية للتفتيت تنفيذاً لأفكار "برنار لويس"، المنظر الأصلي للفوضى الخلاقة تجزأة المجزأ التي تفترض البناء ما بعد التدمير، وفقاً للأهداف منها بروز الأمة الإسرائيلية بحدودها من الفرات إلى النيل وغياب الكيانات الأخرى².

إنّ الربيع العربي تطبيقاً لنظرية الفوضى الخلاقة التي تقوم على إضعاف وإزاحة الأنظمة السياسية لتحويل المجتمعات العربية إلى كيانات طائفية مثلما دشنت إسرائيل من قبل في المنطقة وتشتت الجهد العربي كشرط أساسي لبقائها، حيث قالت وزيرة إسرائيل "غولداماير": «أن السلام بالنسبة لإسرائيل هو أن تحيط بها دويلات الطوائف»، كما أن المنطقة التي تتربع على عصب طاقة الحادي والعشرين، تشهد عملية تفكيك وإعادة تركيب على أساس طائفي وعنصري، يشكل نظرية "صامويل هنتجنتون" في صراع الحضارات حيث أن الصراعات الدولية، تقوم على أساس عرقي طائفي بدلاً من الصراع الإيديولوجي³.

في مقال للصحيفة نيويورك تايمز بعنوان "الولايات المتحدة ساعدت على رعاية مجموعات الثورات العربية جاء فيه: «تلقى عدد من الجماعات والأفراد الضالعين مباشرة في الثورات والإصلاحات التي تجتاح المنطقة بما في ذلك حركة شباب 6 أبريل في مصر ومركز البحرين لحقوق الإنسان ونشطاء على مستوى القاعدة الشعبية مثل انتصار القاضي

¹ - المرجع نفسه، ص. 132.

² - هيثم العبادي، "الربيع العربي إلى أين؟"، في:

<http://MCSR.net/news56>

³ - المعيني، مرجع سابق، ص. 23.

وهو باليمن، التدريب والتمويل من جماعات مثل المعهد الجمهوري الدولي والمعهد الديمقراطي الوطني، وفريدوم هاوس، وهي منظمات غير ربحية لحقوق الإنسان مقرها في واشنطن تم إنشاؤها من قبل الكونغرس وتمولها واشنطن».

فالانتفاضات كانت جزءا من حملة جيوسياسية ضخمة ولدت في الغرب، نفذت من خلال وكلائها بمساعدة المؤسسات والمنظمات غير الحكومية، حيث بدأت التحضيرات لهذه الانتفاضات من عدة سنوات عبر حلقات دراسية في كل من واشنطن ونيويورك، ومرافق التدريب التي تمولها الولايات المتحدة الأمريكية في صيربيا، وفي مخيمات تقام في البلدان المجاورة، حيث كانت فترة 2008 حتى 2010 هي مرحلة الإعداد، حيث أن هناك نشطاء من الحركة المصرية "6 أبريل" كانوا في مدينة نيويورك لحضور القمة الافتتاحية لتحالفات الحركات الشبابية "Aym"، المعروفة باسم "Mouvements.ORG"، حيث تلقوا التدريب والدعم من شركات برعاية الحكومة الأمريكية، بما فيها وزارة الخارجية الأمريكية¹.

ثم سافرت حركة، 6 أبريل إلى صيربيا، للتدريب لدى منظمة "CANVAS" المنظمة غير الحكومية والمعروف بـ "Otpor" سابقا، والتي ساعدت بالإطاحة بحكومة صيربيا عام 2000، ثم أنشئت ومولت من طرف أمريكا، كما جاء في مقال بعنوان "تصدير الثورة، غير العنيفة من أوروبا الشرقية إلى الشرق الأوسط"، أن مهندس الثورات الملونة بوبوفينش، قام بتدريب النشطاء الذين قادوا الثورة الوردية في جورجيا، والثورة البرتقالية في أوكرانيا غير منطقة "Otpor"، قد قام بتصدير الثورة غير العنيفة إلى الشرق الأوسط غير منظمة "CANVAS"، حيث دعمت الناشطين المؤيدين للديمقراطية، والذين تمكنوا من إسقاط الأنظمة الاستبدادية في مصر وتونس.

¹ "1-Secretsearth's Blog 2011/2011 عام كامل على الربيع العربي المهندس خارجيا خطوة واحدة باتجاه الهيمنة العالمية"، في:

<http://secret.searth.wordpress.com/2011/12/26P.3/28>

وفي عام 2010 عادت حركة 6 أفريل إلى مصر، بعد انتهاء تدريبها، وعاد بعدها محمد البرادعي إلى مصر و أعلن عن نواياه للترشيح للرئاسة في انتخابات عام 2011 فاجتمع أعضاء حركة 6 أفريل مع وائل غنيم أحزاب معارضة، والإنصواء تحت البرادعي للإعلان عن إنشاء الجبهة الوطنية للتغيير، و حينها بدأ التحضير الفعلي للربيع العربي وهذا ما أكدته وكالة "فرانس برس"، عندما ذكر وزير الخارجية الأمريكي "مايكل ويسر" أن حكومة الولايات المتحدة قد خصصت خمسون مليون دولار في العامين الماضيين، لتطوير تكنولوجيا جديدة للمساعدة في حماية النشاط من الاعتقال والملاحقة من قبل الحكومات الاستبدادية، كما ذكر تقرير أن الدورات التدريبية التي أقيمت للنشطاء والذين يبلغ عددهم 5000 ناشط من مناطق مختلفة من العالم، وقد عقد دورة تدريبية منها ستة أسابيع لنشطاء من تونس، مصر، سوريا، لبنان الذين عادوا إلى بلدانهم لتدريب زملائهم¹.

كما لوحظ تواجد لفرق القناصة في مختلف الاحتجاجات التي شهدتها المنطقة العربية، وهذه الفرق المحترفة وجدت لقتل كل من رجال الشرطة والمتظاهرين معا، وذلك بهدف تحويل الاحتجاجات والحركات الشعبية لعنف ثوري والتي شهدت في كل الثورات الملونة².

لقد بدأ الربيع العربي مع تولي أوباما الإدارة الأمريكية، وهي خطة شاملة لتغيير نظم الشرق الأوسط الكبير الممتد من مصر وشمال إفريقيا إلى إيران ودول الخليج وباكستان وأفغانستان، أي نفس المشروع الذي أعلنه بوش في 2004، ولكنه يختلف وفق أن إدارة أوباما قائمة على الإدارة من الخلف "Leading From Behind"، واستراتيجية القوة الناعمة، مقابل إدارة "بوش" في مشروع الشرق الأوسط الكبير القائمة على الإستراتيجية العسكرية التي أطلق عليها "الصدمة والترويع".

¹ - المرجع نفسه، ص ص. 4-6.

² - الزين، مرجع سابق، ص. 21.

فالربيع العربي قد بدأ في إيران 2009 بما سمي بالثورة الخضراء "للإطاحة بالنظام الإيراني بعد الانتخابات الرئاسية، حيث كان إسقاط إيران أول خطوة ناجحة في "عملية إصلاح الشرق الأوسط وشمال إفريقيا" و لو أنه تم نجاح تغيير النظام الإيراني، لكانت العملية اللاحقة سهلة، خاصة عملية الإطاحة بالنظام السوري الذي كان سيضعف موقعه لو ضعف وسقط حليفه الإيراني في 2009. ولكان لهذا النجاح أثر الدومينو في المنطقة¹.

ان الربيع العربي يمثل لعبة الدومينو. كما صرّح عنها الرئيس أوباما في المذكرة الرئاسية رقم 11 الصادرة في 2010/08/12، قبل الحراك بثلاثة أشهر، بأن سقوط نظام عربي واحد يؤدي إلى تدرج بقية الأنظمة بأثر "موجات الدومينو"، المسمى بـ"الثورية الديمقراطية"، حيث أن إسقاط رؤوس النخب الحاكمة العربية "زين العابدين بن علي" و"حسني مبارك" و"علي عبد الله صالح" و"معمر القذافي" لأنه قد انتهت صلاحيتها الجيوسياسية، حيث كان الهدف من ذلك وصول أثر "الدومينو" للإطاحة بالرئيس السوري بشار الأسد، الذي قطع الطريق على المشروع الأمريكي (بتحالفه مع إيران، وحركات المقاومة العربية خاصة لما تتمتع بها سوريا من أهمية حيث عبّر عن ذلك "شارل ديغول" بأن سوريا قلب الشرق الأوسط والشرق الأوسط قلب العالم.

إنّ أحداث الربيع العربي ما هي إلّا استكمال للثورات الملونة التي باشرها الغرب في جورجيا، وأوكرانيا وروسيا البيضاء، لتحقيق أهداف جيواستراتيجية.

تصرّح "هيلاري كلنتون"، في المعهد الوطني الديمقراطي، الربيع العربي ليس ثورتنا لكن لدينا دورا فيه، ولقد أُنذرتنا الحكومات العربية قبل حدوث الربيع العربي، في مؤتمر الدول الثمانية G8، الذي عقد في الدوحة أواخر 2010. بأن أسس المنطقة تغرق في الرمال، وأنّه لا بدّ من الإصلاح و الديمقراطية...والولايات المتحدة لها مصلحة وطنية فعلية بالتغيير

¹ - المرجع نفسه، ص.72.

الديمقراطي في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا... وستكون هناك نكسات خلال هذه المسيرة الطويلة والصعبة، لكن العودة إلى الوضع الذي كان قائما قبل 2011، ليس أمرا غير مرغوب به، بل أصبح أمرا مستحيلا لأنه يهدد أمننا و مستقبلنا¹.

لقد كان الكشف عن وثائق ويكيليكس المنشورة في 2011/11/27، قبل الثورة التونسية بمثابة المحفز الكيميائي لشرارة الربيع العربي، حيث جاءت أول دفعة لهذه الوثائق تنشر فضائح النظم العربية ومفاسدها، ابتداء من تونس (الكشف عن سيطرة ليلي طرابلسي زوجة بن علي وأقاربها على مقاليد الحكم، ومفاصل الاقتصاد والشركات العامة)، مما أشعل غضب الشعب التونسي الجائع والفقير. ولكن السؤال الذي يطرح، كيف تمكن الجندي "برادلي ماتينج"، الوصول إلى هذه الوثائق السرية، في خزانة الأسرار الإلكترونية لوزارة الخارجية الأمريكية، لذا ذهب البعض إلى أن هذه الوثائق قد سربت عمداً لتفكيك المنطقة العربية، ونفس الشيء فعلته وثائق ويكيليكس بمصر، حيث فضحت "حسني مبارك" وحاشيته الفاسدة².

إن للقوى الدولية والإقليمية دور في الربيع العربي، حيث انها دعمت مبادرات تخلّ باستقرار النظام العربي، وبالنظم السلطوية، والذي يتجلى في التدخل الأمريكي في الصومال واحتلاله للعراق و دعم مبادرات الانفصال في جنوب السودان، ومحاولة عزل حماس في قطاع غزة، وحزب الله في لبنان و حتى النظم المعتدلة مورست عليها ضغوطات خارجية لتبني إصلاحات سياسية وديمقراطية بعد أحداث 11 سبتمبر لربط الإرهاب بغياب الديمقراطية والحريات.

¹ - المرجع نفسه، ص ص. 20-67.

² - المرجع نفسه، ص ص. 143، 144.

إنَّ صعود قوى إقليمية كإيران وتركيا دور في مجريات الأمور في المنطقة العربية حيث تولت إيران دعم حركات (في سوريا، لبنان وفلسطينية واليمن، ما أدى إلى الحديث عن حرب باردة في المنطقة بين معسكر بقيادة إيران وسوريا، ومعسكر بقيادة مصر والسعودية والمدعوم من الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تمكنت هذه القوى (حركة حماس، حزب الله الحوثيون في اليمن) من تحدي السلطة المركزية، وتأسيس جماعات فرعية منظمة ومسلحة تتمتع بقدر عالي من الاستقلال الذاتي. مما أدى إلى تأسيس دول داخل دول¹.

إن الفواعل الخارجية والإقليمية ساهمت في الحفاظ على هذه الدكتاتوريات في المنطقة، وكانت سببا في فشل مشروع القومية العربية وعدم التوحد بدءًا بالحروب العربية الإسرائيلية والحرب الإيرانية العراقية، وحرب الخليج وتخلي مصر عن دورها القيادي في المنطقة، ما دفع إيران، تركيا، وإسرائيل لأن تملء هذا الفراغ و تبسط نفوذها لقربها الجغرافي ومصالحها الإستراتيجية، وروابطها الثقافية والاقتصادية مع العالم العربي بدعم إيران وتركيا للثوريين في تونس ومصر، هو من أجل استغلال الفرصة السياسية الجديدة.

حيث صرَّح "داود أوغلو" في 2011، وزير الخارجية التركية، وهو مهندس مذهب العثمانية الجديدة السياسية التركية الجديدة تجاه العالم العربي والإسلامي: «...بالطبع سيكون تركيزنا على مصر لماذا؟» لاننا نريد أن تكون العملية المصرية ناجحة، لأنه لو نجحت عملية التغيير في مصر، فأنا على يقين أنها ستكون خير قدوة للبلدان الأخرى، فعلى جميع القوى الدولية والإقليمية، أن تساعد مصر وتونس على إنجاح التحول فيها.

كما أرجعت إيران فضل هذه التحولات الجارية في المنطقة العربية لنفسها، حيث يقول أحد أكبر علمائها آية الله محمد تقني مصباح يزدي بفضل الثورة الإسلامية في إيران، تقف

¹ - شحاتة، مرجع سابق، ص.13.

الشعوب الإسلامية المحبة للحرية في تونس ومصر والبلدان العربية المجاورة في وجه حكوماتها، وأخذ يبرز التشابه بين الثورات العربية والثورة الإسلامية ضدّ الشاه في 1979¹ وهذا وفق ما يسمى بفكرة تصدير الثورة.

من خلال كل ما قيل يتضح أن للربيع العربي حقيقة أسباب داخلية سياسية اقتصادية واجتماعية ساهمت بشكل كبير في حدوثه، إلا أنّ تلك الأسباب الداخلية المذكورة كانت منذ زمن وأجيال حتى يمكن القول أنه قد تمّ التعود عليها، وتعايشت معها مختلف أطياف المجتمع، وهذا ما يؤدي إلى عدم إنكار تلك الأسباب الخارجية التي حرّكت الشعوب العربية واستغلت تلك الأوضاع الداخلية لخدمة مصالحها الإستراتيجية في المنطقة، فالربيع العربي إذن هو مزيج من تلك الأسباب الداخلية المتركمة، والمحركات الخارجية التي أثّرت لها فلولا الأسباب الداخلية لما استطاعت العوامل الخارجية خلق الأشياء من العدم، وخير توصيف هو ما قدمه "مزري حسين" في قوله أن الربيع العربي هو استغلال ذكي لوضع جاهز للاستغلال.

¹ - مروان بشارة، العربي الخفي وعودة الثورات العربية ومخاطرها (بيروت: مطابع الدار العربية للعلوم، 2013)، ص 139، 140.

خلاصة الفصل:

إن الأهمية الجيوبولتكية والجيوإستراتيجية التي تتمتع بهما منطقة الشرق الأوسط جعل العديد من القوى تحاول بسط نفوذها والسيطرة على المنطقة، وقد انعكس سلباً على أداء الدول التي لم تصل على الأقل إلى نصف ما يمكن أن تحققه بالمقارنة مع تلك الثروات والإمكانات الهائلة التي تزخر بها، فرغم ما تملكه المنطقة فإنها تواجه العديد من المشاكل والمعوقات السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، الثقافية... إلخ كغياب الديمقراطية والاستبداد والعدالة الاجتماعية، واحتكار السلطة والتي أنتجت مجموعة من المشاكل السوسيو اقتصادية، كالفقر والبطالة والهجرة... إلخ، كما أضافت المكونات الإثنية تعقيدات وأزمات لما تسببه من اضطرابات داخلية في إطار مناداتها بحقوقها والتي تصل إلى المطالبة بالانفصال في بعض الدول، كما أعطت الفرصة للعديد من القوى الخارجية للتدخل في شؤون المنطقة باسم حماية حقوق هذه الأقليات، وبالإضافة إلى ذلك فالثروة النفطية هي الأخرى انعكست سلباً، كون هذه المادة مستهدفة من قبل قوى، تحاول ممارسة سياسة الهيمنة والتسلط لتتمكن من السيطرة على هذه المادة والذي وصل للتدخل العسكري.

وفي إطار كل هذه المشاكل المختلفة شهدت المنطقة في نهاية 2010 وبداية 2011 أحداث الربيع العربي التي تعتبر من أهم الأحداث في تاريخ العربي المعاصر. فالمصطلح بحد ذاته طرح جدلاً على الساحة العربية، الإقليمية والدولية كونه مصطلح مستورد لا يعبر عن خصوصيات أحداث المنطقة، ونفس الشيء بالنسبة لمصطلح الثورة، فبعد تحديد مفهوم الثورة وشروطها، وخصائصها ومراحلها يتبين لنا أن هذه الأحداث لم تصل إلى مستوى الثورة المتعارف عليه، فهناك بعض الأحداث توفرت فيها بعض عناصر الثورة، وأحداث أخرى أخذت بعض المراحل، إلا أنها لم تأخذ المسارات التي أخذتها معظم الثورات التاريخية.

أما من حيث الأسباب والعوامل التي أدت إلى تفجير هذه الأحداث، فهي خليط من أسباب داخلية سياسية، اقتصادية، اجتماعية لا يمكن إنكارها، إلا أنّ هناك عدّة عوامل ومؤثرات خارجية استغلت تلك الأوضاع خدمة لمصالحها في المنطقة، لذا فهي مزيج من الأسباب الداخلية والمحركات الخارجية.

الفصل الثاني:

إستراتيجية القوى الإقليمية في الشرق الأوسط

يعتبر غياب الفعل العربي الرسمي في منطقة الشرق الأوسط، خاصة بعد إضعاف العراق وغياب قائد لأي دولة عربية، خاصة مع تخلي مصر عن دورها الإقليمي وتوقيعها اتفاقية الصلح المنفرد مع إسرائيل، وتنازلها عن دورها المركزي، كلها عوامل ساهمت في ظهور قوى إقليمية عملت على إبراز توجهاتها الإستراتيجية، مستغلة ذلك الفراغ الموجود لبلورة نفوذها، وعلى رأسها إيران التي أصبحت من أبرز الفاعلين والتي عملت على تعزيز مصالحها القومية من خلال تعزيز علاقاتها مع مختلف الدول وعلى رأسها التحالف الإستراتيجي على سوريا، ومع إنشاء محور المقاومة تشكل حيز إستراتيجي يظم دولاً رافضة للتواجد الأمريكي، العراق، سوريا لبنان احتلت فيه إيران وضعاً مسيطراً باعتبارها أكفأ الفاعلين من حيث القوة العسكرية، كما برزت تركيا كفاعل جيواستراتيجي في المنطقة خاصة مع وصول حزب العدالة والتنمية للسلطة في 2002 حيث أعادت نصب اهتمامها بالمنطقة في المجال الاقتصادي خاصة مع فشل مساعي انضمامها للإتحاد الأوروبي، كما مثل سقوط العراق تهديداً أمنياً لها، فاتجهت هي الأخرى للانفتاح على سوريا خاصة مع تلقيها القبول إثر تراجع علاقاتها مع إسرائيل، أما إسرائيل فقد كانت من أكبر المستفيدين من هذه التغيرات الجيواستراتيجية، فمع سقوط العراق تلاشت قوة عسكرية كانت تشكل تهديداً لها وتراجع الدور السوري ووضعها في عزلة دولية إثر اتهامها باغتيال رفيق الحريري وخروجها من لبنان، كلها أدت إلى إضعاف السلطة الفلسطينية وإجبارها على التفاوض مع إسرائيل في ظل غياب الاهتمام العربي بهذه القضية، وأكثر من ذلك أن نجحت في إقامة علاقات مع دول عربية.

وفي إطار كل هذه التفاعلات على الساحة الإقليمية انطلقت أحداث الربيع العربي فبدأت هذه القوى تراقب كل فرصة لتحقيق مصالحها والذي تبلور من خلال مواقفها المختلفة تجاه دول الربيع العربي.

حيث سيتم خلال هذا الفصل دراسة السياسة الخارجية التي تقوم عليها القوى الإقليمية تركيا، إيران، إسرائيل وعرض مواقفها من دول الحراك العربي بداية من تونس، مصر اليمن ليبيا، وصولاً إلى سوريا من خلال عرض علاقات هذه القوى الإقليمية بسوريا ما يبين المواقف المختلفة التي تبنتها هذه الأخيرة، وما أثارها وتداعياتها على مسار الأزمة السورية.

المبحث الأول: الإستراتيجية التركية في منطقة الشرق الأوسط.

المطلب الأول: السياسة الخارجية التركية في الشرق الأوسط.

1- السياسة الخارجية التركية:

لقد مرت السياسة الخارجية التركية بعدة مراحل مختلفة، حيث اتصفت في فترة التحول من السلطنة العثمانية إلى الدولة التركية بأنها دولة جبهة، أي تخوض حروب عديدة في أماكن مختلفة، وبعد انضمامها إلى حلف شمال الأطلسي عقد الحرب العالمية الثانية تحولت إلى دولة جناح، فأصبحت جزءا من الجناح الجنوبي الشرقي لحلف شمال الأطلسي حيث تبلورت السياسة الخارجية التركية على هذا الأساس، وبعد انتهاء الحرب الباردة أصبح النظر إلى تركيا على أنها دولة طرف، أي أنها دولة ممزقة توجد على أطراف الغرب من جهة وعلى أطراف الشرق من جهة أخرى¹.

لقد انتهجت تركيا سياسة خارجية اعتمدت على "التغريب"، حيث توجهت نحو الغرب وأدارت ظهرها للشرق، وخاصة العالم العربي، حيث كانت الولايات المتحدة الأمريكية محور مصالحها السياسية، وعضوية الناتو محور مصالحها العسكرية والإستراتيجية، و انضمامها للاتحاد الأوروبي محور مصالحها الاقتصادية، فقد اشتبكت تركيا مع المنطقة العربية فكانت بذلك أولى الدول اعترافا بإسرائيل، حيث أبرمت معها اتفاقية حزام المحيط 1958 حبا مع إثيوبيا، بالإضافة إلى التعاون الاستخباراتي والعسكري على مدى سنوات طويلة، ولعلّ هذا من أهم ما عزز القطيعة بين تركيا والدول العربية، ولكن مع وصول حزب العدالة والتنمية للسلطة 2002، أعادت تركيا صياغة سياستها الخارجية عبر إعادة تعريفها لمكانتها فأعادت الاعتبار لأهمية منطقة الشرق الأوسط بالنسبة لها²، ويعتبر "أحمد داود أوغلو"، وزير الخارجية التركية المنظر الأهم الإستراتيجية التركية "العثمانية الجديدة" التي تقوم على إخراج

¹ - محمد بوبوش، "الدور التركي الإقليمي المتصاعد إلى أين؟"، في:

www.marocdroit.com

² - سعيد الحاج، مجدّدات السياسة الخارجية التركية إزاء سوريا (مركز إدراك للدراسات والاستشارات، 2016)، ص.5.

تركيا من بلد طرف إلى بلد مركز، يلعب دور فاعل ومبادر في كل القضايا الإقليمية والدولية وقد وردت هذه الإستراتيجية في كتابه "العمق الاستراتيجي موقع تركيا ودوره في الساحة الدولية"، حيث وضع فيها أسس النظرية للسياسة الخارجية التركية، والمبادئ التي تقوم عليها وهي:

أ-نظرية العمق الإستراتيجي:

يعتبر أحمد داوود أغلو أن المكانة التركية الدولية مرتبطة مباشرة بمكانها في محيطها، وأدوارها الإقليمية التي تلعبها خاصة في ثلاث مناطق جغرافية وهي البلقان، الشرق الأوسط والقوقاز والتي يسميها المناطق البرية القريبة، فتركيا جزء لا يمكن فصله عن هذه المناطق لا من ناحية التراكم التاريخي ولا الموقع الجغرافي وهذا ما يؤثر مباشرة على السياسة الخارجية التركية فطبيعية التطورات في هذه المناطق هي التي تحدد السياسة الخارجية التركية، لذا على تركيا تجنب الوقوع في خطأ الابتعاد عن هذه المناطق بالجري وراء إغراءات الدخول في الاتحاد الأوروبي أو إقامة علاقات مع الأحلاف البعيدة، كما أن قوة تركيا في الساحة الدولية تتحدد بمدى قدرتها على التأثير على المناطق القريبة، كما أن الوحدة الداخلية التركية مرتبطة مباشرة بالعوامل الموجودة في هذه المناطق، فلا يمكن لتركيا أن تحافظ على وحدتها وأن تتفتح على العالم الخارجي، إن لم تكن مؤثرة فيما يحدث في البلقان والشرق الأوسط والقوقاز حيث يسمى "أحمد داود أغلو الشرق الأوسط بالحديقة الخلفية التي لا غنى عنها، بالنسبة لتركيا¹.

ب-نظرية تصفير المشاكل:

¹ - أغلو، مرجع سابق، ص. 145.

إن قدرة تركيا على فتح آفاق واسعة لسياستها الخارجية، يتوقف على قدرتها على إعادة ترتيب علاقاتها مع جيرانها من خلال القضاء أو على الأقل تقليل المشاكل، حيث يرى داوود أغلو أنه من غير الممكن لدولة تعاني من أزمات متكررة مع جيرانها أن تنتج سياسات دولية وإقليمية خارج حدودها، فاتفاقية ما "وراء الحدود" التي عقدها تركيا مع إسرائيل قد أدخلتها في علاقات متوترة مع جيرانها العرب في الجنوب والشرق، لذا فإن معظم الدول العربية اتخذت سياسة حذرة تجاه تركيا فسادت أجواء عدم الثقة بين تركيا وجيرانها، ما أدى إلى فشل الحوارات السياسية، فعلى تركيا تصفية الأجواء كأساس لأي نجاح ولتجاوز ذلك لابد من: تركيا القيام بدور فاعل ورائد فيما يتعلق بمسائل الأمن والتعاون الإقليمي، وعلى تركيا الاهتمام بالمجالات الاقتصادية والثقافية التي تتمتع بموقع قوي فيها من أجل تقوية علاقاتها مع جيرانها، ويشبهها بذلك مع ألمانيا التي اتبعت نفس السياسة ونجحت في ذلك¹.

وانطلاقاً من هذه النظيرتين وضع ستة مبادئ للسياسة الخارجية التركية التي أخذ بها حزب العدالة والتنمية وطبقها تركيا في علاقاتها مع منطقة الشرق الأوسط، وهي:

-التوازن بين الحرية والأمن: فالدولة التي تعجز على تحقيق التوازن بين الحرية والأمن بداخلها، تكون عاجزة على التأثير في محيطها، فبينما اتجهت معظم الدول إلى تقليص الحريات بسبب التهديدات الأمنية، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، كانت تركيا البلد الوحيد الذي نجح في التقدم على صعيد الإصلاح السياسي وتوسيع مساحة الحريات ففي سنة 2007 واجهت تركيا مخاطر وتهديد الإرهاب إلا أنها لم تقم بتقليص الحريات جراء ذلك ما جعلها نموذجاً لبلدان أخرى.

¹ - المرجع نفسه، ص.171.

-تفسير المشكلات مع دول الجوار: فقد استطاعت تركيا من توطيد علاقاتها مع جيرانها فأبرمت عدّة اتفاقيات تجارية واقتصادية مع سوريا. لدرجة وصف العلاقات بين البلدين بالانقلاب في المسار الدبلوماسي مقارنة بما كانت عليه كما وطدت علاقاتها مع جورجيا بلغاريا...إلخ، كما حافظت على علاقاتها مع إيران، كما تم تشكيل مجلس إستراتيجي رفيع المستوى مع العراق، وتشكيل آلية حوار إستراتيجي مع سوريا وكلّ ذلك يشكل نجاحاً لنظرية "صفر المشكلات".

-التأثير في الأقاليم الداخلية والخارجية لدول الجوار: وهي التجسيد لنظرية "العمق الاستراتيجي"، حيث كان الإدراك الخاطئ بين الطرفين التركي والعربي عاملاً أساسياً في عدم الانفتاح بينهما، حيث يزعم الأتراك أن العرب قد خانوا الدولة العثمانية وطعنوها في ظهرها، واتهم العرب الأتراك باحتلال الأراضي العربية لأربعة قرون، فهذا الحاجز النفسي كان العقبة أمام انفتاح الطرفين، إلّا أن المصلحة و البراغمية فتحت الطريق، وحطمت هذه الحواجز النفسية التاريخية.

-مبدأ سياسة خارجية متعددة الأبعاد: حيث يقوم هذا المبدأ على أن علاقات تركيا مع اللاعبين الدوليين والإقليميين ليست بديلة عن بعضها البعض، بل هي متكاملة فيما بينها ما يعني أن علاقات تركيا الإستراتيجية مع الولايات المتحدة وارتباطها بحلف الناتو، وسعيها للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، وسياستها مع روسيا، وسعيها للعب دور إقليمي ليست متضادة أو بديلة عن بعضها البعض، بل هي علاقات تجري في إطار متكامل¹.

-الدبلوماسية المتناغمة: وضعت تركيا صورتها الجديدة من حيث انفتاحها على أقاليم وساحات جديدة فانضمت إلى منظمات دولية، واستضافت مؤتمرات وقمما دولية، فاستضافت قيمة الناتو، وقيمة منظمة المؤتمر الإسلامي...إلخ، ما رفع من الأداء الدبلوماسي التركي

¹ - المرجع نفسه، ص ص. 612-614.

فمن سنة 2002 إلى 2010 أصبحت تركيا لدى الرأي العام العالمي دولة لها دور في تحقيق وتأسيس الاستقرار ليس الداخلي فقط بل للدول المجاورة لها، ما سمح لتركيا الانتقال إلى دولة عالمية.

-**أسلوب دبلوماسي جديد:** لقد ظلت تركيا لفترة طويلة دولة جسرية في نظر العالم أي معبرا بين الأطراف الكبرى أي أنها جسرا بين طرفين لكن ليست فاعلا بينهما، لذا على تركيا رسم خريطة تكون من خلالها قادرة على إنتاج الحلول و الأفكار في محافل الشرق ومنتدياته ودولة قادرة على مناقشة مستقبل أوروبا داخل المحافل الأوروبية ومنتدياتها.

وبالإضافة إلى هذه المبادئ الستة التي سعت تركيا تطبيقها في منطقة الشرق الأوسط اتبعت أربعة مبادئ أخرى وهي:

1. مبدأ إحلال الأمن وكفالاته لكل شخص دون تمييز بين المجموعات والدول والأشخاص من خلال الخطاب المعتدل الذي يستهدف العقل.

2. الارتقاء بمستوى الحوار السياسي إلى أعلى درجة وهو الهدف الذي تسعى تركيا لتحقيقه في الشرق الأوسط، وجعل العلاقات المتبادلة مبنية على الثقة بين الدول والشعوب والتنظيمات غير الحكومية، وقد عزز الحوار التركي الاستراتيجي مع مجلس التعاون الخليجي، وجامعة الدول العربية العلاقات التركية العربية إلى درجة غير مسبقة، حيث تلقت الدبلوماسية التركية ترحيبا وقبولا من دول الشرق الأوسط وشعوبها.

3. الترابط الاقتصادي المتبادل: كانت تركيا ترى أن التكامل الاقتصادي شرط أساسي لإحلال السلام في المنطقة، لذا بادرت لإقامة مجموعة من المشروعات الاقتصادية

مع دول المنطقة، فوُقت عددا من اتفاقيات التجارة الحرة مع العراق سوريا مصر الأردن، فالتبادل الاقتصادي من شأنه خلق تكامل اقتصادي بين دول المنطقة.

4. التعددية الثقافية: ترى تركيا أن الحفاظ على التعددية العرقية والمذهبية شرط أولي لاستقرار المنطقة، فالشرق الأوسط حسب التصور التركي يمكن أن تتمتع بالأمن والسلام، من خلال توفير حوار سياسي مكثف، لا يترك المجال للتصادم والخلافات والنزاعات، عن طريق توطيد العلاقات الدينية والعرقية والثقافية بين الدول و تفعيل العلاقات الاقتصادية و التجارية، حيث قسمت تركيا علاقاتها بالشرق الأوسط إلى أربعة نطاقات جغرافية، دول الجوار مثل العراق وسوريا، شبه الجزيرة العربية والأردن لبنان ومصر، دول مجلس التعاون الخليجي، ودول شمال إفريقيا¹.

2-محددات الدور الإقليمي التركي في منطقة الشرق الأوسط:

لا يكفي لدولة ما أن تتخذ قرارها بالانخراط في قضايا منطقة ما لكي تنجح في ذلك فبالنسبة لتركيا قد توفرت لديها العديد من العوامل والمحددات التي أتاحت وسهلت لها لعب دور إقليمي منها محلية، إقليمية ودولية.

2-1-محلية:

وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم، ذو الجذور الإسلامية، فقد كان للتوجه العلماني في السابق أثرا كبيرا على علاقة تركيا بالعالم العربي (مفهوم العلمنة كنموذج معاد للدين)، فحزب العدالة والتنمية لم يهدم النظام العلماني في تركيا، إلا أنه لم يكن أحد منطلقاته في السياسة الخارجية، كما أن قرار البرلمان التركي 2003 بالامتناع عند التعاون مع الولايات المتحدة في حربها على العراق، وموقف تركيا من الحرب في غزة، وموقفها الصلب من اعتداء إسرائيل على أسطول الحرية، وقطع العلاقات الاقتصادية والعسكرية

¹ - المرجع نفسه، ص ص. 615-621.

معها، وحادثة دافوس 2009، مما غير من صورة تركيا على مستوى الجماهير والحكومات العربية، كما أن الموقف التركي الوسطي والحيادي من كل النزاعات سواء العربية البينية، أو العربية الإسرائيلية، أو الإسلامية البينية أو الإسلامية الغربية والذي نجح حزب العدالة والتنمية من خلاله نسج خيوط التواصل والثقة مع كل الأطراف، وفق منطلق أن أية علاقة مع أي قوة طرفا في نزاع لا تعني معاداة قوة أخرى طرفا في نفس النزاع، معنى ذلك أن تقيم علاقات مع دولتين تكونان طرفين في نزاع ما. وهذا ما نجحت في تحقيقه مع معسكر الاعتدال العربي، ومعسكر الممانعة (حماس ومحمود عباس)، مع إسرائيل والفلسطينيين، مع إيران والغرب...¹ التناوب السلمي على السلطة، وإدماج التيارات الإسلامية في العملية الديمقراطية كما أن الإصلاحات السياسية التي تبنتها تركيا. ومرونة اقتصادها ساهم في احتلال تركيا المرتبة الأولى بين اقتصاديات المنطقة، حيث تدرك تركيا أن الدول العربية تشكل سوقا ممتازة بسلعها، التي تحضى في المنطقة بتنافسية لا تحصى بها في السوق الأوروبية، كما أن ما تملكه المنطقة من احتياطات الطاقة تشكل عامل جذب وأهمية استنابته لتركيا التي تطمح أن تصبح معبرا للإمدادات الطاقة إلى أوروبا.²

2-2- الإقليمية:

إن الفراغ الكبير الذي عرفته منطقة الشرق الأوسط، نتيجة انهيار النظام الإقليمي العربي، خاصة عقب احتلال العراق 2003، من أهم الأسباب التي دفعت تركيا للعب دورا إقليميا في المنطقة، حيث عرضت تركيا غزو العراق، انطلاقا من أخطار التقسيم، فوجدت تركيا نفسها وسوريا معنيتان يمنع نشوء دولة كردية في شمال العراق.

¹ علي حسين باكير وآخرون، تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010)، ص ص. 134، 135.

² رانية طاهر، "الدور الإقليمي التركي في ظل توارث الربيع العربي"، (مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2014)، ص ص. 4، 3. في:

<http://www.Umayya.Org/uneategorized/4591>

كما أن الشرق الأوسط هو المجال الجغرافي الوحيد لدى تركيا الذي يمكنها فيها لعب دور إقليمي دون الاصطدام بقوى عالمية بالمقارنة بالقوقاز حيث النفوذ الروسي أو ألبانيا والبوسنة حيث النفوذ الأوروبي، وبالإضافة إلى ذلك هناك عامل مهم وهو زيادة النفوذ الإيراني خاصة في العراق، لبنان، فلسطين، وعلاقات جيدة مع حركة حماس، فالخوف العربي من المشروع الإيراني (تشجيع المنطقة و تفريسيها) شرع القبول التركي (البعد النسبي لحزب العدالة والتنمية).

بالإضافة إلى التأييد التركي من أمريكا التي لا ترضى عن الدور الإيراني في المنطقة، لذا فالتمدد الإقليمي التركي كان أقل تكلفة بالمقارنة مع إيران، التي استثمرت ماليا وإيديولوجيا لبناء شبكة من التحالفات مع الدول والأحزاب والحركات السياسية فتركيا تلقت قبولا وترحيبا عربيا بدورها لأول مرة منذ قيام الجمهورية التركية 1923، لدرجة الحديث عن النموذج التركي، وضرورة الاستفادة منه عربيا، وما سهل هذا الدور أيضا هو ذلك التاريخ المشترك بين تركيا والعرب والتقارب الثقافي والحضاري¹.

2-3-دولية:

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي اختفى الخطر المهدد للولايات المتحدة الأمريكية، ففقدت بذلك تركيا لإحدى وظائفها الأساسية. باعتبارها خط الدفاع المتقدم لحلف شمال الأطلسي في الحرب الباردة، كذلك توتر العلاقات بين تركيا والولايات المتحدة الامريكية في إدارة "بوش الابن"، حيث تخوفت تركيا من اتساع شقة الخلاف بينهما نتيجة التناقض بين المصالح التركية والأهداف الأمريكية في الشرق الأوسط².

¹ - بوبوش، مرجع سابق.

² - طاهر، مرجع سابق، ص.2.

رفض انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي فوضع شروط تعجيزية تحول دون دخول تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، دفع بها لأن تأخذ بإستراتيجية الاستبدال، أي استبدال انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي بالعالم العربي، فلولا الرفض الأوروبي لانضمام تركيا، لما اتجهت إلى العالم العربي، التي وضعتها في موقف الانتظار، فلا هي قبلتها ومنحتها العضوية ولا هي رفضتها. من خلال ما قيل يتضح أن هناك عدة تغيرات سياسية، اقتصادية، إستراتيجية في منطقة الشرق الأوسط، غيرت من نظرة العرب إلى تركيا، فهناك عدّة تطوّرات أوجدت إحساساً حقيقياً لدى المنطقة بوجود أزمة، منها انهيار عملية السلام العربي الإسرائيلي 2000، والغزو الأمريكي للعراق، وصعود إيران كقوة إقليمية و الانقسامات الداخلية العربية والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية، وتعميق أزمة شرعية النظم العربية، مع الأنظمة السلطوية، كل ذلك أدخل العالم العربي في القرن الواحد والعشرين شعوراً عميقاً بالأزمة، وفي إطار كلّ هذا أصبح ينظر إلى تركيا على أنها النموذج الأصح، ليحتذي به العالم العربي¹.

3-الموقف التركي من الحراك في الشرق الأوسط:

لقد شكل الربيع العربي امتحاناً صعباً أمام تركيا، حيث برز أمامها تحديان: الأول يكمن في كيفية التوفيق بين مصالحها الاقتصادية الضخمة، وعلاقتها السياسية الجيدة مع الأنظمة في المنطقة، وبين واجب دعم الربيع العربي خاصة وأن تركيا تسوق نفسها كإحدى الديمقراطيات، وكنموذج إسلامي واقتصادي يمكن تعميمه في الدول العربية، أمّا التحدي الثاني فيتعلق بموازين القوى الإقليمية، حيث تدرك تركيا أنه بإمكان الربيع العربي إفراز قوى إقليمية جديدة منافسة لها. وعلى رأسها مصر التي تعدّ أكبر دولة عربية².

¹ - عصام فاعور ملكاوي، تركيا والخيارات الاستراتيجية المتاحة، بحث مقدم في "الملتقى العلمي"، الرؤى المستقبلية العربية والشركات الدولية"، (الخرطوم، كلية العلوم الإستراتيجية والأمنية والدراسات المستقبلية، 2013)، ص ص. 37، 36.

² - إياد عبد الكريم مجيد، "الموقف الإقليمي من التغيير في المنطقة العربية تركيا أنموذجاً"، مجلة العلوم السياسية، ع. 46، ص ص. 1-18.

إن الحكومة التركية حالها حال الدول الأخرى لم تكن تتوقع حدوث هذه الأحداث حيث تفاجأت بها، لذا لم تكن واضحة في البداية في كيفية الاستجابة لهذه الأحداث، إلا أنّ السياسة الخارجية التركية عموماً في تعاملها مع الربيع العربي انتهجت عدّة مبادئ منها: احترام إرادة الشعوب ورغبتهم في التغيير والديمقراطية والحرية، الحفاظ على استقرار وأمن الدول وضرورة التغيير بشكل سلمي، رفض التدخل العسكري الأجنبي في الدول العربية تجذباً لتكرار مأساة العراق وأفغانستان، والتعرض لحظر الاحتلال والتقسيم، وتقديم الدعم للتحويلات الداخلية حسب الظروف الداخلية الخاصة بكل دولة. رعاية المصالح الوطنية العليا لتركيا وفي مقدمتها المصالح الاقتصادية وبلاستثمارات و الاستناد إلى الشرعية الدولية والتحرك في إطار القوانين الدولية وقرارات الأمم المتحدة، بالإضافة إلى اقتصار الدور التركي على المهام الإنسانية غير القتالية والقيام بأعمال الإغاثة، وعدم توجيه السلاح التركي إلى أي شعب عربي، ومراعاة خصوصية كل دولة وظروفها ووضعها الداخلي وعلاقاتها الخارجية، ومصالح تركيا معها¹.

على العموم هذه هي المبادئ التي تبنتها تركيا اتجاه دول المنطقة أثناء الربيع العربي، إلا أنّ المواقف التركية اختلفت وتتنوعت من حالة لأخرى، ومن دولة لأخرى والمصلحة هي التي أفضت إلى هذا التباين، وفيما يلي سيتم التطرق إلى أهم المواقف التركية حيال الربيع العربي.

-الموقف التركي من الحالة التونسية:

لم تتدخل تركيا في البداية في تونس بمنطلق عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول ولكن بعد مغادرة زين العابدين بن علي للأراضي التونسية إلى السعودية، أعلنت تركيا عن

¹- محمد عبد القادر خليل، "تركيا وثوارث الربيع العربي" (مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، 2017)، ص.4.في:

<http://ecpss.ahram.org.eg/News/16317.espx>

دعمها للحراك في تونس، حيث قال "أحمد داوود أوغلو": (إن الثورة التونسية قد تمثل نموذجا يحتذى به من قبل بلدان أخرى تسعى للإصلاح و التحول الديمقراطي). كما قدمت تركيا الدعم على الصعيد الاقتصادي لتونس، حيث وقع البلدين أربع اتفاقيات تعاون منها قرض بقيمة نصف مليار دولار، ليتم تسديده على فترة عشر سنوات، وبفائدة ضعيفة لإنعاش الاقتصاد التونسي، وإلغاء التأشيرات بينهما كما اتفقتا على إقامة منطقة تبادل حرّ، وتبادل المنتجات الزراعية، كما قامت أنقرة بتدريب بعض الكوادر الشابة التونسية في مجالي السياحة والتجارة الخارجية.

-الموقف التركي من الحالة المصرية:

لقد راهنت تركيا على نجاح الأحداث في مصر، حيث قام وزير الخارجية التركية "أحمد داوود أوغلو" بزيارة مصر بعد ستة أيام بعد أحداث خمسة وعشرون يناير، حيث التقى برئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة، وبعدد من شباب القوى والائتلافات الثورية، وممثلين عن الأحزاب المصرية، وقام وزير الوزراء التركي "أردوغان" بزيارة مصر على رأس وفد وزاري عالي المستوى برفقة رجال الأعمال وتوقيع العديد من الاتفاقيات الاقتصادية، حيث قال أحمد داوود أوغلو في مقابلة صحفية "نيويورك تايمز 2011" أن بلاده ستتحالف مع مصر الجديدة، لتأسيس محور ديمقراطية جديد في الشرق الأوسط بين الدولتين الأكبر في المنطقة ونفي وجود تنافس بين البلدين وأن تركيا ترغب في أن تكون مصر دولة قوية من أجل إحداث توازن القوى الإقليمية.

-الموقف التركي من الحالة الليبية:

كان الملف الليبي بمثابة تحدي للسياسة الخارجية التركية، نظرا للحسابات المتداخلة منها العلاقات الجيدة التي تربط القذافي بتركيا الذي درس فيها، كما وقف بجانبها أثناء

التدخل العسكري في قبرص 1974، كما أن التردد التركي في الملف الليبي نتيجة تشكيكها في نوايا وأهداف "نيكولاي ساركوزي" الرئيس الفرنسي الذي كان متحمسا لإسقاط النظام الليبي، والتدخل العسكري حيث شهدت اجتماعات الناتو خلافات كبيرة بين الطرفين في هذا الإطار والتي يمكن فهمها في سياق المنافسة التركية في جنوب المتوسط والقارة الإفريقية¹.

وقد عارضت تركيا أي تدخل عسكري ضد ليبيا، كما طلب أودوغان من القذافي الموافقة على إيقاف إطلاق النار، حرصا على حماية مصالحه فحوالي 25 ألف عمال وفنيين أتراك وأكثر من 200 شركة تركية، فقد كان الموقف التركي حذرا جدا، لكن بعض الساسة الأتراك طالبوا من أودوغان باتخاذ موقف حازم من القذافي لكنه إكتفى بمطالبته بعدم استخدام العنف، ولكن فيما بعد وافق أودوغان على تدخل الناتو، واشترط في عدم مسارعة تركيا في العمليات العسكرية، بل العمليات الإنسانية فقط². وهذا الموقف هو الذي أدى إلى تحسن العلاقات التركية الليبية، أي المجلس الانتقالي الليبي، حيث قام رئيسه "مصطفى عبد الجليل" بزيارة تركيا في ديسمبر 2011، والتقى برئيس الوزراء أودوغان والرئيس التركي "عبد الله جول" كما قام أودوغان بزيارة ليبيا لضمان استمرارية الاستثمارات التركية في ليبيا.

-الموقف التركي من الحالة اليمنية:

لم تلقى الحالة اليمنية اهتماما ملحوظا من تركيا، مقارنة بغيرها نتيجة اتسام مصالح تركيا في اليمن بالمحدودية، فلم تلقى الحالة اليمنية اهتماما حقيقيا من قبل النخب والقيادات التركية، إلا أنها سعت إلى التعاون الاقتصادي معها في فترة ما بعد "علي عبد الله صالح" حيث قام الرئيس التركي "عبد الله جول" بزيارة اليمن 2011، وتوقيع اتفاق مشترك لإلغاء

¹ - محمد عبد القادر خليل، "الربيع العربي... تركيا في الشرق الأوسط جديد" (مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، 2013) ص ص. 4-2. في:

<http://www.moheet.com/2013/03/02/1734537>.

² - عمر كوش، "الموقف التركي من الثورات العربية"، في:

<http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2011/06/10>

تأثيرات المرور بين الدولتين ونفس الشيء كان موقفها في البحرين حذرا، ودعت الأطراف للإصلاح دون انتقاد مباشر للنظام، مع التحذير من مخاطر الانقسام السني الشيعي.¹

إنّ أحداث الربيع العربي شكل تحديا لمبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية الذي تبنته السياسة الخارجية التركية، فعلى الرغم من الأحداث في كل من الأحداث في كلّ من مصر وتونس قد أسفرتا سريعا إلى سقوط نظام "بن علي ومبارك"، الذي انحازت فيه تركيا إلى إرادة الشعوب في التحول الديمقراطي، إلا أن التطورات التي حدثت على المسارين الليبي والسوري، أربكت الموقف التركي نظرا للروابط السياسية والعلاقات الاقتصادية والتداعيات الأمنية، لذا سنحاول فيما يلي ذكر أهم العوامل التي دفعت بتركيا لصياغ موقفها حيال هذه الدول التي مسها الربيع العربي.

4-الدوافع السياسية والاقتصادية والأمنية للمواقف التركية حيال الربيع العربي:

أ-الدوافع السياسية:

يقول وزير خارجية تركيا "أحمد داوود أوغلو": (الربيع العربي هو بمثابة تدفق طبيعي للتاريخ وحدث عبقري وضروري جاء متأخرا حيث كان ينبغي أن يحدث في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي. وأن ما يجري في المنطقة مسارا طبيعيا للأمور، والتحويلات التي تشهدها دول الشرق الأوسط ناتجة عن ضرورات اجتماعية مع ضرورة ابتعاد زعماء العرب عن الوقوف أمام رياح التغيير.

إن الربيع العربي أدى إلى استدعاء الدور التركي كنموذج، وكيفية الاستفادة من الخبرة التركية خاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين الديني والسياسي مع نجاح الإسلام السياسي التركي ونجاح حزب العدالة والتنمية في الوصول إلى صيغ توافقية داخليا وخارجيا وفورت الأحداث طرح تركيا لدورها كطرف ثالث ووسيط في معالجة الخلافات العربية الداخلية

¹ - خليل، مرجع سابق، ص ص. 5، 6.

ومحاولة الحد من امتداداتها الإقليمية والتدخلات الدولية مع التركيز على المدخل السياسي والدبلوماسي. والذي كان يهدف لتعزيز مكانة تركيا إقليمياً، حيث كانت تهدف إلى استغلال الفرص للتأكيد على أهمية الدور و"النموذج"، لدول المنطقة حيث يقول "إبراهيم كالين" مستشار رئيس الوزراء التركي: (إنه على عكس ما يراه البعض، فإن التغيرات في منطقة الشرق الأوسط ستعزز الدور السياسي لتركيا، وستخرج تركيا رابحة في إطار عالم عربي أكثر ديمقراطية، فلا يجب أن تقلق تركيا من هذه التغيرات، لأن الشعوب العربية تتقدم على حكامها من ناحية النظرة الإيجابية للدور التركي في مرحلة الربيع العربي وبعده، وهو أن تركيا لا تسعى لاستغلال هذه الأحداث للسيطرة على المجتمعات والأنظمة السياسية العربية الجديدة، وإنما تسعى لدعم عملية التحول الديمقراطي، حيث شهدت المنطقة وتركيا المزيد من الندوات العلمية والمؤتمرات الصحفية واللقاءات المشتركة بين الباحثين العرب والأتراك للاستفادة من الخبرة التركية في مجال التحول الديمقراطي، حيث ترى بعض الأدبيات التركية أن الربيع العربي من شأنه أن يساهم في تعزيز قدرة تركيا على تطبيق إستراتيجية العثمانية الجديدة، بحيث تتكامل تركيا بصورة أكبر وأعمق مع الدول العربية التي خضعت لسيطرة ونفوذ الإمبراطورية العثمانية، والذي سيضمن لتركيا التحول لقوة إقليمية كبرى¹.

كما عملت تركيا على استغلال هذه الأحداث لتوثيق علاقاتها الدولية خاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي، وذلك من خلال إبراز دورها في تحقيق الاستقرار الإقليمي، ومنه أن زاد التقارب الأمريكي التركي من خلال التنسيق المشترك للتعامل مع الملف السوري، وكيفية استيعاب التيارات الإسلامية المتصاعدة، ودعم العلاقات مع هذه الأنظمة الجديدة ومنها دعم حركة الإخوان المسلمين، وتشجيع التيارات الإسلامية على العمل السياسي بالاستفادة من تلك اللقاءات التي عقدتها معها ودعوتها لزيادة أنقرة والاستفادة من إسلامي تركيا، حيث صرح أردوغان خلال زيارته إلى دول عربية (مصر

¹ - إيداد، مرجع سابق، ص ص. 8، 9.

تونس، ليبيا) أن العلمانية التركية لا تتعارض ولا تتناقض مع الهوية الإسلامية، وهذا ما شكل انتقاداً لتركيا على أنها تتدخل في الشؤون الداخلية للدول، فقد اتهمت سوريا تركيا في دعمها لحركة الإخوان المسلمين السورية أنها تسعى لإعادة الهيمنة في المنطقة "إستراتيجية العلمانية الجديدة"¹.

ب-الدوافع الاقتصادية:

لقد عملت تركيا في السنوات الأخيرة على نسج شبكة من العلاقات الاقتصادية، منها توقيع اتفاقيات اقتصادية مهمة، وأبرمت اتفاقيات ثنائية مع العديد من الدول العربية، وألغت تأشيرات الدخول مع، سوريا، لبنان، الأردن، ومع هذه الأحداث الأخيرة عرفت تركيا خسائر اقتصادية مع الدول التي شهدت الحراك، فالصادرات التركية خلال الأشهر الثلاثة الأولى من عام 2011 وبداية 2012 تراجعت بنسبة 24% لكل من مصر واليمن و20% لتونس و43% لليبيا، وتوقفت بشكل كبير مع سوريا، وخسائر كبيرة للمتعاقدین وشركات البناء التركية في تلك البلدان حيث تراجع إجمالي صادرات تركيا بنسبة 13%² فوفقاً لإحصائيات مجلس المصدرين الأتراك لسنة 2010، قد تم تصدير منتجات تركية إلى مصر بقيمة مليارين و323 مليون دولار وإلى سوريا بقيمة مليار و852 مليون دولار، وإلى ليبيا بقيمة مليارين و7 مليون دولار، وتونس بقيمة 751 مليون دولار، واليمن 338 مليون دولار، فيما تراجع إجمالي الصادرات التركية خلال 2011 إلى هذه الدول الخمسة من 7 مليارات و272.5 مليون إلى 6 مليارات و323 مليون دولار³.

¹ - خليل، مرجع سابق، ص.5.

² - إياد، مرجع سابق، ص.9.

³ - جليل، (تركيا...)، مرجع سابق، ص.6.

لقد تخوفت تركيا من تأثر استثماراتها في المنطقة، خاصة اتفاقيات التجارة الحرّة التي أبرمتها مع مصر وليبيا، وكذلك اتفاقية إقامة منطقة مشتركة بين لبنان، سوريا، الأردن والتي علقت بسبب الموقف التركي من الأحداث في سوريا.

كما خشيت تركيا من ارتفاع أسعار النفط بسبب هذه الأحداث والذي سيؤثر على ارتفاع معدل العجز في الميزان التجاري التركي، نظرا لاعتمادها على استيراد أكثر من 90% من احتياجاتها النفطية من المنطقة، فقد كشفت المقارنة بين حجم الصادرات والواردات التركية عن تضاعف حجم العجز في ميزان التجارة الخارجية من 5.5 مليار دولار عام 2010، إلى 9 مليار دولار 2012، وانخفض النمو التركي الاقتصادي إلى 2.2% خلال 2012، كما تراجع حجم الصادرات التركية إلى ليبيا بنسبة 63% وإلى اليمن 15%، سوريا 14% مقارنة بـ 2010.

رغم كلّ ذلك فقد سعت تركيا إلى المساهمة في إعادة إعمار بعض دول المنطقة وإمدادها بخدمات الاتصالات والمشاركة في قطاع التشييد والبناء، وعملت على مضاعفة الاستثمارات في مصر، وتوفير فرص عمل أمام العمالة المصرية (حوالي 75 ألف مصري يعملون في الشركات التركية في مصر)، كما عملت على زيادة الصادرات إلى مصر وليبيا، وعملت على استكمال خط "RoRo" الملاحي بين منشائي مرسين التركي والإسكندرية المصري الذي سيجعل من الإسكندرية بوابة تركيا إلى الدول العربية وإفريقيا، لذا فإن مواقف تركيا من الربيع العربي قد تأثرت بمصالحها الاقتصادية.

ج-الدوافع الأمنية:

لقد كان للدافع الأمني دورًا أساسيا في تحديد الموقف التركي من الربيع العربي، من منطلق أن استمرار الاحتياجات قد تؤثر في مستقبل الاستثمارات السياسية والاقتصادية

التركية في المنطقة بما قد يخدم المصالح والسياسات الإسرائيلية، فهذه الأحداث أدت إلى بروز أدوار أمنية عسكرية تركية مثل ما ظهر في ليبيا، حيث شاركت تركيا في حملة الناتو لفرض حظر التسلح وإيصال المساعدات الإنسانية، كما ذكرت بعض التحليلات خطط تركيا لإقامة مناطق آمنة داخل سوريا للحدّ من الامتدادات السلبية، وتدفق اللاجئين السوريين إلى الأراضي التركية وقد لعبت الاعتبارات الأمنية دوراً أساسياً في موقف تركيا في كلّ مكن البحرين واليمن خوفاً من تحول الأزمة إلى صراع طائفي مذهبي يكون له امتدادات إقليمية ونفس الشيء بالنسبة لسوريا، التخوف من تأجج المشكلة الكردية وسعي أكراد سوريا إلى تأسيس إقليم حكم ذاتي على غرار إقليم كردستان العراق، وخوفاً من انتقال الأزمة إلى حدودها الجنوبية إذا ما خرج الوضع الأمني عن السيطرة أو تطور إلى المواجهة العسكرية بين سوريا والقوى الغربية مثلما حدث في ليبيا. كما أن حادثة إسقاط سوريا لطائرة استطلاع تركيا (F4) مثل تحديثاً كثيراً بالنسبة لتركيا¹ وفي إطار كلّ هذا فإن النموذج التعاوني الذي نادت به أنقرة للتعامل لحلّ المشكلات الأمنية في المنطقة لم يعد يجدي نفعا من خلال توتر علاقاتها مع إسرائيل بسبب أزمة أسطول الحرية، وتضرر العلاقات التركية السورية، وكذلك العلاقات الإيرانية والتي ظهرت بقيام أنقرة بنشر صواريخ الدرع الصاروخي على أراضيها وكذلك صراعهما في مجريات الأحداث في سوريا (دعم إيران للنظام البعثي، ودعم تركيا للمعارضة في شقها السياسي والعسكري الجيش السوري الحرّ. إنّ المواقف التركية من الربيع العربي، ارتبط باختلاف المصالح السياسية، وأنماط الروابط الاقتصادية، وطبيعة التقديرات الأمنية².

¹ - إياد، مرجع سابق، ص ص. 10-12.

² - جليل، (تركيا...)، مرجع سابق، ص. 8.

المطلب الثاني: تأثير السياسة الخارجية التركية على مسار الأزمة السورية.

1-العلاقات التركية السورية:

يمكن حصر العلاقات التركية السورية في ثلاث مراحل مهمة وهي:

أ-المرحلة الأولى: يمكن حصرها من 1921 قضية لواء الإسكندرونة إلى غاية 1998 توقيع اتفاقية أضنة وهي مرحلة العداء والتوتر بين البلدين: خلال فترة الحرب الباردة كانت تركيا عضوًا في المعسكر الغربي، بينما كانت سوريا حليف المعسكر الشرقي، وهو ما وتر العلاقات بينهما لسنوات طويلة، كما تربط سوريا وتركيا علاقات متوترة بسبب مشاكل فرضها الثابت الجغرافي والحدود المشتركة، والاتفاقيات الدولية التي رسمت الحدود بين الدولتين وأبرز هذه المشاكل هي:

- قضية اللواء الإسكندرونة: لواء إسكندرون إحدى المشاكل القائمة بين سوريا وتركيا والتي ترجع إلى 1921/10/20 عندما أقرّت فرنسا وتركيا في اتفاقية أنقرة لتخطيط الحدود بين سوريا وتركيا، وإقامة نظام إداري خاص لمنطقة اللواء، حيث قامت تركيا بتضخيم الوجود السكاني التركي في اللواء، من خلال تقديم عدّة تسهيلات، وجعل فيها اللغة التركية لغة رسمية، وفي سنة 1938 أجرت تركيا بالتنسيق مع فرنسا انتخابات في هذا اللواء، الذي فاز فيه الأتراك بـ 22 مقعد، والعرب السوريون بـ 18 مقعد (حيث يقال أن الانتخابات قد زورت)، فاجتاحت بذلك القوات التركية اللواء في 1939/06/22 وأدخل اللواء إلى السيادة التركية، وأصبح يعرف باسم "هاتاي"، حيث لم تقبل سوريا هذا القرار. فلا يزال موقع إسكندرون يظهر على الطابع والخرائط السورية في حين تتوقع تركيا فتح هذه القضية في أي وقت ممكن¹.

¹ - حسين دلي خورشيد، تركيا وقضايا السياسة الخارجية (اتحاد الكتاب العرب، 1999)، ص ص. 49، 50.

● **قضية المياه:** إن مياه نهري الدجلة والفرات من أكثر القضايا إثارة للتوتر والخلاف بين تركيا و جاراتها سوريا والعراق خاصة بعدما أصبحت المياه ثروة مطلوبة مع زيادة الحاجة إليها في إطار الندرة، حيث تعتبر سوريا والعراق أن هذين النهرين دوليين، ولهما فيه حق تاريخي، وتطالب بالكف عن الاستخدام الأحادي للنهرين، في حين تعتبرهما تركيا نهريين تركيين لها الحق في مياههما، حيث تربط تركيا مسألة المياه بالأمن، وأحيانا بالنفط، وتستخدمها كسلاح ضد سوريا التي تتهمها بدعمها الحزب العمال الكردستاني "RKK"، الذي يخوض حربا مسلحة ضدّ تركيا من 1984. وما زاد مشكلة المياه تعقيدا هي قيام تركيا ببناء مشاريع تركية ضخمة في حين تعاني فيه المنطقة من نقص في المياه ومن هذه المشاريع:

● **مشروع غاب "GAP" مشروع جنوب شرق الأناضول:** يحتل مشروع غاب موقعا مركزيا في العلاقات التركية السورية والعراقية حيث يتألف من 22 سدا و 19 محطة للطاقة الكهرومائية، ومشروعات أخرى في قطاعات الزراعة والصناعة والمواصلات والري والاتصالات، حيث ترمي تركيا من خلال هذا المشروع إلى التحكم في الأمن المائي والغذائي في المنطقة، كما تستخدم المياه كثروة وطنية يمكن مبادلتها بالنفط والسلاح لتحقيق مطالب أمنية، في حين قدرت المصادر السورية أنه عند استكمال هذا المشروع ستتخفص كمية المياه المتدفقة إلى سوريا بمقدار 40%، وإلى العراق بـ 80%، وستسبب هذا النقص بأضرار بالغة في مجالات الكهرباء والصناعة والاستخدام البشري، وأضرار الأراضي الزراعية كزيادة نسبة الملوحة والتصحر والتلوث، حيث تؤكد سوريا أن احتياطات مياه شربها ملوثة.

● **مشروع مياه أنابيب السلام:** أعلنت تركيا عن هذا المشروع في 1987، الذي يهدف إلى تزويد دول منطقة الشرق الأوسط من فائض مياه نهري (سيحان وجيحان

(التركيبين)، حين طرحت تركيا إيصال المياه إلى سوريا، الأردن، إسرائيل، وبعض دول الخليج، والذي لقي رفضاً عربياً، خاصة سوريا التي رفضت إيصال المياه إلى إسرائيل عبر أنبوب يمر من أراضيها وقد قامت تركيا بتعديله فيما بعد لكنه لقي رفضاً، خوفاً من استخدام تركيا المياه كسلاح لبلوغ دورها الإقليمي فقد شكل ملف المياه نظرة سلبية في العلاقات التركية السورية¹.

كما شكلت العلاقات بين سوريا واليونان عاملاً مؤثراً في رؤية تركيا إلى سوريا كعامل تهديد أمني، خاصة في اعتبار تركيا اليونان عدواً تقليدياً لها، رغم عضويتها في الحلف الأطلسي حيث صدرت تصريحات يونانية تؤكد موافقة سوريا على تأمين حق هبوط طائراتها الحربية على أراضيها.

كذلك العلاقات التركية الإسرائيلية أحد أسباب التوتر بين البلدين، لأن أحد أسباب دخول تركيا في تعاون عسكري مع إسرائيل، هو لاستخدامه ضد سوريا لضعفها، حتى لا يكون لديها القوة الكافية لإثارة أي نزاع مع تركيا، أو الضغط عليها بشأن مشكلة المياه أو لواء الإسكندرون، حيث صرح وزير الدفاع الإسرائيلي "موردخاي" في 1997، أدرج سوريا ضمن الدول المستهدفة من جانب تركيا وإسرائيل، ولكن بعد اتفاق أضنة 1998 دخلت العلاقات التركية السورية مرحلة من الهدوء والتحسين، وأصبحت تركيا تنظر إلى سوريا دولة جارة وليست عدواً².

ب-المرحلة الثانية:

يمكن حصرها من 1998 إلى غاية 2011 والتي يمكن تسميتها بمرحلة تحسن العلاقات بين البلدين: شهدت هذه الفترة تطوراً في العلاقات بين البلدين على كافة المستويات

¹ - المرجع نفسه، ص ص. 43-48.

² - عماد الضميري، تركيا والشرق الأوسط (مركز القدس للدراسات السياسية، 2002)، ص ص. 88-110.

"مرحلة التحالف الاستراتيجي" والتي كان لاتفاقية أضنة دورا كبيرا في ذلك، ومع الرؤية الجديدة للسياسة الخارجية التركية رأت بضرورة إعادة بناء العلاقات مع سوريا، فقد افتتحت تركيا عهدا جديدا، حددت فيه الثقة من خلال إسقاط مشكلة دعم حزب العمال الكر دستاني من أجندة المباحثات والعلاقات، التي كانت تمثل التهديد الأكبر في العلاقات بين الدولتين كما سعت تركيا لحل مشكلة المياه فاتخذت الدولتين قرار بإنشاء سد مشترك على النهر العاصي والسماح لسوريا بالرعي فوق مساحة قدرها 20-30 كيلومتر على حدود دجلة¹، فقد شكلت العلاقات بين البلدين تحسن فقبل بدى الاحتجاجات في سوريا بنحو 7 أشهر فقط، كانت العلاقات التركية-السورية في القمة وقع الطرفين حوالي خمسين اتفاقية مشتركة، فتح الحدود وإلغاء التأشيرات المرور، تبني سياسة مشتركة بين الطرفين لمنع إقامة كيان كردي في المنطقة، تشكيل المجلس الأعلى الإستراتيجي للعلاقات، كما تطورت العلاقات العسكرية لدرجة إجراء الجيشين التركي-السوري مناورات مشتركة بعدما كان في الماضي يربط الجيش التركي علاقات وطنية بإسرائيل، فالتجربة الإصلاحية التركية في منطقة الشرق الأوسط استهدفت بالأساس سوريا، التي تربطها بها علاقات تاريخية، جغرافية، ثقافية، اجتماعية اقتصادية.

ج-المرحلة الثالثة:

هي من بداية أحداث 2011 أي فترة الربيع العربي، والتي يمكن تسميتها بمرحلة عودة التوتر بين البلدين: إن العلاقات التركية-السورية دخلت مرحلة من التوتر والخطر، في هذه المرحلة، خاصة مع رؤية سوريا أن تركيا غير بعيدة عن الموقف الأمريكي والغربي، بل أنها تلعب دورا إقليميا لفرض واقع سياسي على سوريا، كما ترى أن الغرب هو الذي يتحرك

¹ - أوغلو، مرجع سابق، ص.625.

عبر تركيا في المنطقة¹. فالأحداث في سوريا وموقف تركيا منها غير من العلاقات القائمة، وبدأت تتراجع وتتناقص العلاقات بين تركيا والنظام السوري، فالمواقف التركية من الأحداث في سوريا كان سببا في توتر العلاقات من جديد وهذا ما سيتم عرضه في العنصر التالي.

2-الموقف التركي من الأزمة السورية:

عكست الأزمة السورية ارتباكا كثيرا في الموقف التركي، فقد شكل ذلك تحديا لاستثماراتها الاقتصادية وأمنها القومي نظرا للحدود بين البلدين، وعلاقات المصاهرة، والثقافة والعادات والتقاليد المشتركة حيث اعتبرت تركيا الأزمة السورية أزمة تركية داخلية، فيقول أردوغان: «إن اهتمام تركيا بسوريا يختلف عن اهتمامها بما يجري في مصر أو تونس، لأن الوضع مختلف تماما... لأن سوريا دولة مجاورة، وهناك حدوده 85 كيلومتر فقط»².

فمنذ بداية الأزمة السورية كان لتركيا موقفا فيها، لكنه انتقل مع الوقت من مستوى آخر، تقدما وتراجعا لعدة عوامل أهمها التطورات التي شهدتها سوريا داخليا، سياسيا وميدانيا، والموقف الدولي، يمكن تقسيم المواقف التركية حيال سوريا إلى:

أ-الضغط لإحداث إصلاحات سياسية في سوريا: وذلك نظرا لدعم تركيا الحركات الشعبية والتغيير في الدول الأخرى التي عرفت الحراك، لم تستطيع أخذ موقف مخالف بالنسبة لسوريا، إلى أن العلاقات الجيدة التي ربطتها بسوريا ونظام بشار الأسد ما قبل 2011، دفع بتركيا إلى الضغط على بشار الأسد ليقدم تنازلات تسمح بالتحول نحو الديمقراطية لقد تخوفت تركيا من تطور الأحداث التي قد تضرّ بمشاريعها واستثماراتها فضلا عن العلاقات الشخصية والعائلية مع الأسد، وامتدت هذه الفترة من بداية التظاهرات في مارس 2011، حتى سحب السفير التركي من دمشق 2012، حيث

¹ - عبد المنعم ممدوح، تركيا والبحث عن الذات (القاهرة: مركز الأهرام للنشر والترجمة والتوزيع، 2012)، ص ص. 118-121.

² - كوش، مرجع سابق، ص. 3.

شملت هذه الفترة عدّة اتّصالات هاتفية بين أردوغان والأسد، وعدة زيارات وزير الخارجية "أحمد داود أوغلو" حوالي 14 زيارة، كما استضافت تركيا مؤتمرين للمعارضة السورية التي دعمت فيه الإصلاحات الدستورية والتغيير السلمي، وتأييد مطالب الثوار.

ب-دعم المعارضة لإسقاط الأسد: بعد اقتناع تركيا أن الأسد غير جاد في إحداث إصلاحات حقيقية لاحتواء هذه الأزمة فجراء القطيعة الدبلوماسية وسحب السفريين فقدت تركيا الضغط على النظام السوري، كما اعتبرته فاقد الشرعية نظرا لزيادة عدد القتلى والمصابين، فنادت بضرورة إسقاط النظام لإنقاذ مستقبل سوريا، والإعتراف بحق الشعب السوري في اختيار قيادته ومستقبل بلاده، فتعارضت بذلك تركيا مع المحور الروسي الإيراني الداعم للأسد، ولكنها توافقت مع الموقف الأمريكي الأطلسي الدولي، الذي دعا إلى مكافحة الإرهاب (تنظيم الدولة)، وقد قدمت تركيا للمعارضة السورية الدعم الإعلامي والسياسي واللوجيستي والعسكري فاستضافت معظم القيادات السياسية للمعارضة السورية، كما ساهمت في تشكيل اعتراف دولي بالمعارضة السياسية السورية، كما استضافت حوالي مليوني لاجئ سوري ضمن سياسة "باب المفتوح"، كما أمدّت بعض الفصائل العسكرية بالسلاح (مجموعات الجيش الحرّ في شمال سوريا، والفصائل التركمانية).

ج-القبول بالحلّ السياسي: وهنا تم التخلي عن شعار سقوط الأسد، والقبول بخطة الفترة الانتقالية، وفق الاتفاق الأمريكي الروسي في فيينا، أي الموافقة على بقاء الأسد على رأس السلطة في انتظار الانتخابات التي سيتم عقدها، وهذا الموقف جاء نظرا لتراجع إمكانيات الدور التركي بعد التدخل العسكري الروسي المباشر، والاتفاق الأمريكي الروسي على حل هذه الأزمة وفق لوضع خريطة طريق وجدول زمني، ومن يخرج عن هذا الاتفاق سيصنف ضمن "دعم الإرهاب"، كما عرفت هذه المرحلة انتخابات 7 جوان وما ترتب عنها من متغيرات داخلية وخارجية أثرت على صانع القرار التركي ودفعته

لتقديم سياسة الخارجية، وكذلك فتح قاعدة "إنجبرليك" العسكرية لطائرات التحالف الدولي، فانخرطت تركيا في التحالف الدولي لمكافحة تنظيم الدولة داعش¹.

د-الانتقال من المبادرة للدفاع: يمكن تأريخ هذه المرحلة بحادثة إسقاط أنقرة للمقاتلة الروسية، فقد فقدت تركيا أي أمل في إحداث تغيير في الحالة السورية كإسقاط النظام وغيرها، وأصبحت تهتم بحماية حدودها وأمنها القومي من تطورات هذه الأزمة وهذا الموقف يرجع إلى: «تلك الإجراءات العقابية التي فرضتها روسيا ضد أنقرة، على كافة المستويات الاقتصادية، السياسية، العسكرية، وفرضت موسكو حالة حظر طيران فوق سوريا، منعت فئة الطائرات التركية من التحليق فوقها (سوريا)، كذلك تقدم قوات حماية الشعب (الكردية)، الذراع العسكرية لحزب الاتحاد الديمقراطي، الذي تعتبره تركيا الامتداد السوري لحزب العمال الكردستاني، باسم قوات سوريا الديمقراطية. المدعوم من قبل روسيا عسكريا والولايات المتحدة الأمريكية سياسيا، لإقامة شريط كردي محاذ للحدود التركية السورية.

فلم تعد الأزمة السورية بالنسبة لتركيا مشكلة دولة جارة، بل أصبحت شأنا داخليا وذلك لأسباب، حيث أن التطورات التي عرفتتها جبهة حلب هدفت إلى خنق المعارضة وفصلها عن التواصل الجغرافي، والسياسي واللوجيستي مع تركيا، وكذلك المشروع السياسي الكردي في شمال سوريا الذي يهدد تركيا بسناريو التقسيم أو الحكم الذاتي بالنسبة لأكرادها فقد اتهمت أنقرة حزب العمال الكردستاني وقوات الحماية أنها كانت خلف التفجير الذي حدث في أنقرة وأودى بحياة 28 شخص، فكل هذه الأسباب طرحت التدخل العسكري التركي في سوريا²، حيث جاء هذا التدخل بما يسمى بعملية درع الفرات، وقد أعلنت الحكومة

¹- سعيد الحاج، محددات السياسة الخارجية التركية إزاء سوريا (مركز إدراك للدراسات والاستشارات، 2016)، ص 10، 11.

²-المرجع نفسه، ص ص. 12، 13.

التركية أن هذه العملية تستهدف القضاء على تنظيم الدولة داعش، ومنع تمدد وزحف الأكراد، ولتأمين حدودها الشمالية مع سوريا ومنعهم من إقامة كيان كردي مستقل.

ولقد مرّت هذه العملية بعدة مراحل، أولها السيطرة على مدينة طرابلس السورية، من أيدي تنظيم الدولة "داعش" ومن ثم إعلانها عن السيطرة على مدينة الباب السورية التي تخضع هي الأخرى لسيطرة "داعش"، كما تمكنت من قطع الطريق أمام تقدم قوات وحدات حماية الشعب الكردية السورية نحوها، للوصول إلى مدينة منجيج السورية التي تخضع لسيطرة قوات سوريا الديمقراطية، ثم أعلن المسؤول الأتراك من انتهاء العملية بنجاح وأنها قد حققت أهدافها المطلوبة بتطهير مدينتي "طرابلس والباب" من داعش، ومنعت تقدم القوات الكردية، كما أعلنت على أنها جاهزة لعمليات مماثلة لحماية أمنها وحدودها. فقد استطاعت تركيا من خلال هذه العملية من إنشاء منطقة آمنة على طول حدودها مع سوريا.

وبعد هذا النجاح طالبت تركيا باستكمال العملية بالتوجه نحو مدينة "منجيج" السورية الخاضعة لسيطرة قوات سوريا الديمقراطية، المدعومة أمريكيا والتي ترضى عنها روسيا إلا أنها لقت عوائق من قبل القوى الدولية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية التي أرسلت وحدات من قواتها على حدود مدينة "منجيج" السورية لمنع تقدم القوات المدعومة من تركيا مع تقديم الدعم اللوجستي والمعلوماتي لقوات سوريا الديمقراطية، وكذلك روسيا التي قدمت دعما واضحا لقوات سوريا الديمقراطية، فأنشأت قاعدة لتدريب القوات الكردية في منطقة عفرين غرب تمركز القوات التركية وحلفائها وكل هذا يوضح خطة المصالح والأهداف في سوريا¹، من خلال كل ما قيل يتضح أن تركيا قد غيّرت من مواقفها تجاه الأزمة السورية وفقا لمتغيرات رئيسية وهي الواقع الميداني السوري، المشهد التركي الداخلي، والمواقف الدولية من هذه الأزمة، بالإضافة إلى المصالح التركية كمحدد رئيسي، فقد تطور الموقف التركي

¹ - نشأت شوامرة، "تركيا وانتهاء عملية درع الفرات: الدوافع والأهداف"، في:

من حث بشار الأسد القيام بإصلاحات في بداية الاحتجاجات في 2011، ثم تطور إلى دعم المعارضة، بعد فشل الحل الدبلوماسي، والمطالبة برحيل الأسد، 2012، ثم القبول بالحل السياسي لأزمة شرط رحيل الأسد 2015، ثم القبول ببقائه خلال الفترة الانتقالية 2016 وصولاً إلى التدخل العسكري المباشر في الأراضي السورية عبر عملية درع الفرات¹.

3-تداعيات الأزمة السورية على الدور الإقليمي التركي:

إنّ موقف تركيا من الأزمة السورية والانخراط في دعم المعارضة السورية السياسية والعسكرية، والتلويح المستمر بإقامة منطقة أمنية عازلة داخل الأراضي السورية، والتهديد بعمل عسكري ضدّ النظام السوري للتخلص منه كل ذلك أدى إلى تداعيات داخلية وخارجية هدد تركيا بالدخول في أزمة شاملة.

أ- **على المستوى الداخلي:** لقد ظهرت في تركيا حملة من الانقسامات الخطيرة على شكل انقسامات سياسية وطائفية واجتماعية وقومية وإثنية ومنها، تجذر اللغة الطائفية بين حكومة حزب العدالة والتنمية، والمعارضة على رأسها حزب الشعب الجمهوري، بزعامة كمال كليجدار أوغلو، الذي يصف أردوغان بالسلطان العثماني الجديد المتطلع للباب العالي والعميل للصهيونية والامبريالية.

إن العقوبات الاقتصادية التي فرضتها تركيا على سوريا، جعل هذه الأخيرة هي الأخرى تتخذ سلسلة من إجراءات الاقتصادية، ومنها إلغاء اتفاقية التجارة الحرة بين البلدين ما شكل تداعيات اقتصادية كبيرة خاصة على اقتصاد المناطق الحدودية مع سوريا فقد تراجع حجم التجارة إلى الصفر مع هذه المناطق، فبرزت طبقة، اقتصادية متضررة من السياسة التركية تجاه سوريا التي كانت تشكل معبراً حيوياً إستراتيجياً للتجارة التركية إلى

¹ - سعيد الحاج، "تركيا والأزمة السورية... ملامح مرحلة جديدة"، في:

الأردن، مصر، ودول الخليج، فهذه الخسارة أدت إلى بروز طبقة اقتصادية واجتماعية متضررة انتقلت إلى موقع المعارضة لسياسة أردوغان.

لقد أبدت القوى السياسية في تركيا منها اليسارية والديمقراطية والحركة الكردية وبعض القوى الإسلامية، انزعاجا من سياسة أردوغان، التي عادت إلى الدور الوظيفي للسياسة الغربية تجاه المنطقة، كما خلقت لتركيا مخاطر تهدد كيائها، فقد وجه "كليجدار أوغلو" تحذيرا لأردوغان بالمخاطر التي ستتجم عن هذه السياسة وضرورة اتباع سياسة السلام بدلا من الحرب مع الجوار الجغرافي، فالسياسة التركية تجاه سوريا قد ألغت كل النظريات التي طرحها أحمد داوود أوغلو كصفر المشاكل، والعمق الاستراتيجي، وأدت إلى عودة التبعية للغرب من جديد¹.

• **الانقلاب الفاشل:** لقد عرف الدور الإقليمي التركي تراجعا كثيرا، فظهرت دعوات تركية داخلية لضرورة إحداث تحولات في السياسة الخارجية التركية، تكون أكثر مصلحية، وعلى إثر هذه الدعوات تعرضت البلاد لمحاولة انقلاب عسكري فاشلة في 15 جويلية 2016، والتي شكلت نقطة تحول خطيرة في الأوضاع التركية ودور الجيش، حيث تؤكد الحكومة التركية أن "فتح الله غولن"، زعيم حركة الخدمة التركية وهو من مقاتلي حزب العمال الكردستاني، هو الذي قام بهذه المحاولة، المقيم في الولايات المتحدة الأمريكية، نتيجة قيام الحكومة التركية بالدخول في مواجهة سياسية وقانونية مع هذه الحركة 2012، وتطهير جهاز الشرطة من أنصار هذه الحركة.

إلا أن هناك تقديرات تقول أن هذه المحاولة الانقلابية هي في الأساس انقلابا من قبل مجموعة في الجيش على الجيش نفسه، أكثر من كونه انقلابا على السلطة السياسية، تم الإعداد له منذ سنوات، مما عكس خلا داخل الجيش وعدم ضبط صفوفه، وتراجع مستوى

¹ - حسين دلي خورشيد، "انهيار سياسة تركيا في الشرق الأوسط"، مجلة الوحدة الإسلامية، ع. 130 (أكتوبر 2012).

الثقة بين القادة، إلا أنّ عدم تورط عدد من القادة العسكريين الكبار في هذه المحاولة، أدى إلى فشل الانقلابيين في السيطرة على أنظمة الاتصالات، كما أن وجود قوة الأمن واستغلالها وتحركها ضدّ هذه المحاولة، بالإضافة إلى التحرك الشعبي وتوحد الأحزاب السياسية في موقف واحد ضدّ الانقلاب أدى إلى إفشاله، ولقد فرضت هذه المحاولة على المؤسسة العسكرية التركية إجراء مراجعة إستراتيجية شاملة، ووضعت الدولة التركية أمام تحدي إعادة بناء الثقة الوطنية الشاملة، ومن ذلك أن اجتمعت الأحزاب الثلاثة الرئيسية في البلاد، العدالة والتنمية، الشعب الجمهوري، والحركة القومية، مع رئيس الدولة لأول مرة للتوافق على الخطوات اللازمة لتجاوز هذه التحديات التي تواجهها تركيا على المستوى الداخلي والخارجي، خاصة مع تنامي خطر تنظيم الدولة داعش في المناطق الحدودية وقيامه بالعديد من التفجيرات في بعض المدن والبلدات التركية، وتزايد تهديد ودور حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي السوري مما أدى إلى إعادة النظر في السياسة التركية الداخلية والخارجية¹.

ب- على المستوى الخارجي: لقد أدت السياسة التركية تجاه الأزمة السورية إلى توتر العلاقات مع مختلف الأطراف الفاعلة في هذه الأزمة ومنها:

1. توتر العلاقات التركية العراقية: مع تفاقم الأزمة في العلاقات التركية السورية، شهدت العلاقات التركية العراقية مرحلة غير مسبوقة من التوتر، بسبب سياسة أردوغان ومحاولته التدخل في الشؤون الداخلية العراقية حيث وصف رئيس الوزراء العراقي "نوري المالكي" أردوغان كأنه يدير العراق، خاصة بعدما أصدر القضاء العراقي الإعدام ضدّ المالكي، ورفض أردوغان تسليمه، حيث حدّثت العراق تركيا بحرب طائفية في العراق لن تسلم مسها تركيا مما أدى إلى استدعاء السفراء أكثر من مرة،

¹ - أحمد سعيد نوفل وآخرون، أزمة السياسة الخارجية التركية (الأردن: مركز دراسات الشرق الأوسط)، ص ص. 9، 10.

مع اعتبار تركيا ما يحدث في الدول العربية المجاورة شأنًا داخليًا إلا أنّ حقيقة التوتر بين تركيا والعراق ليس له بالسلم الأهلي في العراق، أو بمراعاة تطبيق الدستور كما تصرّح تركيا، وإنما ناتج عن اصطدام السياسات والمواقف من التطورات التي تحدث في المنطقة وتحديد الأزمة السورية، فبعد توتر العلاقات التركية السورية، كانت تركيا تتوقع أن العراق ستكون البديل التجاري، والمعبر للتجارة التركية إلى دول الخليج مصر، الأردن، لكنها تفاجئت بالموقف العراقي الذي رفض ذلك، ومنع الطائرات التركية من استخدام المطارات العراقية، ما وضع تركيا في أزمة اقتصادية، تجارية ووجدت صعوبة في تصريف منتجاتها بعدما فقدت الأسواق السورية والجسر السوري وبقي لها خيار قناة السويس الذي سيكون مكلفًا جدًا، حيث وصفت هذه العقوبات التركية كأنها تعاقب نفسها، فقد أظهرت الأزمة السورية شدّة الخلاف التركي العراقي الذي انتهجت فيه تركيا سياسة التورط، سياسيًا، عسكريًا، مما أدى إلى تعقيد هذه الأزمة، وزاد من صعوبة إيجاد الحل السياسي لها، في حين انتهجت السياسة العراقية عدم التورط، واستبعاد التدخل العسكري، وإتاحة المجال للخيار السياسي لحل الأزمة سلميًا

2. التوتر في العلاقات التركية-الإيرانية: بعد التحسن الذي عرفته العلاقات التركية-

الإيرانية، شهدت هذه العلاقات حالة من التوتر من جديد، بعدما تخلت تركيا عن الانفتاح والمبادرات الإيجابية والانخراط في مشكلات المنطقة، فتوتر العلاقات التركية الإيرانية لا يعود إلى الملف النووي الإيراني، وجده، بل لأسباب أخرى منها السياسة التركية التي وضعتها في موقع المواجهة مع العديد من الدول والأطراف، والذي تستفيد منه الولايات المتحدة وإسرائيل بالدرجة الأولى، فالسياسة التركية هي التي أدت إلى هذا التوتر، خاصة مع موافقة أردوغان على نشر الدرع الصاروخي الأطلسي على الأراضي التركية، دون موافقة البرلمان التركي على ذلك، فهو قرار إستراتيجي

خطير لأنه موجه بالدرجة الأولى ضدّ دول المنطقة وعلى رأسها إيران، كما انخرطت تركيا في تنفيذ العقوبات الاقتصادية ضدّ إيران، بعد القرار الذي صدره أردوغان في تخفيض إستيراد النفط من إيران بنسبة 20%، ما أثار انزعاج إيران، كما تخلت تركيا عن انتهاج أسلوب المبادرات الإيجابية إزاء الملف النووي الإيراني، حيث تحولت إلى طرف مباشر في هذا الملف والضغط وإيصال الرسائل الأمريكية للقيادة الإيرانية والإلحاح عليها بقبول الإملاءات الأمريكية، وتحذيرها بتداعيات ذلك في حالة عدم القبول بمضمون الرسائل.

كذلك فإن التحرك التركي على المستوى الإقليمي من خلال التحالف مع دول الخليج وعلاقته مع الولايات المتحدة الأمريكية كان يستهدف بالدرجة الأولى إيران التي برزت كقوة إقليمية في السنوات الأخيرة.

إن التوتر بين البلدين أدى إلى تراجع حجم التبادل التجاري مع إيران من 22 مليار دولار 2012، ليتراجع سنة 2015 إلى 10 مليارات دولار، حيث لم تتجاوز فيه الصادرات التركية إلى إيران 3.7 مليار دولار¹.

3. توتر العلاقات التركية-الأمريكية: شهدت العلاقات بين البلدين فتورا حيث تجاهلت الإدارة الأمريكية اقتراحات والمخاوف التركية من الملف السوري، وانفتاحها على التنسيق مع قوى المعارضة الكردية المناوئة لتركيا والتي تهدف لإقامة كيان كردي مستقل شمال سوريا على الحدود التركية، والذي تعتبره تركيا تهديدا مباشرا لأمنها. وما زاد التوتر بين البلدين هو عند مشاركة قوات أمريكية في القتال بجانب قوات سوريا الديمقراطية الكردية والتي نجحت في طرد تنظيم الدولة داعش من عدة مناطق وفرضت سيطرتها عليها، وهو ما اعتبرته تركيا تشجيعا أمريكيا ومساعدة لانفصال الأكراد، ثم جاءت ضبابية الموقف الأمريكي من محاولة الانقلاب الفاشلة لتزيد من

¹- خورشيد، مرجع سابق.

حجم التوتر، حيث وجه مسؤولون أتراك انتقادات شديدة لأمريكا لمماطلتها في تسلم فتح الله غولن: الذي اتهمته الحكومة التركية بتدبير الانقلاب، والوقوف وراءه¹.

4. توتر العلاقات التركية-الروسية: كانت العلاقات بين البلدين متقدمة، حيث تحتل

روسيا المرتبة الأولى في التبادل التجاري التركي مع دول العالم، بالإضافة إلى العلاقات المتبادلة بين أردوغان وبوتين، إلا أن التدخل العسكري الروسي في سوريا لصالح النظام، وإسقاط مقاتلات تركية لطائرة روسية كانت تحلق فوق الحدود التركية السورية في 24 نوفمبر 2015، أدى إلى تدهور ساخن في العلاقات بين البلدين على المستويات الأمنية، الإقتصادية والسياسية، فانعكس هذا التوتر على حجم التبادل التجاري، ففي سنة 2012 وصل حجم التبادل التجاري بين البلدين إلى 32.2 مليار دولار، والذي تراجع سنة 2015 إلى 23.99 مليار دولار، كما أدى توقف السياح الروس إلى تركيا والذي قدر عددهم بـ 4.5 مليون سائح سنوياً والتي قدرت عوائدهم بـ 03 مليارات دولار، مع تجميد مشاريع إستراتيجية مشتركة مثل مشروع محطة "أك كويو" للطاقة النووية، والسيول التركي للغاز الطبيعي اللذين يبلغ حجم الإستثمار الإجمالي فيهما 40 مليار دولار، هذا ما دفع تركيا إلى إعادة النظر في توجهات سياستها الخارجية تجاه روسيا، ومنها أن اعتذرت لروسيا عن إسقاط طائراتها، كما أن أمنها الطاقوي مرتبط بروسيا، حيث تستورد من روسيا 55% من الغاز الطبيعي، و7% من النفط.

فكل هذه التوترات أدت إلى وقف مسيرة السلام الداخلي، واستئناف الصراع المسلح مع مقاتلي حزب العمال الكردستاني الذي صعد في عملياته إرهابية داخل تركيا ومحاولة

¹ - نوفل، مرجع سابق، ص ص. 18، 19.

الإنقلاب الفاشلة، وتراجع الدور الإقليمي التركي، فعملت على إستعادة حضورها الإقليمي وإنهاء أو تخفيف حالة التوتر مع العديد من الأطراف الإقليمية والدولية¹.

لقد سعت تركيا إلى تغيير سياستها بعد الإنقلاب الفاشل فعملت على تحسين العلاقات مع روسيا، من خلال الاعتذار عن إسقاط الطائرة وهو ما رحبت به روسيا، فقام أردوغان بزيارة روسيا، ثم جاءت زيارة بوتين لأنقرة في 10 أكتوبر 2016 للاتجاه نحو علاقات تقارب وتعاون اقتصادي وتنسيق سياسي وأمني رغم استمرارية تباين الطرفين تجاه الصراع في سوريا، وكذلك بالنسبة لإيران حيث أبدت الحكومة التركية مزيدا من الانفتاح والحرص على تطوير العلاقات الاقتصادية معها، فجاءت زيارة مسؤولين أترك لإيران لهذه الغاية، كما عرفت العلاقات التركية السعودية تحسنا ملحوظا مع تولي الملك سليمان مقاليد الحكم الذي توجه لانفتاح والتنسيق مع تركيا، مع اتفاق الدولتين إزاء الأوضاع في سوريا، كذلك قديما في العلاقات الاقتصادية والتجارية، حيث ترى السعودية في تركيا حليفا لا غنى عنه في ظل التوازنات الإقليمية والدولية القائمة، خاصة بعد التوتر في العلاقات السعودية المصرية، بعد التقارب المصري الإيراني والروسي تجاه موقفها من الأزمة السورية، أما بالنسبة لمصر، فلا تزال القطيعة الاقتصادية والسياسية إلى حدّ ما، قائمة حيث أعربت مصر رغبتها في نجاح الإنقلاب في تركيا وفي المقابل عبّرت تركيا عن رغبتها في تقطيع العلاقات بين الطرفين إلّا أنّ الجانب المصري لم يردّ على هذه الرغبة

فقد سعت تركيا في هذه المرحلة (بعد الإنقلاب) إلى إعادة بناء شبكة من العلاقات والتحالفات عبر إيجاد شركاء إقليميين جدد، بالإضافة إلى ترميم العلاقات التي ساءت مع دول إقليمية².

¹ - المرجع نفسه، ص ص. 8-18.

² - المرجع نفسه، ص ص. 19-24.

4-تداعيات الدور التركي على مسار الأزمة السورية:

لقد كانت تركيا من أولى الداعمين لسوريا منذ إنطلاقة الأحداث فيها. فبدأً بسياسة الباب المفتوح، حيال اللاجئين السوريين، الذي قال فيها "أحمد داوود أوغلو": «إن كلّ شخص سوري سئم من حكم نظام الأسد بإمكانه القدوم إلى تركيا والمكوث بها»، والسماح للمعارضة بتأسيس مكتبها في إسطنبول، وعملت على تكثيف الجهود لجمع القوى الدولية ضدّ الأسد وإسقاطه، وسعت بكلّ الطرق لاحتواء الأزمة في بدايتها بالعمل الدبلوماسي وكانت تركيا أوّل من عارض الأسد عند لجوئه إلى العنف ودعت المنظمات الدولية إلى التعامل بجدية مع الأسد، حيث قال أحمد داوود أوغلو في 2011: «إنّ الحديث مع النظام السوري قد انتهى»، كما كانت تركيا مع القرار الذي أصدرته الجامعة العربية في 27 نوفمبر 2011، والذي يقضي بفرض عقوبات سياسية واقتصادية على النظام السوري، والذي وافقت عليه 19 دولة من أصل 22 دولة مشاركة، وفرضت تركيا عقوباتها على النظام السوري رغم تلك الخسائر الكبيرة التي عرفتتها جراء ذلك¹.

كما شاركت تركيا في اتفاقية جنيف¹ في 20 جوان 2012 لمحاولة معالجة الأزمة السورية، والسعي لحلّها بطريقة سياسية والحوار والمفاوضات التي تم الاتفاق عليها بين الأعضاء والدول الأخرى على ضرورة الحفاظ على سيادة الجمهورية العربية السورية واستقلالها ووحدتها الوطنية، وسلامة أراضيها، ووضع حدّ للعنف ولانتهاكات حقوق الإنسان وبدئ عملية سياسة بقيادة سوريا تقضي إلى علمية انتقالية تلبي تطلعات الشعب السوري وليحدد مستقبله بصورة ديمقراطية². إن السياسة التركية تجاه الأزمة السورية أدت إلى توتر العلاقات مع مختلف الأطراف الفاعلة في هذه الأزمة حيث تصادمت المواقف والسياسة

¹ - جلال سلمي، "السياسة التركية حيال الأزمة السورية 2011-2017"، في: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، في:

www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2014/01/26

² - "اتفاق جنيف 1"، في:

www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2014/01/26

التركية مع المواقف والمصالح الروسية-الإيرانية الداعمة لنظام الأسد، مما أطل أمداً الصراع السوري وأدى إلى زيادة تعقيداته، حيث أنه مع توتر العلاقات التركية مع هذه الأطراف أدى إلى تراجع الدور التركي وتأثيره في الأزمة، ما أدى إلى استعصاء حل الأزمة السورية وتشابك ملفاتها، وصراع الأجندات الإقليمية والدولية فيها، وهو ما أدى إطالة الأزمة إلى يومنا هذا.

ومع انعقاد عدّة إجتماعات دولية "كجنيف وفيينا"، نشأت الأزمة السورية، رأت تركيا أنها منعزلة وغير مؤثرة على مسار هذه الأزمة، ومنه أن سارعت إلى تطبيع العلاقات المتوترة والعمل على تحسينها مع كل من إيران وروسيا وجعلت من أولويتها الأزمة السورية وحلها فقد أكد مسؤولون أتراك أنه من أهداف التحالف الروسي التركي هو السعي لإيجاد حل سياسي للملف السوري، ووقف حالة الصراع في البلاد وتأسيس الهدنة مع النظام السوري وإيصال المساعدات الإنسانية للمناطق المحاصرة¹.

فقد جاء مؤتمر أستانة بين موسكو وأنقرة بهدف الوصول إلى وقف شامل لإطلاق النار فوق كلّ الأراضي السورية فقد تم التوافق بين جميع المشاركين بما فيهم تركيا على تشكيل لجنة للمصالحة الوطنية في سوريا تتألف من ممثلي السلطات السورية، والسكان المحليين ذوي النفوذ لمناقشة المسائل الداخلية ومنها الأمنية.

كما تم التفاوض على عملية وقف إطلاق النار من قبل روسيا، تركيا، وإيران، مع جماعات المعارضة السورية: والنظام السوري، وجبهة فتح الشام (جبهة النصرة سابقاً) كخطوة أولى لفرض التهدئة وبدأت محادثات السلام، الذي سعت فيه تركيا لإيجاد حل، حيث صرّحت وزارة الخارجية التركية، أن نظام بشار الأسد والمعارضة سيجتمعان قريباً في كازاخستان الذي سيشترك فيه الروس مع نظام الأسد، وستشارك تركيا مع فصائل من

¹ - نوفل، مرجع سابق، ص. 14.

المعارضة السورية وقال وزير الخارجية التركية "مولود جاويش أوغلو" أنه سيتم مراقبة عملية وقف إطلاق النار وستطبق عقوبات على من سينتهكه¹.

كما جاء اتفاق بين تركيا والاتحاد الأوروبي في بروكسل لإيجاد حل أزمة اللاجئين السوريين، ومنه أن قدم الاتحاد الأوروبي بمبلغ 3 مليارات دولار، لتركيا، لتحسين أوضاع اللاجئين هناك المعيشة وتوفير لهم المجال الصحي والتعليمي والبنى التحتية، فاقترحت تركيا، تشكيل منطقة آمنة داخل الأراضي السورية لتحتوي هؤلاء اللاجئين.

كما جاء التحالف التركي السعودي، لدعم الفصائل السورية المسلحة، ولتنسيق المواقف في قرار فيينا على رحيل الأسد وعدم وجوده في أي حل سياسي، وسعت إلى الضغط على الولايات المتحدة الأمريكية، بالتعاون مع قطر والسعودية والاتحاد الأوروبي لتقديم دعم للمعارضة السورية والقوات المشتركة لمواجهة داعش.

كما انتقدت تركيا بشدة مؤتمرات جنيف لحل الأزمة السورية الأولى في 2012 والثانية 2014 والثالثة 2016 التي ترى أنها لم ينتج عنها أي حلّ لازمة ولم ينتج عنها أي قرارات حاسمة فقد اعتبر أردوغان محادثات جنيف مخيبة للأمال، ويهدف من خلالها البعض لتحقيق أهداف غير نبيلة، وهي مجرد أسلوب تستخدمه بعض الجهات الدولية لفسح المجال أمام خططها تجاه سوريا والتي تتعارض مع المصالح القومية السورية كما وجه أردوغان في مؤتمر صحفي في الإكوادور 2016 انتقادا للدول الراعية لهذا المؤتمر، وأكد أنّ الحلّ الأمثل للقضية السورية هو القضاء على نظام بشار الأسد وداعش وحزب الاتحاد الديمقراطي.

¹ - علي عدنان، "فشل اجتماعات أستانة 5 حول سوريا: الخلافات حول مناطق تخفيف التصعيد باقية"، في:

<https://www.alaraby.co.uk/palitics/2017/07/05>

كما صرّح "أولوطاش" وهو باحث سياسي في وزارة الخارجية التركية، أن جنيف كانت وستكون فاشلة، حيث أنه لو كانت هناك رغبة لدى الدول والمنظمات المنظمة لهذه المؤتمرات لحل الأزمة السورية لأتم حلّها في أول مؤتمر 2012 ومع الإنسداد السياسي لابدّ من الحل العسكري الذي يمكن أن تقوم به تركيا بالتعاون مع الدول المساندة الشعب السوري وقضيته¹.

لقد سعت تركيا لتقديم إستراتيجية متكاملة لحل الأزمة منذ البداية التي تشترك مع سوريا بحدود 900 كيلومتر والتهديدات العرقية والطائفية، ومخاطر التهريب وانتقال المسلحين على طول الحدود، فيقول أردوغان: «نحتاج إلى إستراتيجية دولية، ليس لتدمير داعش، فحسب، وإنما أيضا لإجبار الأسد على التتحي عن السلطة، وإنهاء الصراع في سوريا، فالهدف الأول لا يمكن تحقيقه بنجاح بمعزل عن الثاني، وهذه الإستراتيجية يجب أن تتضمن تأسيس منطقة آمنة في سوريا لإيواء المدنيين وقوات المعارضة... وهذه الإستراتيجية التي طالما اعتقدنا أنها حيوية للنجاح في سورية والعراق». فكما طالبت تركيا الولايات المتحدة في المشاركة في تغيير النظام السوري، قبل مشاركتها في قتال داعش، كما نادت تركيا دول التحالف الدولي بالقيام بعملية برية فيقول أردوغان: «إن الإرهاب لا ينتهي... ما لم نتعاون من أجل عملية برية»، إلّا أن هذه الإستراتيجية التركية التي تهدف في آن واحد إلى محاربة داعش، تغيير النظام في سوريا، ومنع أي احتمال لاستقلال الكردي، في طموحات مبالغ فيها أدّى إلى عدم تحقيق أي منها، كما دخلت تركيا في التحالف الدولي لمواجهة داعش في سوريا والعراق، وأعلنت في عدم تردها في اتخاذ الإجراءات المطلوبة واللزمة في حالة تعرض أمنها القومي للتهديد².

¹ - جلال سلمي، "رؤية تركيا العسكرية لحل الأزمة السورية"، في:

www.turkpress.com.tr/mode/18560

² - عماد قدورة، تركيا ومسألة التدخل العسكري بين القيود والضغوط (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014)، ص ص. 4، 5.

إنّ حلّ الأزمة السورية كان وما زال وسيظل مصلحة تركيا، واستمرارها يعدّ مصدر خطر أمني بالنسبة لها، فهي تسعى بكل الطرق لحل الأزمة، وتؤكد في كلّ مرّة على ضرورة وحدة الأراضي السورية، وضرورة إعادة الاستقرار إليها، وتقف أمام أي مشروع لتقسيم سوريا على أساس إثني طائفي، وتؤكد أنها في سياستها وقراراتها تدعم القرار 2254 الصادر عن المجلس الأمن الدولي، الذي يؤكد على ضرورة الحفاظ على وحدة الأراضي السورية¹.

¹ - نوفل، مرجع سابق، ص ص. 22، 23.

المبحث الثاني: الإستراتيجية الإيرانية في منطقة الشرق الأوسط. المطلب الأول: السياسة الخارجية الإيرانية في الشرق الأوسط.

يعتبر الامتداد التاريخي العميق الذي تتحلى به إيران والمنطقة الجيوسياسية التي تتواجد فيها، من أهم المقومات الأساسية التي تسمح لها بأداء دور إقليمي في منطقة الشرق الأوسط، وسعي إيران وراء الحفاظ على مصالحها القومية وفرض إيديولوجياتها القائمة على المبادئ الشيعية، جعلها تصبح طرفا في المعادلات الإقليمية وسياقات النظام الدولي المختلفة. وكباقي الدول التي تسعى إلى لعب دور إقليمي تعتمد إيران على إستراتيجيات مرسومة من أجل تحقيق أهدافها، والمتمثلة في حرصها على تطوير علاقاتها مع دول المنطقة بالإضافة إلى حزب الله اللبناني، وحركة المقاومة الفلسطينية حماس، من أجل الإستقواء العربي والإسلامي في مواجهة أي تحديات غربية قد تهددها خاصة ب بروز عدائها للولايات المتحدة الأمريكية¹.

كما تعتمد الإستراتيجية الإيرانية على تصدير ثورتها إلى جميع أنحاء المنطقة خاصة الدول العربية منها ومحاولتها لتشجيع المنطقة، واستغلالها بمشروعها النووي جعلها تتوج بتحقيق مشاريعها الإستراتيجية وكسب هبة إقليمية ودولية، كما تفرق الإستراتيجية الإيرانية في طبيعة الأدوات التي تستخدمها مع دول المنطقة بين تكتيكها في منطقة الخليج التي تطل على البحار والمضايق المهمة، وسياستها الممتدة من فلسطين (بدعمها لحركات التحرير) مروراً بلبنان (أين يتواجد حزب الله ذراع إيران الإستراتيجي) وسوريا والعراق، ضماناً منها لتعظيم حضورها في كامل المنطقة².

¹ - نصر محمد علي: "الإستراتيجية الإيرانية في الشرق الأوسط"، في:

Mcsn.net/news101

² - يحي صهيبي وآخرون، الإستراتيجية الإيرانية في الخليج العربي (لبنان: مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، 2015)، ص.66.

1- أبعاد الإستراتيجية الإيرانية في الشرق الأوسط:

تتوعد مرتكزات المشروع الإيراني بين عدد من الأبعاد أبرزها:

– **البعد الجغرافي:** وهو ينطبق على البيئة الجغرافية التي فرضت على عدد كبير من

دول الشرق الأوسط الإشتراك في الحدود مع إيران، كما أن موقعها الجغرافي جعلها

تحضى بمزايا جيواستراتيجية لكونها حلقة وصل بين الشرق الأوسط وآسيا، وبالنظر

إلى معظم الدول المتواجدة في هذه المناطق نجد أنها تعاني من ضعف عسكري

جعل إيران تتصدر القوة فيها: كما كسبت الرهان في بناء علاقات وطيدة مع تركيا

التي وقفت إلى جنبها ضد العقوبات الصادرة عليها فيما يخص برنامجها النووي.

– **البعد الإيديولوجي:** تصر إيران على استمرار تصدير ثورتها كواجب إلزامي وذلك من

خلال مراحل تختصرها في: (اليقضة الإسلامية-مرحلة انتصار الثورة-مرحلة

استقرار النظام وإقامة الحكومة الإسلامية- مرحلة تنظيم البلاد والمجتمعات

الإسلامي- وأخيرا مرحلة إقامة حضارة إسلامية حديثة)، فهي تصف نفسها نموذجا

في المنطقة تستمد شرعيتها من الدين وخصوصا نظرية ولاية الفقيه¹.

– **البعد الأمني والعسكري:** بعد اختلال التوازن الإقليمي الذي كان سائدا في منطقة

الشرق الأوسط جراء الاحتلال الأمريكي للعراق في 2003، وسقوط التهديدات

الإقليمية التي كانت تزعزع استقرار الأمن الإيراني (أي نظامي طالبان وصادام

حسين)، برز البعد الأمني في الإستراتيجية الإيرانية وبدأت تتحرك في فرض مكانتها

الإقليمية عن طريق دعمها لحزب الله وأحزاب المقاومة الفلسطينية، مع امتدادها

النفوذ في العراق، وتحالفها الاستراتيجي مع روسيا، ذلك وصلت إلى تحقيق سلسلة

¹ - "الإستراتيجية الإيرانية"، في:

جغرافية من نفوذها تمتد من غرب إيران مروراً بالعراق وسوريا وصولاً إلى لبنان والأراضي الفلسطينية، مع سعيها إلى تطوير مشروعها النووي¹.

إنّ اعتبار إيران قوة إقليمية بارزة في الشرق الأوسط، وسعيها للعب دور ريادي هام بالمنطقة، جعلها تهتم بشكل كبير بسياساتها الخارجية إقليمية ودولياً، حيث تبني إيران سياستها على القوة الذكية التي تقوم على الجمع بين القوة الناعمة من ناحية، والقوة العسكرية أو الصلبة واستمرار حالة التسلح من ناحية أخرى، فبالرغم من الضغوطات الدولية على برنامجها النووي فهي تسعى دائماً إلى تعزيز قدرتها العسكرية ويعتبر أول نص في الدستور الإيراني والذي يشير إلى مبدأ من مبادئ السياسة الخارجية الإيرانية، "رفض الهيمنة الأجنبية"، فهو يتحدث عن دفاع إيران عن حقوق كل المسلمين والمظلومين والمستضعفين من جانب القوى العظمى، وهذا دليل على رغبتها التوسعية².

لكن من جهة أخرى يعود ذلك إلى حربها مع العراق في 1980، أين عاشت عزلة وتهميش وتدهور في العلاقات مع معظم الدول العربية، ما جعلها بعد ذلك تستغل فرصة أزمة الخليج الثانية عام 1990 من أجل كسر حالة العزلة وانفتاحها على الدول العربية لاستعادة مكانتها، وقد أدت دور شرطي المنطقة بعد ذلك مدافعة على الدول العربية³ وواضحة نصب عينها إفشال أي محاولة أمريكية في رسم إستراتيجيتها في الشرق الأوسط والعمل على وضع مشروعات للوحدة والتعاون سعيها منها إلى تحقيق وجود "شرق أوسط

¹ - "المصالح والأهداف القومية وقوى الدولة الشاملة لإيران"، في:

www.moqatel.com/openshare/Behoth/siasia2/DoorIrani/sec07.dor-cvt.htm

² - "السياسة الخارجية الإيرانية"، في:

www.aljazeera.net/specialfibes/pages/de4add73-ad4c-b455-5ec92a0f43a9

³ - "حرب الخليج الثانية... الزلزال الذي عصفت بمنطقة الخليج"، في:

www.aljazeera.net/encyclopedia/military/2016/11/7

إسلامي" خالي من أي شيطان يهدد استقرارها وهي بذلك تقصد التسمية التي أطلقتها على الولايات المتحدة الأمريكية "الشيطان الأكبر" وإسرائيل "الشيطان الأصغر"¹.

كما تعتمد إيران في رسم سياستها الخارجية على تعزيز قوتها من أجل لعب دورها الإقليمي فهي بذلك تسعى إلى تطوير برنامجها النووي ومنحه قبولاً دولياً خاصة وأنه منذ إعلان الرئيس الإيراني السابق نجاد في أواخر 2005 عن حق الشعب الإيراني في الحصول على التكنولوجيا النووية المخصصة للأغراض السلمية، حضى برفض دولي، وبدأت بعدها تصدر القرارات الدولية ضد إيران مع تضمنها مجموعة من العقوبات منها:

القرار 1696 في: 2006/07/31، القرار 1737 في: 2006/12/23، القرار 1747 في: 2007/03/24، القرار 1803 في: 2008/03/03 والقرار 1929 في: 2010/06/09.

وقد تأثرت البنية الاقتصادية الإيرانية جراء تلك العقوبات، ورغم صمودها لفترة من الزمن إلا أنه في سنتي 2013 و 2014 تضرر اقتصادها بشدة، مما دفع بها إلى البحث عن مخارج تحافظ بها على النظام السياسي من جهة، وتخرج الاقتصاد من خطر الإنهيار الشامل من جهة أخرى فسارت بذلك نحو التفاوض من جديد، بناء على قاعدة تجزئة موضوعات التفاوض (أي بناء) على رغبة إيرانية وموافقة أمريكية، ووفقاً لمبدأ "خطوة مقابل خطوة"، فبرزت بذلك صفحة جديدة من الاتفاقات بعد مفاوضات "جنيف" في نوفمبر 2013 شملت الرفع الجزئي للعقوبات الدولية على إيران ومجموعة من التسهيلات الاقتصادية.

لتأتي بعدها مرحلة المفاوضات التي استأنفت في 2014/03/18، استعادت من خلالها بعض أموالها المجمدة، ورغم أن هذه المفاوضات وصلت إلى حلول جزئية، إلا أنه

¹ - مرنا موليد محمد نصار، "المذهبية في السياسة الخارجية الإيرانية تجاه الشرق الأوسط 2003-2015"، في:

[Democratic.ac.de / ?p=36797](http://Democratic.ac.de/?p=36797)

بعد تفاهمات "لوزان" في مارس 2015 تم الإعلان عن توصل الطرفين إلى توافق يضعهما على خط اتفاق سياسي نهائي لأزمة الملف النووي الإيراني¹، ورفع بذلك الحصار كلياً على إيران بالإضافة إلى:

- المصلحة القومية الإيرانية.
 - سياسة التوسع بالتأثير في المعابر المائية خاصة منها المتواجدة في منطقة الخليج العربي.
 - الاعتماد على المذهب الشيعي كإيديولوجية سياسية.
 - العداء للسياسيتين الأمريكية والإسرائيلية.
 - معارضة الأنظمة الملكية والوراثية باعتبارها نظم إستبدادية.
- وعلى غرار العديد من دول المنطقة تحمل إيران صورة على كلّ مكونات الشرق الأوسط وتؤثر بذلك على سياستها وتعاملها مع كلّ دولة، فعلى حساب ذلك تقسم إيران منطقة الشرق الأوسط إلى (04) صور:

- صورة الدول الأعداء مثل: (إسرائيل، الولايات المتحدة الأمريكية، السعودية).
- صورة الدول الحليفة مثل: (روسيا، العراق، سوريا).
- صورة الدول المعتمدة على إيران مثل: (اليمن، لبنان، سلطنة عمان، فلسطين).
- صورة الدول المعتمدة على الأعداء مثل: (الأردن، مصر، الإمارات، قطر، الكويت تركيا).

¹ - عطا محمد زهرة، البرنامج النووي الإيراني (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2015)، ص ص. 74-17.

وبالتالي يكون تعاملها مع هذه الدول على النحو التالي:

- تعميق العلاقات مع الدول الحليفة إلى أقصى درجاتها.
- تعطيل أو عرقلة السياسات الإقليمية للدول العدو.
- تعزيز النفوذ في الدول المعتمدة على إيران.
- استمالة الدول المعتمدة على الحلفاء أو على الأقل تحييدها¹.

2- الموقف الإيراني تجاه الحراك في منطقة الشرق الأوسط:

لقد شكلت لحظة انطلاق الحراك العربي مفاجأة لإيران، لكنها سرعان ما استجابت بمساندتها للاحتجاجات في كل من (تونس، ليبيا، مصر) وتدخلها المباشر في (اليمن) ولكنها أخذت موقفا مغايرا في (سوريا) أن أيدت نظام بشار الأسد ولم تقف إلى جانب المعارضة، لذلك اعتبرت سياستها فيما بعد "بالسياسة المتناقضة" كما وصفت إيران هذه الأحداث أنها امتداد لثورتها المجيدة وأنها بؤادر يقظة إسلامية مستوحاة منها واعتبرتها انتصار لإيديولوجيتها لذلك سارعت إلى تأييدها، كما صرح "علي رضا زاكاني" (وهو عضو في البرلمان الإيراني) واصفا الأحداث نصرا للنظام الإيراني، وأن هذه الأخيرة مهيمنة على أربع عواصم هي: (بغداد بيروت، دمشق، صنعاء)².

وفيما يلي سنتطرق إلى المواقف التي اتخذتها إيران في دول الحراك:

- **الموقف الإيراني من الحالة التونسية:** مع انطلاق الحراك في تونس أيدت إيران ظاهريا المظاهرات الشعبية فيها خاصة بعد رؤيتها صعود الإسلاميين فاعتبرتها بذلك امتداد لثورتها الإسلامية، حيث استغلت الفرصة وقام مسؤولون إعلاميون إيرانيون

¹ - "السياسة الخارجية الإيرانية"، في:

www.aljazeera.net/specialfiles/pages/de4add73-ad4c-b455-5ec92a0F43a9

² - ابتسام محمد العامري، الموقف الإقليمي من الحراك السياسي في الدول العربية تركيا وإيران أنموذجا، سلسلة الملف السياسي، العدد 103.

بزيارة إلى تونس قصد أمل منهم تقديم النموذج الإيراني الأمثل حتى يقتدى به للإستفادة منه في فترة ما بعد الحراك¹. كما دعت إلى احترام إرادة الشعب التونسي وعدم تدخل الغرب في شؤونها، إذ قال الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد أن الشعب التونسي أسقط الدكتاتورية بشعارات إسلامية مطالبة بالعدالة.

– **الموقف الإيراني من الحالة الليبية:** ترددت إيران في تأييدها للثورة الليبية في منطلقها حيث تصورت أن التغيير المراد هو سياسة أمريكية وأنه سيخدم مصالحها، ولكن هذا لا ينفي حالة من تقبل سقوط القذافي الذي كان متهما بإختفاء رجل الدين الشيعي اللبناني (موسى الصدر)، ولعل أهم حدث مس إيران في الحراك في ليبيا هو محاولة المتظاهرون الليبيون اقتحام السفارة الإيرانية في فيفري 2012 بسبب موقفها الداعم لنظام الأسد، كما طالبت حكومة "عبد الرحيم الكيب" من السفير الإيراني مغادرة طرابلس زعما منها بقيامه لاجتماعات مع شيوخ القبائل قصد نشر الشيوعية في ليبيا².

– **الموقف الإيراني من الحالة المصرية:** شهدت الحالة المصرية ذروة الدعم والترحيب الإيراني، فقد عبرت عن ذلك منذ البداية عبر خطبة الجمعة التي ألقاها المرشد علي خامنئي في 4 فيفري 2011، والتي أكد فيها أن نظام مبارك كان عميلا للكيان الإسرائيلي وسانده في حروبه على غزة، كما شجع المصريين على متابعة نضالهم حتى إقامة نظام مبني على الدين، فقد كانت إيران تطمح من أن النظام المساعد في مصر سيتفق مع المطامح الإيرانية، كما دعت إيران الجيش المصري إلى الوقوف إلى جانب الشعب في ثورته مطالبا إياه بعدم الثقة في الأطراف الغربية المتدخلة في الشؤون الداخلية للدولة، كما وصفت الثورة المصرية أنها ستساهم في قيام شرق أوسط إسلامي، وبعد وصول مرسي إلى الحكم بادرت إيران بعدة زيارات من وزرائها نحو

¹ - "إيران والثورتان التونسية والمصرية"، في:

www.dohaisastitude.org/ar/politicalstudies//pages/han-and-the-tunisien-and-egyptian-revolutions.aspx

² - "إيران...موقف حذر من الثورات"، في:

www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2011/03/16

مصر، قصد تحسين علاقاتها معها بعد قطيعة دامت أكثر من ثلاثة عقود¹، لكن بعد أحداث 30 جوان 2013 انتقدت إيران تدخل الجيش في السياسة الانقلاب الذي قام به ضد مرسي، وقد رد المتحدث الرسمي باسم الوزارة الخارجية المصرية أن التدخل في الشأن المصري على النحو الذي أوجت به التصريحات الإيرانية هو أمر غير مقبول.

بالتالي سرعان ما انطوت صفحة الأمل الإيراني اتجاه مصر في ظرف زمن دام قرابة عام، وقد اختلفت سياسة الرئيس "عبد الفتاح السيسي" مع إيران خاصة فيما يخص إيجاد حل للأزمة السورية، باعتبار إيران مدعمة لنظام الأسد على غرار مصر التي تقف إلى جانب الثوار، ومنذ ذلك الحين ظلت العلاقة بين البلدين خاضعة لمتغيرات داخلية وإقليمية².

– **الموقف الإيراني من الحالة اليمنية:** أما فيما يخص اليمن فقد رحبت إيران بالانتفاضة على الرئيس علي عبد الله صالح الذي كان معاديا للحوثيين، ومع امتداد الأزمة اليمنية وسعي الأطراف الخليجية لاحتوائها عن طريق المبادرة الخليجية قامت إيران مع حلفائها الحوثيين برفضها، وقامت بتمويل المعارضين اليمنيين ووقفت إلى جنبهم ماديا ومعنويا، فتحوّلت بذلك اليمن ساحة للتنافس الإيراني السعودي، كما عارضت بشدة الهجمات التي شنتها دول الخليج على الحوثيين في صنعاء لصالح الحكومة اليمنية، بعدها أخذ الصراع الإيراني-السعودي منعطفا خطيرا باتخاذ الطابع العسكري والمواجهة المباشرة منذ سيطرة الحوثيين على صنعاء في 21 سبتمبر 2014، يعتبر بذلك سببا لعدم الإستقرار في اليمن وتدهورها في كلّ المجالات حيث هذا الصراع الإقليمي بين الطرفين زاد في أمد الأزمة في اليمن و حدّد الصراع بينهما أدى في آخر المطاف إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بين السعودية وإيران في 3 جانفي 2016.

¹ - "إيران والثورتان التونسية والمصرية"، في:

www.dohaisastitude.org/ar/politicalstudies//pages

² - صهيبي، مرجع سابق، ص. 268.

– اعتبرت إيران اليمن جزءاً من مشروعها الإستراتيجي في الشرق الأوسط التي جعلتها تضع موطئ قدمها على البحرين العربي والأحمر وسيطرتها على باب المندب، ما جعلها لا تتنازل من وقوفها إلى جانب حلفائها الحوثيين الذين يمثلون لإيران وسيلة تهديد على الحدود السعودية¹.

المطلب الثاني: تأثير السياسة الإيرانية على مسار الأزمة السورية.

1-العلاقات الإيرانية-السورية:

تعتبر العلاقات الإيرانية-السورية من أقوى العلاقات في منطقة الشرق الأوسط، فهو الحلف الأطول والأكثر ثباتاً في منطقة شهدت تقلب العلاقات وتغير التحالفات بين أطرافها.

لقد كانت الدول العربية وعلى رأسها سورية تنظر إلى إيران في عهد الشاه، الشرطي الأمريكي في المنطقة، وما هي إلى عنصر من مخطط إستراتيجي عربي يهدف إلى زعزعة القومية العربية، ويهدد النظام الإقليمي العربي، وكذلك القلق من القومية الفارسية نظراً للعداء التاريخي بين العرب والفرس، كما أن هناك إختلاف جوهري في البنية السياسية للبلدين النظام الملكي في إيران، والنظام الجمهوري في سورية مما أعاق قيام علاقات بينهما².

ومع اندلاع الثورة الإيرانية 1979، كانت سوريا مع الثورة منذ البداية لتوفرها على عدّة جوانب تتفقان حولها، حيث كانت إيران بحاجة إلى حليف إستراتيجي يدعم موقفها ويساندها فوجدت في سوريا حليفاً يلتقي معها في الكثير من القضايا الاقتصادية الإيديولوجية، الاجتماعية... إلخ

فقد دعمت الثورة الإيرانية، القضية الفلسطينية، ورفضت السياسة الصهيونية التوسعية، ومختلف المشاريع الغربية، خاصة عدائها للولايات المتحدة الأمريكية، وتأييدها

¹ - "الحرب في اليمن...خنجر إيران في (خاصة)" السعودية، في:

www.noonpost.org/content/14672

² - عياد البطنجي، "التحالف السوري الإيراني: تاريخه، حاضره، مستقبله"، الحوار المتمدن، ع. 2138 (23/12/2017)، في:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=119321>

لتحرير جنوب لبنان والجولان، فوجدت سوريا في تحالفها مع إيران حكماً لموقفها في حل الأزمة اللبنانية، بعد تفجير الحرب الأهلية في 1975، لما يشكله لبنان من عمق إستراتيجي واقتصادي وثقافي بالنسبة لسوريا¹، وكذلك معارضة الطرفين للنظام العراقي، والمعارضة على خطة السلام المنفردة بين مصر وإسرائيل، فانسحاب مصر من الصراع العربي الإسرائيلي وتوقيع السادات "على كامب ديفيد"، نتج عنه خلل وتراجع في النزعة القومية العربية، خاصة مع شعور سوريا بالعزلة الإقليمية، والخطورة من الصفقات الثنائية التي توقع بين العرب وإسرائيل، كل ذلك جعل من إيران حليفاً لها².

وقد تعززت العلاقات بين البلدين عندما أعلنت العراق الحرب على إيران في 1980 حيث قدم النظام السوري خدمات كبيرة للنظام الإيراني منها إغلاق أنابيب النفط العراقية عبر سوريا إلى المتوسط مما نتج عنه خسائر كبيرة للعراق كما سمحت بدخول السياح الإيرانيين بشكل كبير، ففي حين اتجه العرب لاتخاذ موقف موحد ضدّ إيران كانت سوريا من أبرز الدول العربية التي وقفت إلى جانب إيران حيث نذرت عن الحرب صفة المواجهة الفارسية العربية التي كان النظام العراقي يركز عليها في عملية التعبئة وقامت بتدريب العديد من القوات الإيرانية وأمنت لها طريق الدخول إلى الساحة العربية، وأوصلت الحرس الثوري إلى لبنان والدعم اللوجستي الذي يلعب دور حيوي في ردع إسرائيل، ويعزز النشاط الإستخباراتي لإيران عبر مختلف المؤسسات التي يديرها الحزب إقليمي ودولياً، ومع نهاية الحرب في 1988 استقرت الشراكة الإستراتيجية بينهما، وتطورت العلاقات على المستوى التجاري والاقتصادي والاستراتيجي، فشكل البلدان محور الممانعة والمقاومة، الذي يضم حركات المقاومة الإسلامية، كحزب الله وحماس والفصائل الفلسطينية المعارضة للتسوية مع إسرائيل وتطورت العلاقات الاقتصادية التي وصلت إلى أكثر من خمس مليارات دولار من التبادل

¹ - سمر بهلوان، "العلاقات السورية-الإيرانية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية 1945 حتى قيام الثورة الإيرانية 1979"، مجلة جامعة دمشق، م. 22، ع. 3+4 (2006)، ص ص. 331-333.

² - البطنجي، مرجع سابق.

التجاري، وتعاون عسكري وأمني، وتبادل المعلومات خاصة ما يتعلق بالجماعات الكردية المعارضة¹.

كما تعززت العلاقات بين البلدين بعد الاجتياح العراقي للكويت 1990، حيث عارضنا النظام السياسي العراقي وأرسلت سوريا قواتها للمشاركة في الحرب، وفي سنة 1993 ساد نوع من الفتور في العلاقات بسبب مشاركة سوريا في مؤتمر مدريد والذي انتقده إيران، وجميع الدول المشاركة فيه، ولكن هذا الاختلاف لم يشكل توترا في العلاقات بين الطرفين حيث حرصت سوريا على إقناع إيران أن مشاركتها، ومسار التسوية لا يعني التطبيع مع إسرائيل، بل تستهدف فقط إسترجاع الجولان.

كما رحب الطرفان بسقوط نظام صدام حسين 2003 لعدائهما المشترك للنظام العراقي، ووقعت إيران في 2004 اتفاق تعاون إستراتيجي مع سورية، ومع تولي محمود أحمدي نجاد الرئاسة في 2005 تعمق التحالف الإيراني-السوري بشكل أكبر، وإزداد التعاون بين البلدين في أكثر من جانب، فقد وقع الطرفان على الصعيد العسكري، معاهدة دفاع مشترك في جوان 2006، تلاها اتفاق تعاون عسكري مشترك في مارس 2007، ثم تبع ذلك تعاون مشترك لإعادة تزويد حزب الله بالسلح والصواريخ بعد العدوان الإسرائيلي على لبنان في 2006، إضافة إلى تقديم الدعم لحركة المقاومة الإسلامية حماس المحاصرة في قطاع غزة².

أما على المستوى الاقتصادي فقد عرفت العلاقات تحسنا وارتفعت معدلات الاستثمار الإيراني في سورية منذ إستلام نجاد السلطة وشملت مجالات مختلفة، الزراعة، النفط

¹- علي حسن باكير، الثورة السورية في المعادلة الإيرانية-التركية المأزق الحالي والسيناريوهات المتوقعة (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012)، ص.9.

²- محجوب الزويري، "العلاقات الإيرانية-السورية والحراك السوري الشعبي"، في:

<https://Studies.aljazeera.net/ar/reports/2011/08/2011824131918157377.html>

الاتصالات والتي قدرت بثلاث مليارات دولار عام 2008، وعدة مشاريع مشتركة منها مصنع إنتاج للسيارات الإيرانية في سورية بقيمة 60 مليون دولار لتلبية حاجات 40% من سوق السيارات السوري، كما أن سورية تحظى بأهمية جيواستراتيجية لأمن الطاقة في إيران إذ يمثل مشروع خط الغاز الإسلامي أحد أكبر مشروعات إيران الإستراتيجية لتصدير الغاز إلى كل من العراق، لبنان، سورية، وتخطط لإمدادها إلى القارة الأوروبية وعلى الصعيد الثقافي عملت إيران في الداخل السوري بحرية أكبر، حيث أصبح لإيران مركزين ثقافيين في دمشق والاذقية، وأنفقت ملايين الدولارات على إحياء مقامات ومزارات شعبية في أرجاء سوريا مما أدى إلى ارتفاع عدد الزوار إلى سوريا يبلغ خمسمئة ألف مليون سنوياً، بالإضافة إلى التعاون الجامعي، إعداد زيارات منظمة بين البلدين، وتقديم منح دراسية في الجامعات وإدخال تعليم اللغة الفارسية إلى عدد من الجامعات السورية... إلخ¹

2- الموقف الإيراني من الأزمة السورية:

لقد كان الموقف الإيراني ثابتاً منذ البداية في دعمه للنظام السوري نظراً للعلاقات التي كانت تربط النظامين كما سلف الذكر فكان من الطبيعي لإيران أن تدعم حليفها في أول امتحان له، فمع اندلاع الأحداث في سوريا تفادت وسائل الإعلام والرسمية التحدث عنه وركزت على البحرين واليمن، ومع تطور مستوى الاحتجاجات في سوريا وزيادة عدد القتلى بدأت إيران تركز اهتمامها على الوضع السوري.

لقد اتخذت إيران موقفاً مؤيداً "النظام السوري في مواجهة الانتفاضة الشعبية، فقد شنت حملة إعلامية تصف الانتفاضة السورية بالمؤامرة الأجنبية التي تستهدف سورية من قبل الصهاينة والغرب، وأنها فتنة تشبه الفتنة التي حدثت في عام 2009 الحركة الخضراء فدافعت عن النظام وغيببت المعارضة ووصفتهم بالعملاء للغرب ويتلقون أوامرهم من الأعداء

¹ - السيد أبو داود، تصاعد المد الإيراني في العالم العربي (الرياض: العبيكان للنشر، 2014)، ص ص. 268-281.

للإطاحة بالنظام السوري المقاوم للخطط الأمريكية والإسرائيلية كما أعلنت إيران أن الشعوب العربية تدرك ما يجري في سوريا مؤامرة أمريكية لدعم الكيان الصهيوني، ودعت الشعب السوري للحفاظ على النظام، وعدم المشاركة في هذه المؤامرة، كما دعمت الإصلاحات التي أعلنها الأسد لتخفيف الأزمة وأعلنت أنه على سوريا متابعة تأدية دورها التاريخي في المنطقة، وهو قادر على تجاوز هذه المشكلة¹.

وأعلن رامين مهمانباراست، المتحدث باسم الحكومة الإيرانية في مؤتمر رسمي في 2011/04/12: «أن التظاهرات الشعبية السورية مخطط عربي، وعمل مدفوع من الخارج... ووسائل الإعلام تحاول خلق تظاهرات وهمية وتضخم مطالب فئة صغيرة ومحدودة، وتصويرها على أنها مطالب شعبية، وتظاهرات للأغلبية، ولا يجب على أحد أن يندفع بهذه اللعبة الأمريكية... فالقوى الغربية تريد استهداف سوريا وإيران لدعمهما للمقاومة». حيث ترى إيران نفسها مستهدفة هي الأخرى، وتؤيد بذلك قول بشار الأسد على أن ما تشهده سورية «مؤامرة كبرى تشارك بها بعض البلدان القريبة والبعيدة بالتعاون مع بعض الجماعات داخل البلاد».

ونفس الشيء بالنسبة لآية الله الخميني فقد برز ازدواجية الموقف الإيراني من هذه الأحداث ومعاداته للاحتجاجات السورية قائلا: «نؤيد الحركات الشعبية، لا تلك التي تقوم بتحريك أمريكي صهيوني، وإذا كانت هناك حركة بتحريك أمريكا أو الصهاينة... فإننا لا نقف إلى جانب هذه الحركات»².

¹ - فراس أبو هلال، إيران والثورات العربية، الموقف والتداعيات (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2011)، ص.9.

² - حسين باكير (الثورة السورية)، مرجع سابق، ص ص. 2، 3.

لقد قدمت إيران دعماً إعلامياً كبيراً، لتجريد الانتفاضة السورية من مصدقيتها ووصفت المنتفضين أنهم مجرمون وإرهابيون، كما ركزت على الاعترافات التي نقلها الإعلام السوري لبعض الأفراد اللذين تم القبض عليهم واعترفوا بعمالتهم لإسرائيل.

إلا أن إيران تعرضت لهجوم كبير من قبل الإصلاحيين، حيث ابتعد نائب وزير الخارجية السابق، السيد محمد صدر التغطية الإعلامية الرسمية لسورية، وقال أنه من المفروض على إيران إسداء النصح للأسد لإستماع إلى شعبه وإجراء إصلاحات حقيقية في النظام¹.

ركزت إيران على الفتنة الطائفية وتخويف الأقليات المسيحية والبروز من المسلمين للسنة والإخوان المسلمين في حالة سقوط النظام السوري ووصولهم إلى الحكم.

قدمت إيران دعماً اقتصادياً نتيجة تضرر الوضع الاقتصادي في سورية نظراً للاضطرابات، وإيقاف عمليات التصدير فقد منح المرشد الأعلى الخامنئي ثلاث مليارات دولار للأسد كمحنة في ثلاث الأشهر الأولى من بداية الاحتجاجات، ثم خصص تسعة مليارات دولار دون أي شروط للنظام السوري لدعمه في مواجهة الاحتجاجات، وعملت إيران على إقناع العراق بتزويد سورية عشرة مليارات دولار، على شكل اتفاقيات اقتصادية، ففي 2010 عقدت إيران مفاوضات مع العراق، سوريا لمناقشة مشروع خط الغاز، وفي سنة 2011 توصلت إلى اتفاق لتنفيذ هذا المشروع بقيمة عشرة مليارات دولار، وفي مارس 2013 توصلت لاتفاق نهائي حول المشروع، والذي قد يبلغ طول خط الغاز الممتد حتى سوريا والجنوب اللبناني تقريبا 2000 كيلومتر، والذي سيزود سورية بطاقة 25-30 مليون

¹ - أبو هلال، مرجع سابق، ص.10.

متر مكعب يوميا، كما سيرتفع الخط داخل سورية ليغذي الجنوب اللبناني بطاقة 5-7 مليون متر مكعب يوميا، إلا أن هذا المشروع لم يكتمل نظرا للأوضاع السيئة في سورية¹.

الإضافة إلى ذلك فإن إيران كانت تهدف لتصدير الغاز السوري الذي يتم التدقيق عنه في مياه البحر الأبيض المتوسط في المياه الإقليمية السورية، إلى كل من الهند وباكستان مما سيجعل إيران جسرا للطاقة بين شرق المتوسط وشرق آسيا، لذا جاء الدعم الإيراني للنظام السوري، حفاظا على مشروعها الإستراتيجي ومنه أن جعلت إيران أمن النظام السوري مسألة أمن قومي لها.

إن الإنتاج السوري من النفط بدأ ينخفض، فلجأت إلى إيران، فقبل بداية الأحداث بلغ الإنتاج السوري من النفط 400 ألف برميل يوميا، وفي الربع الأول من 2011، انخفض إلى 387 وفي 212 وصل إلى 150 ألف برميل يوميا، وفي عام 2013 إنهار الإنتاج النفطي للبلاد نحو 28 ألف برميل ووصل في 2014 إلى 9329 برميل حيث أن أغلب الحقول النفطية وقعت تحت سيطرة تنظيم الدولة، حيث استوردت سوريا من إيران في 2012 حوالي أربعة مليون برميل بتخفيض وصل إلى 10%، عبر خط إئتمان قدره 3.6 مليار دولار أعطته إيران لسورية للتغلب على مشكلة السيولة المالية التي تواجهها، ومقابل هذا الخط عقد الجانبان اتفاقية يحق بموجبها لإيران الإستحواذ على حصص ضخمة من استثمارات ومشروعات سورية المستقبلية².

ومن الناحية العسكرية فقد تلقى النظام السوري الدعم العسكري من إيران، بأسلحة وعتاد للمراقبة والقتال، والتي اعترضتها تركيا أكثر من مرة شحنات أسلحة متجهة إلى إيران كما زودت إيران سوريا بالتكنولوجيا اللازمة لمراقبة البريد الإلكتروني، وأجهزة الهاتف الخليوي

¹- علي حسن باكير، الأبعاد الجيوإستراتيجية للسياستين الإيرانية والتركية حيال سورية (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013)، ص.22.

²- يحي صهيبي وآخرون، مرجع سابق، ص ص. 247-249.

ووسائل التواصل الاجتماعي، للخبرة الكبيرة لها أثناء قمعها للاحتجاجات 2009، كما أرسلت وحدات خاصة تضم مستشارين وخبراء من الحرس الثوري وتقنيين وعسكريين متخصصين بمواجهة الاحتجاجات الشعبية، كما أرسلت فريقاً مؤلفاً من 65 رجلاً من عناصر الحرس الثوري، وأربعة طائرات محملة بالأسلحة، كما وافقت إيران على تمويل بناء قاعدة عسكرية على الساحل السوري، وتطوير مجمع عسكري في مطار اللاذقية لتأمين إيصال الأسلحة والمعدات للنظام السوري¹.

كما أن انهيار القوى العسكرية للنظام السوري في منتصف 2012، ووصول الثوار إلى مدينة دمشق، توقعت العديد من الدول سقوط نظام الأسد، فتدخلت إيران ودفعت حزب الله الدخول إلى الساحة السورية، وعملت على إرسال قوات منظمة من الميليشيات العراقية الشيعية منها عصائب أهل الحق، وعملت على تشكيل ميليشيات جديدة من المتطوعين الشيعة القادمين من الأحياء الفقيرة في إيران وباكستان وأفغانستان، حيث تمكنت إيران من خلال دعمها للنظام السوري تغيير موازين القوى، وإيقاف المدّ لقوى المعارضة، حيث قدرت أعداد العناصر الشيعية المسلحة التي استقدمتها إيران وحزب الله حوالي 30 إلى 40 ألف مقاتل، والذين تحصلوا على تدريب وخبرات أفضل من الجيش السوري النظامي مما جعلهم في الخطوط الأمامية في معارك حلب، وريف دمشق، واستطاع بذلك النظام تجاوز الأزمة العسكرية واستعادة العديد من المناطق الحيوية التي خسرها، كالقيصر وبيروود وأجزاء من حمص، وريف حماة، حيث قال الأمين العام لحزب الله حسن نصر: «إننا لو لم نتدخل لسقطت دمشق في أسبوع»، وصرحت العديد من الجهات الإيرانية: «أن الأسد بقي واقفاً لأن إيران أرادت ذلك»².

¹ - باكير، (الأبعاد الجيوإستراتيجية)، مرجع سابق، ص. 22.

² - غيثان بلال، "دور إيران ووكلائها الإقليميين في أزمة سوريا"، في:

لقد شاركت إيران في عدة مؤتمرات تخص المسألة السورية، ففي جنيف¹، 2012 ظهر تقارب إيراني أمريكي في رغبة الإدارتين لتسوية الملف السوري، حيث رأت إيران ضرورة مكافحة الإرهاب كحل سريع للخروج من حدة الصراع إلا أنها رفضت قرارات المؤتمر خاصة إقامة حكم انتقالي في سورية، واستبعاد الأسد، وهذا ما دفع بعدة أطراف رفض مشاركة إيران في مؤتمر جنيف² حيث صرحت "جين ساكي" المتحدثة باسم وزارة الخارجية الأمريكية: «إذا لم تقبل إيران بشكل كامل وعملانية بيان جنيف يجب إلغاء هذه الدعوة»، كذلك المعارضة السورية التي أعلنت عن انسحابها في حالة مشاركة إيران، وهي الأخرى صرحت أنها لن تقبل بأي شروط مسبقة، فقد قال علي أكبر ولايتي مستشار المرشد الأعلى: «إن دعوة بان كي مون تستند إلى المصادقة على بيان جنيف¹، فهي تشكل شرطا مسبقا لن تقبله إيران»، في حين اعتبرت روسيا غياب إيران خطأ لا يغتفر، ونفس الشيء بالنسبة "لغونترماير" مدير مركز بحوث العالم العربي في جامعة "ماينر"، إن إيران تعتبر محورا أساسيا في الحرب الدائرة في سوريا، فيقول: «بدون الدعم الإيراني لم يكن بوسع الأسد، الصمود في السلطة حتى الآن»، من خلال الدعم العسكري الذي قدمته إيران لحليفها السوري لذا فهي جزء من الحل، ويقول "فولكر برنيس" إيران جزء من الأزمة في سوريا ولها تأثير واضح على الحكومة السورية: «كان من الضروري السماح لوفد إيراني بالمشاركة في مؤتمر السلام في سويسرا لأن طهران جزء من المشكل، ولا بد أن تكون جزء من الحل¹.

وجاء الموقف الإيراني المؤيد للموقف الروسي الرفض بأي اقتراح لتتحي الأسد، إلا أن إعلان روسيا التدخل الرسمي في سوريا شكل تهديدا لإيران، حيث نقلت وكالة رويترز للأنباء عن مصادر لبنانية بوصول مئات الجنود الإيرانية إلى سوريا فهناك من حل ذلك أنه الاستفادة من الضربات الجوية الروسية في تعزيز التقدم البري الإيراني وهناك من يرى أن

¹ - "دور إيران المحوري في الأزمة السورية"، في:

www.dw.com/ar/a-17340597 دور إيران المحوري في الأزمة السورية

إيران تتخوف من تعاضم النفوذ الروسي في سوريا والذي قد يفشل الخطة الإيرانية القائمة على مقاربة أن الأرض الإيرانية، فالتدخل الروسي قد يفقد إيران مكانتها وتجعله شريكا داخل سوريا وهذا ما لا ترغب به إيران، نظرا للتعارض بينهما في المنطقة فمن ناحية النفط الإيراني منافسا للنفط الروسي، وكذلك تخشى إيران أن تسعى روسيا لاستغلال نفوذها في سوريا لنقل الغاز عبر المتوسط¹.

كما أشرفت إيران، روسيا تركيا على مؤتمر أستانا لإيجاد دخل سياسي لأزمة السورية عبر الدعوة لحوار جدي بين المعارضة والحكومة، والذي فشل كما سلف الذكر.

وفي إطار المحاولات الإيرانية لحل الأزمة السورية قام وزير خارجية إيران "محمد جواد ظريف" بجولة إقليمية لعرض المبادرة الإيرانية المعدلة حيث أكدت أن إيران ستواصل دعمها لسوريا بعد التوقيع على الاتفاق النووي مع القوى الكبرى كما أن إيران مستعدة للتعاون مع أية دولة وحتى لو كانت السعودية لإيجاد حل سياسي للأزمة السورية، فالمبادرة الإيرانية تضم 14 بندا منها رفض التدخل الخارجي، ورفض الاستعانة بوسائل غير مشروعة لتحقيق أهداف سياسية، وأن إيران ستعمل على حل مشاكل المنطقة وإعادة الاستقرار إليها، كما أجرى وزير الخارجية الإيرانية "جواد ظريف" محادثات مع وزير الخارجية السورية "وليد المعلم"، بحضور المبعوث الروسي "بوغدانوف"، شمل وقف فوري لإطلاق النار، وتشكيل حكومة وطنية موحدة تشمل القوى السياسية المختلفة، وإجراء انتخابات وتعديل الدستور... إلخ وفي نفس الوقت أطلقت السعودية مبادرة لحل الأزمة السورية اشترطت فيها انسحاب إيران وحزب الله من سوريا كجزء من الحل وإجراء انتخابات رئاسية بإشراف الأمم المتحدة².

¹ - محمد فتحي، "لهذه الأسباب... إيران أيضا تخشى من التدخل العسكري الروسي في سوريا"، في:

www.huffpastarabic.com/2015/10/22story-n-8363032.html

² - أحمد سمير القدرة، "القوى الإقليمية وصراع السيطرة والهيمنة"، في:

<https://www.amed.ps/ar/details/163628>

3-محددات الموقف الإيراني من الأزمة السورية:

بالإضافة إلى تلك العلاقات التي تربط النظامين، هناك عدّة حسابات استندت إليها إيران في دعمها للنظام السوري، ورفض أي محاولة لإسقاطه، حيث ترى في سقوطه ضربة لمشروعها في المنطقة فقد استفادت إيران من التغيرات الإستراتيجية التي طرأت على المنطقة بعد سقوط العراق، ونظام طالبان وتراجع النفوذ الأمريكي، فسوريا هي حيز الزاوية في المشروع الإيراني يسمح لها بالإطلال على البحر المتوسط، والصراع العربي-الإسرائيلي وتشكل جسر التواصل البري الوحيد بלבان لذا عملت إيران على دعم النظام السوري فسقوطه سينهي النفوذ الإيراني في بعض المناطق ويقلصه في مناطق أخرى فبزواله ستقطع الحلقة الواصلة بين إيران وحزب الله.

بالإضافة إلى ذلك فقد تخوفت إيران من انتقال الأحداث إليها، فقد شبّهت الأحداث مباشرة بأحداث 2009، فقد تحفز الأحداث في سوريا، الحركة الخضراء في إيران من جديد نظرا للأزمات والمشاكل التي تعيشها إيران اقتصاديا وسياسيا، خاصة مع إعلان المعارضة الإيرانية "الحركة الخضراء" دعمها للتحركات الشعبية السورية ضدّ النظام السوري، حيث أصدر مجلس التنسيق لدرب الأمل الأخضر أعلى هيئة لصنع القرار في الحركة الخضراء الإيرانية بيانا عبر فيه عن دعم الانتفاضة السورية، وطالب النظام الإيراني بوقف دعمه لدكتاتورية نظيره السوري¹.

كما أن سقوط النظام السوري قد يؤدي إلى قيام نظام سوري جديد قد يكون قريبا من تركيا نظرا للدعم الذي قدمته للمعارضة، وتراجع إيران لأنها لم تعترف بالمعارضة، حيث ستمكن تركيا ببناء علاقات جيدة مع النظام الجديد مما سيحقق نجاح للمشروع التركي على

¹ - باكير، (الثورة السورية)، مرجع سابق، ص ص. 6، 7.

حساب المشروع الإيراني في المنطقة الذي استمر لأكثر من ثلاثة عقود، من الاستثمار السياسي والمالي والإيديولوجي¹.

4- تداعيات الموقف الإيراني على مسار الأزمة السورية:

إن الرفض الإيراني لأي قرار يؤدي بالإطاحة ببشار الأسد وتلقيه الدعم على مختلف المستويات، اقتصادية سياسية، أدى إلى بقاءه وصموده، مما تسبب في معاناة أكثر للشعب السوري، وبالتالي إطالة أمد الأزمة واستمراريتها، كما أن الدعم الإيراني لحزب الله اللبناني والأفغان الشيعة والعراقيين في المشاركة داخل سوريا بجانب النظام لقمع المعارضة، زاد الأوضاع تأزماً، وأعطى للصراع صبغة طائفية وإلغاء أي إمكانية للحل السلمي السياسي للأزمة.

لقد نتج عن الموقف الإيراني الداعم لنظام الأسد توتر علاقاتها مع السعودية، فوجدت هذه الأخيرة في الأزمة السورية فرصة إستراتيجية للحد من النفوذ الإيراني في دول الشرق العربي، فمنذ نجاح الثورة الإسلامية شكل الدور الإيراني الفاعل في المنطقة عائقاً أمام الدور والنفوذ السعودي.

حيث جاء الموقف السعودي مؤيداً للانتفاضات الشعبية وسقوط النظام لأنه سيؤدي إلى تقليص الدور الإيراني في المنطقة²، كما ظهر فتور في العلاقة الإيرانية-التركية حيث هاجمت الوسائل الإيرانية الموقف التركي واتهامها بتنفيذ السياسات الأمريكية والصهيونية لزعزعة الاستقرار في سوريا، ودعم عصابات مسلحة وإرهابيين، كما هددت إيران تركيا في حالة استعمالها القوة أو الهجوم على سوريا بأنها سترد بالمثل، فالأزمة السورية أظهرت الانقسام في الموقفين الإيراني والتركي، ففي حين وقف الطرف الإيراني إلى جانب النظام

¹ - باكير (الأبعاد الجيوإستراتيجية)، مرجع سابق، ص ص. 42، 43.

² - زهراء غازي عبد الله، "انعكاسات الأزمة السورية على العلاقات الإيرانية السعودية"، في:

السوري، وقفت تركيا إلى جانب المعارضة، فمن قبل كانت إيران تعتبر تركيا من محور الممانعة، حيث جاءت التصريحات الإيرانية أنها لو خيّرت من بين تركيا وسوريا فإنها ستختار بلا شك سوريا¹.

إنّ السياسة التي تبنتها إيران في الشرق الأوسط بمعارضتها للسياسات الأمريكية والعداء الإسرائيلي، أكسبها دعماً وقبولاً من الشعوب العربية، إلا أن الموقف الشعبي العربي من إيران بدأ يتغير نتيجة دعمها للنظام السوري، حيث تراجع مستويات القبول التي كانت تحظى بها إيران، ففي مصر تراجع إلى 37% بعدما كانت 89% في 2006 وفي السعودية إلى 6% بعدما كانت 85%، فهذا الاستطلاع الذي قامت به مؤسسة "GLOB" في الولايات المتحدة الأمريكية أظهر بوضوح تراجع شعبية إيران في العالم العربي، ونفس الشيء بالنسبة للفلسطينيين حيث تدعم القضية الفلسطينية من جهة ولكنها لم تنتقد ما يحصل في مخيمات اللجوء الفلسطيني في سوريا من اعتداءات وغيرها².

¹ - باكير (الأبعاد الجيوستراتيجية)، مرجع سابق، ص.17.

² - الزويري، مرجع سابق.

المبحث الثالث: الإستراتيجية الإسرائيلية في الشرق الأوسط.

المطلب الأول: السياسة الخارجية الإسرائيلية.

منذ قيام دولة إسرائيل في 15 ماي 1948 انتهجت سياسة عدائية استيطانية في المنطقة، حيث دخلت في العديد من الحروب مع الدول العربية التي رفضت هذا الكيان منذ تأسيسه، أبرزها:

- **حرب 1948 "النكبة"**: كانت أول حرب للدول العربية بعد قيام دولة إسرائيل في 15 ماي 1948 وقد سمّتها الدول العربية بحرب "النكبة" في حين أطلق عليها الإسرائيليون "حرب الاستقلال"، قامت بها خمس دول عربية (مصر، سوريا، الأردن لبنان، والعراق) بمساندة فلسطين لمنع قيام الدولة العبرية واستمرت العمليات حتى جانفي 1949 بعد أن سيطرت إسرائيل عمليا على الأجزاء التي أعطتها إياها قرار التقسيم 181.

- **حرب 1956 "العدوان الثلاثي على مصر"**: سببها هو تأميم الرئيس المصري "جمال عبد الناصر" لقناة السويس، ما أدى إلى قيام كل من إسرائيل وفرنسا وإنجلترا بشن هجوم شامل على مصر في 29 أكتوبر 1956، ولكن الضغط السوفيتي حينها بزعامة روسيا والتي هددت بضرب العواصم الثلاث أدى إلى تراجع هذه الدول وانسحابها في 22 ديسمبر 1956.

- **حرب 1967 "النكسة"**: قامت إسرائيل بشن هجوم على مصر وسوريا في جوان 1967 وخسرت فيها هذه الدول مقابل استيلاء إسرائيل على القدس الشرقية والضفة الغربية وقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء وهضبة الجولان.

- **حرب 1973 "حرب 6 أكتوبر"**: تطلق عليها إسرائيل "حرب الغفران"، قامت فيها معظم الدول العربية على رأسهم مصر وسوريا باقتحام مراكز القوات الإسرائيلية في سيناء والجولان تحطمت على إثره خطوط الدفاع الإسرائيلية الأولى وكاد العرب أن

ينهو الأمر لولا اتفاقهم على وقف إطلاق النار أعادت فيه إسرائيل تهيئة نفسها ووجهت بذلك ضربة للعرب، فالمفاوضات التي أعقبت هذه الحرب فتحت الباب أمام مصر إلى توقيع معاهدة سلام مع إسرائيل عام 1979¹، والتي تمكنت إسرائيل من خلال ذلك فرض واقع جديد يرجح الخيار الدبلوماسي على الخيار العسكري فظهر مفهوم عملية السلام لتحجيم الصراع العربي-الإسرائيلي بإخراج الدول العربية من الصراع من خلال عدة اتفاقيات، ومنه بدأت إسرائيل تحقق تفوقا بدخولها في العديد من العلاقات في المنطقة في مختلف المجالات.

وبالتالي بدأت تتبنى سياسة خارجية نشطة تجاه جوارها الإقليمي وذلك من أجل تحقيق أهدافها ومصالحها الوطنية وتقوم سياستها بالأساس على حماية أراضيها وحدودها والحفاظ على بقاء دولتها وحماية مواطنيها²، حيث أشار في هذا الصدد "بنجامين أكزين" أستاذ العلوم السياسية بالجامعة العبرية: «إن نقطة الارتكاز في سياسة إسرائيل الخارجية يجب أن تكون بضمان وجود إسرائيل في العائلة الدولية».

فبناء إسرائيل سياستها على إقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية مع عدد كبير من دول العالم، تحاول به كسر العزلة الإقليمية والدولية التي تواجهها خاصة من طرف دول الجوار وهذا ما جعلها أيضا تعتمد في سياستها على الاعتراف بسياسة الدول الأخرى لتعترف بها هذه الأخيرة في حين تبنت مع الدول العربية سياسة اللاحرب واللاسلم، كما أن

¹ - "الحروب العربية الإسرائيلية السياسي"، ع. 2074، (2008/05/11) في:

<http://www.alwasatnews.com/news/294025.html>

² - ياسمين السيد أحمد عبد السلام محمد، "أثر المتغيرات الإقليمية على السياسة الخارجية الإسرائيلية 2011-2016"، في: Democraticarabiccenter/?p=34868

ركيزتها هو توطيد العلاقة دائماً مع الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها الداعم الرئيسي لها في كافة المجالات حتى أن البعض يطلق عليها اسم "الراعي الأساسي لإسرائيل"¹.

1- غايات وأهداف دولة إسرائيل القومية:

- **الهدف القومي الأعلى لإسرائيل:** إقامة إسرائيل الكبرى ذات الهوية اليهودية النقية، كقوة إقليمية عظمى مهيمنة في منطقة الشرق الأوسط ولتحقيق ذلك فإنها تسعى من خلال معاهدات السلام وترسيم الحدود إلى ضم ما تستطيعه من المناطق التي احتلتها في عام 1967 والتي تحقق متطلبات أمنها من وجهة النظر الجيوستراتيجية ما يسمح لها بالتحكم في منطقة الشرق الأوسط سياسياً واقتصادياً وثقافياً بتهويدها للمنطقة مع الاعتماد على الذات عسكرياً واقتصادياً ومع ظهور المتغيرات الإقليمية الجديدة زادت إسرائيل حرصاً بالحفاظ على أمنها القومي ومن أجل تحقيق ذلك وظفت كافة مصادرها السياسية والاقتصادية والتعليمية والثقافية حفاظاً على هويتها الدينية وتفوقها العسكري واحتكارها للسلاح النووي لأن وجودها يرتبط بضمان الاعتماد على القوة العسكرية للدفاع ضد أي خطر خارجي يهددها².

- **الهدف السياسي:** ضمان بقاء الدولة العبرية في الشرق الأوسط داخل حدود أمنية معترفاً بها دولياً من خلال إقامة علاقات مع جيرانها العرب ودول الجوار الأخرى والعمل على ما يؤمن سيادة إسرائيل في المنطقة سياسياً واقتصادياً مع منع قيام دولة فلسطينية مستقلة مجاورة لها فتضعها بذلك تحت الهيمنة الإسرائيلية المباشرة عسكرياً هذا مع تهويد المناطق التي سيتم ضمها لإسرائيل من خلال تكثيف الاستيطان وتقليص التواجد العربي فيها إلى أدنى حد مع السعي للحصول على حصة من مياه

¹ - صالح النعيمي، العقل الاستراتيجي الإسرائيلي قراءة في الثورات العربية واستشراف لمآلاتها (قطر: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013)، ص. 17.

² - نبيل خليفة، الاستراتيجيات السورية والإسرائيلية والأوروبية حيال لبنان (لبنان: مركز بيبلس للدراسات والأبحاث، ط. 2، 2008)، ص. 72.

النيل في إطار التعاون الإقليمي مع مصر ومراعاة نجاح معاهدات السلام معها ومع الأردن¹.

- **الهدف العسكري:** احتفاظ إسرائيل بتفوق عسكري كمي ونوعي على جميع الدول العربية ما يمكنها من تحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية، وتفعيل سياسة الردع ببعدها النفسي والمادي وفرض إرادتها على المنطقة، مع الإستعداد إلى اللجوء للعمل العسكري المباشر عند ظهور بوادر لشن عمليات عسكرية من جانب أعدائها، أو وجود دلائل تهدد بكسر احتكارها النووي في مجالها الحيوي، مع السعي لزيادة قدرتها على تطوير أسلحتها وإملاك قدرات ردع متنوعة ذات مصداقية وعلى درجة عالية من التأهب قادرة على تدمير أية قوات مسلحة أو إرهابية مناوئة لإسرائيل، وذلك بالإستعداد لتوجيه ضربات وقائية واستباقية عند اللزوم داخل الدولة المعادية. كما تعطي أهمية كبيرة لقضية الأمن في سياستها الخارجية باعتبار معظم جيرانها العرب أعداء لها، بالتالي فهي بحاجة ماسة لتعبئة الموارد والتجنيد التام من أجل مواجهة الطوارئ والحروب وعلى هذا الأساس جاءت رغبتها في السيطرة على الجولان. وكما صرح "أرييل شارون" في سنة 1982: «إن الهدف النهائي لعملية سلامة الجليل هو ضمان الحدود الشمالية لإسرائيل، وإننا نأمل في تشكيل حكومة إئتلافية في لبنان توقع اتفاق سلام مع إسرائيل ومن شأن ذلك أن يقلب الوضع في الشرق الأوسط رأساً على عقب».

- **الهدف الاقتصادي:** استقرار وتنمية الاقتصاد الإسرائيلي باستثمار الإمكانيات الذاتية والمساعدات الخارجية على الوجه الأمثل مع بسط السيطرة على اقتصاديات دول المنطقة بأساليب مباشرة وغير مباشرة وفتح أسواق جديدة لإسرائيل في جميع دول

¹ - حسام سويلم، "الأهداف القومية الإسرائيلية وإستراتيجيات تنفيذها"، في:

www.aljazeera.net/knowkdgegate/opinions/2004/10/3/

العالم، والتعامل مع التكتلات الاقتصادية الإقليمية والدولية وخلق المصالح المشتركة هذا مع تأمين حصول إسرائيل على المزيد من الموارد المائية والنفطية والمعدنية والسعي التدريجي لتقليص اعتماد الاقتصاد الإسرائيلي على المساعدات الأجنبية¹. كما انتهجت إسرائيل سياسة "عسكرة المياه" من أجل الخروج عن عجزها المائي الذي يهدد أمنها وله تأثير كبير على السياسة الخارجية الإسرائيلية في علاقاتها مع دول الجوار وهذا يفسر أيضا الشعار الذي تتخذه إسرائيل دائما والمنصوص عليه في التوراة هو أن: «حدود إسرائيل من النيل إلى الفرات» كذلك اهتمامها الكبير بالبحر الأحمر بهدف الاتصال مع العالم الخارجي ولتحقيق مصالحها العسكرية والاقتصادية والسياسية من ناحية ومواجهتها الإستراتيجية العربية من ناحية أخرى في سبيل تأمين أمنها القومي²، حيث يقول "ديفيد بن غوريون" 1920: «إن مصادر المياه التي يعتمد عليها مستقبل إسرائيل، ينبغي ألا تبقى في المستقبل خارج حدود الوطن القومي اليهودي المنصوص عليه في وعد بلفور... لهذا السبب طالبنا دائما أن تشمل أرض إسرائيل الضفاف الجنوبية لنهر اللباني... فاللباني والأردن واليرموك من أهم أنهار أرض إسرائيل.. والبلاد بحاجة لهذه المياه...»³.

- **الهدف الاجتماعي:** استمرار البقاء القومي بدرجة عالية من الصلابة ونقاء الجنس اليهودي وذلك بزيادة حجم القوة البشرية وتحسين نوعيتها من خلال استكمال هجرة يهود العالم لإسرائيل (10 مليون يهودي متفرعون في العالم) مع تشجيع زيادة النسل اليهودي وتقليص التواجد العربي في أرض إسرائيل مع السعي لتقوية روابط التماسك الاجتماعي والقضاء على الصراعات والتناقضات العرقية والثقافية والاجتماعية

¹ - حسام سويلم، مرجع سابق.

² - عبد الله عبد المحسن السلطان، البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي (لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 2001)، ص. 181.

³ - نبيل خليفة، مرجع سابق، ص. 72.

والسياسية التي تسود المجتمع اليهودي، مع تحقيق توازن التركيبة السكانية عموديا وأفقيا داخل إسرائيل (تعمير صحراء النقب)¹، حيث وجه المستشار "دافيد تريش" إلى "تيودور هرتزل" بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني العالمي رسالة في هذا الصدد يقول فيها: «أود أن أشير عليكم بالرجوع من وقت لآخر إلى برنامج (إسرائيل الكبرى) قبل فوات الأوان وكان لابد أن يشتمل برنامج بال على كلمات (إسرائيل الكبرى) أو (إسرائيل والأراضي المجاورة) وإلا سيكون ذلك بلا معنى، فلن يكون في وسعهم استقبال 10 ملايين يهودي على أرض تبلغ مساحتها 25 ألف كم²». وهذه الرسالة تشرح بوضوح تام المنطق الداخلي للصهيونية في سياستها الخارجية ومبدئها في تكريس اليهودية من حيث أنها أمة ودولة وإعدادها لخوض حروب توسعية متوالية للاستيلاء على مجال حيوي².

- **الهدف الإيديولوجي:** إحياء الحضارة اليهودية بإعادة بعث الروح اليهودية الدينية في المجتمع الإسرائيلي، وإثارة فكرة الصهيونية كمبدأ أساسي عنصري، وإعادة بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى باعتباره الهدف الأسمى لليهود العالم من توحيدهم كذلك تنشيط الثقافة والتاريخ اليهودي في نفوس الشبيبة الإسرائيلية وزيادة نفوذ اللوبيات وجماعات الضغط الصهيونية في الدول الكبرى وتقوية النفوذ اليهودي في آسيا وأوروبا الشرقية، مع العمل في نفس الوقت على زرع عوامل التفارقة والتشتت في البلدان العربية للقضاء على فكرتي القومية العربية والتضامن الإسلامي.

- **أهداف الحركة الصهيونية العالمية:** تنشيط حركة الهجرة إلى إسرائيل مع توجيه المهاجرين الجدد بصورة منهجية ومخططة نحو مشروعات استيطانية تساعد على سرعة دمجهم في المجتمع الإسرائيلي وبما يساهم في تنفيذ خطط التنمية والدفاع، هذا

¹ - حسام سويلم، مرجع سابق.

² - روجيه قارودي (ت: حسين حيدر)، إسرائيل بين اليهودية والصهيونية (بيروت: دار التضامن للطباعة والنشر، 1990)، ص. 154.

مع السعي إلى إعادة إنشاء حركة صهيونية في الخارج تؤمن إستعادة المضامين الروحية للحركة الصهيونية وإعادة ربط شعبهم بالوطن الأم وبتنشيط مناهج التربية اليهودية بين يهود الشتات¹.

ولتحقيق هذه الأهداف تبنت إسرائيل مخططات إستراتيجية ذات مشروعين: مستوى أعلى تطلق عليه (الخطة الكبرى) لغاياتها وأهدافها بعيدة المدى، ومستوى أدنى يعالج ما تطلق عليه (مشاكل الأمن الجاري)، هي:

أ- الخطة الكبرى:

- **مخطط (بلقنة المنطقة):** يستهدف تكريس حالة التجزئة الحالية للشرق الأوسط وتعميقها نحو مزيد من تفتت الدول إلى دويلات صغيرة "كنتونات" على أسس عرقية وطائفية ومذهبية يكون فيها الكنتون الإسرائيلي الأكبر وهو المهيمن والمسيطر على المنطقة وذلك باستغلال مشاكل الأقليات وتأييدها بدعواتها إلى الانفصال والاستقلال وأبرز مثال على ذلك: الحرب الأهلية في لبنان، الحرب الانفصالية في السودان، ثورة الأكراد في العراق، كما أشار إلى ذلك الزعيم الصهيوني القديم (جابوتنسكي) في مخططاته التي وضع لها أسس نظرية والتي دعا فيها على إقامة (كومونولث عبري) تكون فيه إسرائيل القوة الإقليمية العظمى، كما نجد لهذا المخطط أساسا أيضا في كتاب (بين جيلين) لبريجنسكي تحت عنوان "تفتت قوس الأزمات" وكذلك مشروع بن غوريون لتقسيم لبنان سنة 1954².

- **مخطط (شد الأطراف):** وذلك بإقحام الدول المتواجدة في أطراف الوطن العربي في صراعات جانبية مع دول أخرى غير عربية في دائرة الجوار الجغرافي، وذلك لجذبها

¹ - حسام سويلم، مرجع سابق.

² - محمد جمال، "وثيقة إسرائيلية صدرت 1982... معالم إستراتيجية تقنين الدول العربية"، في:

بعيدا عن الصراع العربي-الإسرائيلي، وقد تبين ذلك في حرب الثماني سنوات بين العراق وإيران، والنزاع السوري التركي، وكذلك الدور الإسرائيلي في النزاعات القائمة بين السودان وإثيوبيا، وبين اليمن وإريتريا لفرض السيطرة على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر.

-مخطط (تكثيف الإستيطان): يستهدف هذا المخطط تكريس الاحتلال الإسرائيلي في الضفة وجنوب غزة والجولان، واستكمال تهويد الأراضي في هذه المناطق، وهذا ما سيخلق أمرا واقعا يصعب تغييره في المستقبل أو حتى التفاوض بشأنه، وستتشكل هذه المستوطنات تخفيفا لوطأة المشكلة الديمغرافية في إسرائيل لإستيعاب هذه الأراضي المزيد من المهاجرين اليهود، ويخلق حافزا للتدخل العسكري الإسرائيلي مستقبلا ضد المناطق العربية، ويرتبط بمخطط الإستيطان المكثف مخطط آخر، هو (الترانسفير) (Le transfert) والذي يسعى إلى تفريغ المناطق المحتلة من سكانها العربي بأساليب الترغيب والترهيب¹.

ب. أما فيما يخص معالجة مشكلات الأمن الجاري فهي تستعمل إستراتيجية (اللاءات العشر) تنقيد بتنفيذها السياسة الخارجية والسياسة الدفاعية للدولة، وهي تعكس الثوابت الأمنية لإسرائيل وتتمثل في الآتي:

- لا للإنسحاب الكامل إلى حدود 1967.
- لا لتقسيم القدس.
- لا لسيادة عربية كاملة على جبل الهيكل.
- لا لدولة فلسطينية ذات استقلال كامل.
- لا لعودة اللاجئين الفلسطينيين.

¹ - "وثائق إسرائيلية قديمة تتحدث عن حروب المنطقة المعاصرة"، في:

www.aljazeera.net/news/presstour/2016/2/19/غلوبان-ريسيرش-حروب-المنطقة-مخطط-صهيوني

- لا لإيقاف عمليات الإستيطان أو تفكيك المستوطنات.
- لا لتحالف إستراتيجي عربي يضم بعض أو كلّ دول المواجهة والعمق العربي.
- لا لامتلاك أي دولة عربية برنامج نووي.
- لا لأي خلل في الميزان العسكري القائم بين العرب وإسرائيل.
- لا لحرمان إسرائيل من مطالبها المائتة في الأنهار العربية¹.

2-الموقف الإسرائيلي تجاه الحراك في منطقة الشرق الأوسط:

منذ انطلاق الربيع العربي، أبدت إسرائيل موقفا واضحا ضده وضد المطالبة بإسقاط أنظمتها الإستبداد وإقامة نظم ديمقراطية تحترم حرية المواطن وتقيم العدالة الإجتماعية وانطلاقا من تأصل إسرائيل برفضها للديمقراطية في الدول العربية وعدائها للوحدة العربية والعمل العربي المشترك (تخوفا منها من إعادة بناء دولة الخلافة)، قابلت إسرائيل الحراك العربي بالعداء، حيث شككت في اصالتها والأهداف التي تناضل من أجلها، حيث يصرح في هذا الصدد البروفيسور "إفرايم عنبار" (رئيس مركز بيجن-السادات للدراسات الإستراتيجية) أن الثورات العربية ستسهم في صعود نوع جديد من الدكتاتوريات، وقد شبه ذلك "بثورة الأرز" في لبنان التي أسهمت في إخراج القوات السورية من لبنان، أدت بعد 6 سنوات إلى تولي حزب الله مقاليد الحكم فيها، نفس الشيء بالنسبة إلى الانتخابات التشريعية التي أقيمت في قطاع غزة عام 2006 حيث أفضت إلى سيطرة حماس على الحكم بالتالي يرى أن هذه الحكومات ستلجأ في المرحلة الأولى إلى مظاهر استعراض القوة لفرض مكانتها الإقليمية ومرحلتها الانتقالية ستكون بالغة الخطورة على إسرائيل².

ودفاعا عن نفسها باعتبارها في وسط بيئة عربية ثائرة ومعادية لها، لم يحدث أن إنشغلت مراكز البحث الإسرائيلية بدراسة قضية ما، قدر اهتمامها بدراسة الربيع العربي

¹ - حسام سويلم، مرجع سابق.

² - النعيمي، مرجع سابق، ص.15.

فحللت بواعثها ورصدت تداعياتها المحتملة واستشرفت انعكاساتها على أمنها القومي وتأثيراتها المختلفة على البيئة الإستراتيجية للصراع مع العرب، إلى جانب توسع هذه المراكز في صياغة التوصيات لدوائر صنع القرار الإسرائيلي بشأن الإستراتيجيات التي يتوجب تبنيها وآليات العمل التي يحبذ اعتمادها لتقليص التداعيات السلبية للربيع العربي على إسرائيل ومن أجل تحقيق ذلك اعتمدت على أكبر شعبة في أجهزتها الإستخبارية "أمان" حيث تكفلت هذه الأخيرة بمهمة بلورة التقديرات الإستراتيجية للكيان الصهيوني عن طريق تحليل الحراك واستشراف تداعياته، ومن أهم المواقف التي اتخذتها إسرائيل تجاه دول الحراك ما يلي¹:

- **الموقف الإسرائيلي من الحالة التونسية:** مع انطلاق شرارة الحراك في تونس بدأت المخاوف الإسرائيلية من أن ينتقل إلى دولة عربية أخرى خاصة مصر التي تعتبرها حليفا لها، فأسرعت عن طريق جهازها الاستخباراتي الموساد إلى إجهاض الحراك في تونس علما أن إسرائيل تربطها علاقة وثيقة مع "زين العابدين بن علي" (غير معلنة) كما أن تخوفها من وصول الإسلاميين إلى الحكم جعلها تطالب بالحفاظ على علاقتها مع تونس لوجود جالية يهودية فيها، ورغم التخوف من قبل المؤسسة الإسرائيلية من إمكانية انتقال الحراك إلى دول أخرى سعت منذ الساعات الأولى لفرار بن علي إلى تهيئة الظروف لجذب يهود تونس باتجاه إسرائيل الذين يبلغ عددهم حوالي 1500 يهودي. ولكن غير هذا فإسرائيل لم تبدي أي اهتمام خاص بالحراك في تونس حيث أنها بالنسبة إليهم بعيدة جغرافيا وغير مؤثرة في السياسة الإقليمية والصراع العربي الإسرائيلي ولا تلعب دورا هاما في معادلات القوى العسكرية والأمنية الإقليمية².

¹ - المرجع نفسه، ص.7.

² - نبيل السهلي، "ثورة تونس بعنوان إسرائيل"، في:

- **الموقف الإسرائيلي من الحالة الليبية:** رغم أن ليبيا دولة بعيدة نوعا ما عن إسرائيل ولا تشكل تهديدا على بقائها، إلا أن هذا لم يمنعها من التدخل في الشأن الليبي ودعمها للجنرال "حفتر" الذي كان يحارب فصائل الثورة ذات التوجه الإسلامي، وهذا خوفا منها من سيطرة جماعات إسلامية على مصير الحكم في ليبيا مثل، قوات فجر ليبيا، كما أن إسرائيل تعتبر ليبيا مصدرا جديدا للأسلحة المهربة إلى الفلسطينيين في قطاع غزة بعد الثورة، ما أدى إلى محاولتها إنهاك الثوار ماديا ومعنويا، خاصة بعد إعلان حفتر التعاون مع إسرائيل وتلقي الدعم منها مصرحا: «ولم لا، فعدو عدوي هو صديقي»¹.

- **الموقف الإسرائيلي من الحالة اليمنية:** يقول "يهود يعري" محلل في الشؤون العربية: «إن على إسرائيل أن تكون أول القلقين من الأحداث في اليمن، فحركة أنصار الله تعتبر نسخة يمنية من حزب الله، فإسرائيل التي حاولت جاهدة وضع كل ما يحصل في سياق الصراع مع إيران، ترى أن ما يحدث في اليمن يقوي النفوذ الإيراني في المنطقة، وخاصة عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، حيث مضيق باب المندب فتخشى إسرائيل من تأثير ذلك على حركة سفنها أثناء عبورها المضيق»، كما يرى "أليكس فيشمان" محلل عسكري أن الحرب التي تشنها السعودية ضد الحوثيين في اليمن، تخدم مصالح إسرائيل وإستراتيجية أمنها، فهي تجد نفسها بجانب السعودية التي تتكفل بحراسة السفن الإسرائيلية التي تجتاز مضيق باب المندب، بالتالي فكان موقف إيران مؤيدا للسعودية ووقفت إلى جانبها معنويا في "عاصفة الحزم"، فهدف إسرائيل من هذه الأخيرة هو أن تتجح السعودية من طرد إيران من البحر الأحمر نهائيا، فقامت بنشر إشاعات مضخمة في أن ما يحدث في اليمن من منطلق طائفي

¹ - "لماذا أيدت إسرائيل عمليات الجنرال خليفة حفتر في ليبيا؟"، في:

مذهبي هي حرب سنية-شيعية، حتى تقف الدول العربية إلى جانب السعودية فهي بذلك شاركت في اليمن بالوكالة دون أن تقوم بإطلاق رصاصة واحدة¹.

- **الموقف الإسرائيلي من الحالة المصرية:** لقد شغل الحراك في مصر مراكز البحث في إسرائيل، باعتبار أن التحولات في مصر سيكون لها انعكاسات خطيرة على البيئة الإستراتيجية بالنسبة لها، حيث يرى الجنرال المتقاعد "رون تيرا" (الباحث في مركز أبحاث الأمن القومي أن أكبر خطر إستراتيجي يمكن أن يهدد إسرائيل نتاج الحراك في مصر يتمثل على أنقاض الحكومات القادمة التي سيتبين إن كانت ستراعي الإلتزام بمعاهدة "كامب ديفيد" مثلما قام به "حسني مبارك" فمع سقوط مبارك بدأت إسرائيل تتخوف من سقوط معاهدة السلام المبرمة مع مصر خاصة أن المؤشرات كانت تشير بشكل كبير إلى صعود الإسلاميين إلى الحكم الذين كانوا يرفضون الإعتراف بدولة إسرائيل، وقد عبر المتظاهرون عن ذلك باقتحامهم للسفارة الإسرائيلية في القاهرة وحرق العلم الإسرائيلي، حيث يجزم في هذا الصدد العقيد المتقاعد الدكتور "يهودا دحوح هليفي" الباحث في "معهد القدس لشؤون الجمهور والمجتمع" بأن مصر قد تحولت بعد الثورة إلى عدو²، حيث أصدرت لجنة الشؤون العربية في مجلس الشعب المصري على لسان رئيسها محمد سعيد إدريس في 12 مارس 2012 بيان تصف فيه إسرائيل بالكيان الصهيوني، كما شدد في البيان رفضه الاعتراف بشرعية إسرائيل، كما طالبت اللجنة بإعادة النظر في البرنامج النووي الإسرائيلي بوصفه تهديدا للأمن القومي، ما جعل من "رون تيرا" يطالب الحكومة الإسرائيلية بأن تطلب من الولايات المتحدة الأمريكية بممارسة الضغط على السعودية لتعرض المساعدات المالية على النظام الجديد في مصر لإغرائه بعدم الحياد عن السياسات التي كانت

¹ - زاهر المحروفي، "الحرب على اليمن... وجهة نظر إسرائيلية"، جريدة الرؤية العمانية، في:

www.yamanyoon.com/?p=7984

² - النعيمي، مرجع سابق، ص. 14.

ينتهجها مبارك، باعتبار أن ضمان الاستقرار في المنطقة مصلحة سعودية أيضا. لكن فترة حكم الإخوان المسلمين كانت على عكس التوقعات الإسرائيلية حيث أن أول ما صرح به الرئيس السابق محمد مرسي بعد وصوله إلى الحكم هو التزام مصر باتفاقية السلام مع إسرائيل بالإضافة أن في فترة حكمه استمر التعاون بين البلدين في العديد من المجالات ومحاربة الإرهابيين في سيناء، كما أعلن في أحد خطابه أن مصر تقف ضد حزب الله وإيران وتطالب بإسقاط النظام السوري وهذا يتوافق مع إسرائيل¹.

وقد عادت المخاوف إلى إسرائيل بعد أحداث 30 جوان 2013 والتي تسببت في عزل مرسي وعودة حالة اللاإستقرار، إلا أنه عادت الأوضاع إلى حالها في الانتخابات الرئاسية 2014 وتولي "عبد الفتاح السيسي" منصب الحكم، وقد استمرت العلاقات بين البلدين واستمر إتفاق السلام، وقد ساهمت إسرائيل في إمداد مصر بالغاز الطبيعي بما أن هذه الأخيرة أنهكتها الثورات الشعبية ما أدى بها إلى نقص في احتياط الغاز وعجز اقتصادي يجب العودة به بعد تهدن الأوضاع².

المطلب الثاني: تأثير السياسة الإسرائيلية على مسار الأزمة السورية.

1-العلاقات الإسرائيلية السورية:

منذ قيام دولة إسرائيل ساهمت بشكل كبير على تحقيق هدفها التوسعي سواء جنوبا اتجاه سيناء أما شمالا نحو سوريا خاصة رغبتها الشديدة في السيطرة على الجولان، ومن خلال هذه النقطة يمكن أن يتضح لنا العلاقة التي تجمع إسرائيل بسوريا والتي تتميز باللاحرب واللاسلم تماما كما تقررها السياسة الخارجية لإسرائيل، فمنذ احتلالها لهضبة الجولان خلال حرب 1967 وضمتها لها بشكل رسمي عام 1981 تفاقت المشاكل بين

¹ - المرجع نفسه، ص ص. 11-18.

² - السيد أحمد عبد السلام محمد، مرجع سابق.

الطرفين، وعرفت الفترات الموالية عدم الاستقرار في العلاقات التي تجمعهما، ورغم المفاوضات العديدة التي قدمت إلا أن معظمها باء بالفشل، إلى غاية مؤتمر مدريد في 30 أكتوبر 1992 الذي حظي برعاية دولية خاصة روسيا و الولايات المتحدة الأمريكية تناولت فيها انسحاب إسرائيل من الجولان وتعهد سوريا بإقامة علاقات سلام عادية معها وقد بقي الوضع على حاله لمدة ثلاث سنوات إلى غاية تولي "شمعون بيريز" رئاسة الحكومة واستأنف المفاوضات مع سوريا، ولكن بعد وصول الليكود اليميني بزعامة "بنيامين نتنياهو" إلى الحكم توقفت المفاوضات بين الدولتين، وقد نجحت وزيرة الخارجية السابقة "مادلين أولبرايت" في إعادة الدولتين إلى طاولة المفاوضات عام 2000 إلا أن الاتفاق النهائي باء بالفشل مرة أخرى، ورغم محاولة "بين كلنتون" في إعادة جمع الطرفين إلا أن ردّ بشار الأسد كان باراك أوباما لا يرغب بالسلام ومنذ ذلك الوقت لم تجر أي مفاوضات بين البلدين بصفة رسمية¹.

كما أن إعتبار سوريا مدعمة لحزب الله والمقاومة الفلسطينية جعل إسرائيل لا تقيم أي معاهدة سلام مع سوريا وإن أقامت فهي لا تحافظ عليها. فإسرائيل لها طموحات في إيجاد بيئة إقليمية أكثر أمنا ثمنا لسلامها مع سوريا، طمعا منها أن تصل إلى تجفيف العلاقات بين سوريا و كل من إيران وحزب الله في لبنان وحركة حماس في فلسطين باعتبار أن سوريا كانت إلى جانب حزب الله في الغزو الإسرائيلي على لبنان 2006 والتي رفضت نزع السلاح منه، كما رفضت طرد ممثلين المقاومة الفلسطينية من أراضيها، كذلك في حربها على غزة سنة 2009 بدعمها لحماس إلى جانب إيران على غرار مصر أين حرص فيها مبارك على توفير الظرف الإقليمي المناسب لاستمرار الضربات الإسرائيلية².

¹ - مصطفى حمو، "تاريخ المفاوضات السورية الإسرائيلية"، في:

News.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid-7416000/7416050.stm

² - النعيمي، مرجع سابق، ص.11.

2- الموقف الإسرائيلي من الأزمة السورية:

منذ بداية الحراك في سوريا وإسرائيل تراقب تطور الأوضاع فيها ترقباً لما قد ينجم عنها من تأثيرات سلبية على أمنها القومي خاصة (سقوط نظام الأسد أو بقاءه في الحكم ووصول الإخوان إلى السلطة أو فشل المعارضة، أو تقسيم سوريا وتدميرها نهائياً مع التدخلات الدولية العديدة الأطراف) كلها احتمالات اتخذها بعين الاعتبار المحللين الإسرائيليون، مع ضرورة التقدم نحو وضع حد للصراع مع النظام السوري الصاعد، وبالتالي إنهاء علاقتها بإيران وحزب الله مقابل الحصول على الجولان.

تعي إسرائيل جيداً المخاطر التي قد تترتب عن سقوط النظام في سوريا، خوفاً من تسرب ترسانة الأسلحة الإستراتيجية التي تمتلكها، خاصة الصواريخ بعيدة المدى ووقوعها في يد حزب الله، فحاولت إسرائيل التقليل من حجم هذه المخاطر فشنت بذلك سبع غارات على مواقع عسكرية في سوريا كان أهمها في محيط دمشق واللاذقية، مستهدفاً بذلك مخازن أسلحة صاروخية إستراتيجية¹.

كما أن إسرائيل من جهة أخرى تطوق إلى سقوط النظام السوري وتقسيم الدولة إلى ككتونات وهي فكرة متداولة في الجيش الإسرائيلي حيث أن ضابط الاستخبارات العسكرية البروفيسور "يوقال نئمان" أعد خطة مفصلة لتفكيك سوريا إلى دويلات طائفية أطلق عليها اسم "ملف لاقي".

أما فيما يخص حالة سقوط النظام ووصول الإسلاميين إلى الحكم، يشير الدكتور "ماكس سينغر" (الباحث المشارك في مركز بيغن-السادات للدراسات الإستراتيجية)، في هذا الصدد أن وصول الإسلاميين إلى الحكم وإصرارهم على تطبيق الشريعة والعودة إلى أنماط الحياة الإسلامية القديمة التي لا تتفق مع روح العصر سيؤدي إلى تدهور الأوضاع المعيشية

¹ - مرجع نفسه، ص 10.

للناس، وهذا بحد ذاته سيدفع الأجيال العربية القادمة إلى رفض الإسلام السياسي، وهذا يعود بنتائج إيجابية لكل من إسرائيل والغرب فهو يرى أن نموذج الإسلام الشيعي قد فشل في إيران ولا يوجد ما يؤكد أن الإسلام السني سينجح.

كما يصرح الجنرال المتقاعد "عاموس يادلين" أن موازين القوى في الصراع الدائر بين النظام السوري والمعارضة تميل بوضوح للنظام ويشير إلى أن النظام السوري يتمتع بميزتين هما:

- دور روسي يوفر للنظام مظلة دولية مانعة.
- وجود جيش لا يتردد في قتل شعبه من أجل الحفاظ على النظام، حيث يوضح يادلين أن ما حسم الأمور في مصر لصالح الثوار هو تخلي الجمهور عن حالة الخوف من جهة، ورفض الجيش إطلاق النار لحماية النظام من جهة أخرى¹.

تحرص إسرائيل بشدة على عدم وصول الأهوال في سوريا إلى منطقة الجولان، حيث اتخذت بعض الخطوات العملية للدفاع عنها، فوضعت قواتها في حالة استعداد تحسباً لأي طارئ كما قام الجيش بتجريف مناطق واسعة قرب شريط حدود وقف إطلاق النار لجعلها مكشوفة للنظر، وزرع ألغاماً فيها، كما زوّدت فرقة الجيش في الجولان بوسائل لتفريق المظاهرات².

كما عقدت الحكومة الإسرائيلية في 17 أبريل 2016 اجتماعاً الأسبوعي في هضبة الجولان السورية المحتلة، وتعتبر المرة الأولى في تاريخها منذ 1967، واستهل نيتنياهو الاجتماع بالقول: «إن هضبة الجولان ستبقى بيد إسرائيل إلى الأبد» وأنها لن تتسحب منها تحت أي ظرف، كما دعا "تاسفي هاوزر" المقرب من نيتنياهو إلى استغلال ظروف الأزمة

¹ - المرجع نفسه، ص ص. 23-36.

² - "الموقف الإسرائيلي من الأحداث في سوريا"، في:

السورية بضم الجولان إلى إسرائيل ومنحه شرعية دولية، وفي لقاء للرئيس الأمريكي أوباما مع نتنياهو في 09 نوفمبر 2015، طرح هذا الأخير مسألة ضم الجولان إلى إسرائيل ولم يرد الرئيس أوباما على ذلك.

وبعد عودة نتنياهو إلى أرض الوطن: اتجه نحو هضبة الجولان وأعلن منها أن الجيش الإسرائيلي نفذ عشرات الهجمات ضد أهداف في سوريا، وقد كان هذا التصريح موجهاً بالأساس إلى القيادتين الأمريكية والروسية بغرض تذكيرهما بضرورة أخذ مصالح إسرائيل في الحسبان في أي حل سياسي للأزمة في سوريا، ولكن إسرائيل قبلت بمعارضة دولية وإقليمية حول مسألة الجولان باعتبارهم أنها أرض سورية محتلة يجب أن تعاد إليها¹.

رغم عدم إفصاح إسرائيل عن الرؤية المفضلة لديها حول مستقبل الأزمة السورية وعدم تدخلها بالشكل المباشر في قلب الصراع (ما عدا ما يخص الدفاع عن هضبة الجولان) إلا أنه يمكن القول أنها تفضل إطالة أمد الصراع دون حسمه، فلا بد أن يؤدي ذلك إلى إضعاف كل الأطراف المنخرطة فيه (المعارضة، النظام، الجيش، الأحزاب وحتى الدول الداعمة لها) وهذا يعتبر الأكثر ملاءمة لمصالحها الأمنية والسياسة على المدى البعيد، فهي تود أيضاً لو يشتد الصراع إلى تأسيس دويلات متناحرة طائفية، وثنية، سنية وعلوية وكردية ودرزية ومسيحية².

¹ - "إسرائيل تشتغل الأزمة السورية لانتزاع شرعية دولية لضم الجولان"، في:

www.dohainstitute.org/ar/politicalstudies/pages/Israel-exploiting-the-syria-crisis-to-annex-the-golan-aspx

² - عبد الحميد المجالي، "هل لإسرائيل رؤية محددة للأزمة السورية؟"، في:

www.ashargalarabi.org.uk/ad-هل-لإسرائيل-رؤية-محددة-الأزمة-السورية/
[id!412812.ks#WCNAQTWOPIU](http://www.ashargalarabi.org.uk/ad-هل-لإسرائيل-رؤية-محددة-الأزمة-السورية/)

3-تداعيات الازمة السورية على إسرائيل:

وصلت تداعيات الحراك إلى إسرائيل التي كانت تتفرج على ثوران الشعوب العربية وسقوط زعمائها كالدومينو، فامتد تأثير الشعوب العربية إليها، ففي جويلية 2011 خرجت حركة إحتجاج إجتماعي في إسرائيل، مطالبة الحكومة بتحقيق العدالة الاجتماعية وانقاذ الطبقة الوسطى من الإنهيار لسبب عبئ الضرائب وغلاء المعيشة والخدمة العسكرية، حتى إن أهم الشعارات التي رفعت خلال حركة الإحتجاج كانت "الشعب يريد عدالة اجتماعية" مستوحية ذلك الشعار من المنتفضين العرب.

ومع العلم أن الأزمة السورية مازالت متواصلة إلى يومنا هذا إلا أن التقديرات تباينت بين الباحثين الإسرائيليين بشأن تأثير الأزمة السورية على إسرائيل، حيث مالت إلى 3 اتجاهات:

- سقوط النظام مصلحة عليا لإسرائيل.
- سقوط النظام مصلحة لإسرائيل لكن سيترتب عليه في المرحلة الانتقالية تداعيات سلبية.
- بقاء نظام الأسد يخدم مصلحة إسرائيل.

حيث يرى مادلين أن ما يحصل في سوريا يحمل في طياته فرصا لإسرائيل تتمثل في:

- خروج سوريا من المحور الراديكالي الذي يضم إيران وحماس وحزب الله.
- وضعت الثورة السورية حدا للجدل الذي كان محتدما في إسرائيل بشأن الاستعداد للانسحاب من هضبة الجولان مقابل السلام مع سوريا، فإنه لم يعد هناك ما يسوغ مواصلة التعلق بالفكرة بما أن النظام القائم فقد الشرعية مما يجعل أي تسوية سياسية معه غير مطروحة.

كذلك يتفق معه "شلومو بروم"، الذي يرى أنه في حال سقوط النظام، ستميل موازين القوى لصالح إسرائيل لأن النظام الجديد لن يكون متحالفا مع إيران وحزب الله، ويرى أنه حتى لو لم يسقط الأسد فإنه سيظل نظاما ضعيفا أنهكته الأزمة، بالتالي سيكون بإمكان إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية التعامل معه في حين يحذر البروفسور "إفرايم عنبار" من المخاطر الأمنية التي ستهدد إسرائيل في حال ما إن تمكنت التنظيمات الإرهابية السيطرة على مخزون الدولة السورية من الأسلحة لاسيما الكيماوية منها، وهناك أسس للاعتقاد بأن مثل هذا السلاح سيسقط في يد حزب الله على الخصوص ويوافقه الرأي "جابي سيبوني" مضيفا أن ذلك سيؤدي إلى تسلل الكثير من الجهات المعادية إلى داخل سوريا والتي ستقوم بتنفيذ عمليات عبر الحدود تستهدف بها المناطق الإسرائيلية، بالتالي فإسرائيل مطالبة بتجهيز منظومات دفاعية قادرة على التصدي لمثل هذا الوضع¹.

كما أدت الأزمة السورية إلى بروز إسرائيل على الساحة الإقليمية مستغلة ذلك الفراغ الناتج عن توتر سوريا بالبحث عن دور و مكانة في المنطقة، فخرجت إسرائيل الفائز الأول في المنطقة مع تراجع قوة كانت تشكل تهديدا لها.

¹ - النعيمي، مرجع سابق، ص ص. 36-38.

خلاصة الفصل:

حققت تركيا دور ومكانة مهمة في الشرق الأوسط قبل اندلاع الربيع العربي بسبب توجهات سياستها الخارجية فحققت علاقات متطورة خاصة في المجال الاقتصادي، ولقد ركزت تركيا في مواقفها من أحداث الربيع العربي من هذه النقطة أي مصالحها الاقتصادية ومع انتقال هذه الأحداث لسوريا ونظرا للتشابه في التركيبة العرقية والطائفية خاصة المسألة الكردية أصبحت المسألة السورية أمن قومي، حيث احتضنت المعارضة ونادت برحيل بشار الأسد كحل الأزمة السورية، فاتفقت مع القوى الغربية منها الولايات المتحدة الأمريكية، على نصب الدرع الأمريكية المضادة للصواريخ على أراضيها، كما أعادت تنسيقها الإستخباراتي مع إسرائيل.

وكذلك بالنسبة لإيران فقد تعاملت مع الربيع العربي بالحذر، ووفقا لمصالحها الوطنية وتحالفاتها الإقليمية أما بالنسبة لسوريا فاعتبرت أن التغيير فيها يستهدفها جيواستراتيجيا ويهدد موقعها، لذا جاءت مواقفها تسعى للحفاظ على النظام السوري بكل قوة، مما أدى إلى تراجع نسبي في الدور الإيراني في المنطقة في ظل تنامي دور السعودية في ملفات المنطقة كسوريا واليمن، واكتسبت نظرة سلبية من الرأي العام العربي لدعمها المفرط للنظام السوري مما سيؤدي إلى انحسار الدور الإيراني، فالدعم الإيراني للنظام السوري وعدم سماحها بسقوطه أدى إلى إطالة الأزمة السورية وهي تعتبر أن بقاء الأسد شرط لحل الأزمة السورية.

كما أظهرت الأزمة السورية حالة التنافس بين دولتين إقليميتين مختلفتين لكل واحدة مصالحها الخاصة فيها، حيث عملت تركيا على مساندة المعارضة واتجهت إيران لدعم النظام ما أدى إلى تعقيد ملفات الأزمة السورية وتشابكها.

أما إسرائيل فقد نظرت إلى أحداث الربيع العربي بحذر شديد، وترقبت الوضع السياسي الذي قد ينتج عن هذه الأحداث، إلا أنها استفادت من التنافس الجيواستراتيجي في

المنطقة بين الفاعلين الإقليميين والدوليين، فانشغال الدول العربية بهذه الأوضاع وإعادة ترتيب أوضاعها، استغلت ذلك لإنهاء القضية الفلسطينية بحلول جزئية، وفرض نفسها في أي عملية تفاوضية مقبلة، أما فيما يخص الأزمة السورية فإن إسرائيل هي المستفيدة الأكبر من تدهور سوريا، فبضعفها، تلاشت قوة كانت تهدد إسرائيل في المنطقة.

وكانت إسرائيل ستتأثر لو أنتج الربيع العربي أنظمة ديمقراطية متماسكة سياسيا أمنيا، عسكريا، ولكن ذلك لم يحدث.

الفصل الثالث:

إستراتيجيات القوى الكبرى
تجاه منطقة الشرق الأوسط

لقد عملت الولايات المتحدة الأمريكية على تثبيت موقعها وتعزيز قيادتها النظام الدولي، وخلق فضاء شرق أوسط جديد كأحد أهم أهداف احتلال العراق 2003 خاصة في ظل غياب قوى دولية، فروسيا كانت منشغلة بالخلل الناجم عن انهيار الاتحاد السوفياتي وانشغلت بإصلاحاتها الداخلية، أما الصين ورغم مالها من قدرات إقتصادية، عسكرية تمكنها من القيام بدور فاعل لكنها عملت على زيادة تنمية قوتها الاقتصادية والمالية من دون التورط في صراعات في مناطق بعيدة، وركزت على التوازن الاستراتيجي في المناطق المحيطة بها بالدرجة الأولى، كما تبنت نهجا براغماتيا يعبر عن مصالحها الاقتصادية خاصة في إفريقيا.

إن السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط وتورطها العسكري في أفغانستان والعراق شكل عبئا على دورها الجيوستراتيجي، وذو نتائج سلبية، ما استغلته روسيا لاستعادة دورها كفاعل دولي يستطيع أن يوازي الدور الأمريكي على الأقل في منطقة الشرق الأوسط، حيث سعى بوتين الاستعادة أمجاد الانتشار السوفياتي جيواستراتيجيا، وقد تعاضمت في هذه الأثناء قوة الصين الاقتصادية وحقت معدلات نمو مرتفعة وصعودها كقطب يهدف لإزالة الأوحادية القطبية وهي الأخرى وجهت اهتمامها للمنطقة.

وبذلك ظهرت تغيرات جيواستراتيجية في النظام الدولي في ظل عودة الدور الروسي، وتنامي الدور الصيني وتراجع الدور الأمريكي خاصة مع وصول أوباما للحكم فتراجعت عن سياسة التدخل العسكري المباشر في منطقة الشرق الأوسط، وفي إطار كل هذه التفاعلات انطلقت أحداث الربيع العربي، فسعت كل دولة لتحقيق مصالحها في المنطقة، وهذا ما سيتناوله هذا الفصل أي السياسة الخارجية لكل من الولايات المتحدة الأمريكية، روسيا، والصين في منطقة الشرق الأوسط، ومواقفها من الحراك في تونس، مصر، اليمن، ليبيا وصولا إلى سوريا من خلال عرض العلاقات بين هذه القوى الكبرى وسوريا لفهم مواقفها المتبناة تجاه الأزمة السورية وما تداعيات ذلك على مسار الأزمة السورية.

المبحث الأول: الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط.

المطلب الأول: السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط.

1- ثوابت السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط:

هناك العديد من المصالح الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، تشكل ثوابت السياسة الأمريكية في المنطقة، تستمر بغض النظر عن من يتولى الحكم.

لفهم السياسة الخارجية الأمريكية تجدر الإشارة إلى أن هناك تيارين: تيار يرى أن أمريكا تشكل تجسيدا لمساوئ النظام الرأسمالي، وعلى رأسهم نعوم تشومسكي الذي يرى الولايات المتحدة الأمريكية مازالت هي نفسها قبل سقوط الاتحاد السوفياتي وبعده: «عسكرية وظالمة وذات سياسية ليبرالية زائفة في الفيتنام سابقا وفي الشرق الأوسط حاليا»، أما التيار الثاني يرون أن الولايات المتحدة ليست غير قابلة للهزيمة، لذا عليها إدارة قوتها المتناقصة في عالم يتزايد عدد سكانه، ويتصاعد فيه مستوى التنمية، وعوامل القوة الأمريكية متعددة منها اقتصادية لدى "بول كيندي"، وثقافية دينية لدى هانتجتون، ودبلوماسية عسكرية لدى كسنجر، وبرجنسكي¹.

لم تبرز أهمية منطقة الشرق الأوسط في التخطيط الإستراتيجي الأمريكي، إلا في أعقاب الحرب العالمية الثانية رغم أنها كانت تربطها بالمنطقة علاقات تجارية وسياسية من قبل، إلا أنها لم توليها اهتماما كثيرا حيث كانت الولايات تتخذ سياسة الحياد والعزلة، وفقا لمبدأ مونرو، حيث رفضت التدخل في صراعات المنطقة واهتمت فقط بالجوانب التجارية* ومع بداية عام 1908 ومع اكتشاف البترول في إيران بدأ الاهتمام الأمريكي بالمنطقة، ومع

¹ - شاهر اسماعيل الشاهر، أولويات السياسة الخارجية الأمريكية بعد 11 سبتمبر 2001 (دمشق: منشورات العبيدات العامة للكتاب، 2009)، ص.8.

* - عندما طالب اليونانيون الانفصال عن الإمبراطورية العثمانية 1821 طالبوا المساندة من أمريكا لكنها رفضت، و1832 رفضت عرض تركيا التي أرادت بيع جزيرة قبرص وبعض الجزر اليونانية، كما رفضت أمريكا المساهمة في شراء أسهم شركة قناة السويس لما عرضت للبيع

استنزاف احتياطات البترول الأمريكي في الحرب العالمية الأولى، زاد الاهتمام الأمريكي بالمنطقة، فظهرت مبادئ ولسون الاربعة عشر الذي نادى إلى حق الشعوب في تحقيق مصيرها، وهذا ما رحّبت به دول الشرق الأوسط التي كانت تأمل في تحقيق استقلالها¹، ومن ذلك الوقت توالى السياسات الأمريكية في الشرق الأوسط. رغم تباينها من رئيس لآخر، إلا أن هناك مبادئ ثابتة لا تتغير، وفي تلك التي تحمي مصالح الولايات وأهدافها في المنطقة وفيما يلي:

أ- **النفط:** سيظل يحتل النفط المرتبة الأولى ضمن مصادر الطاقة في العالم، وستبقى الولايات المتحدة الأمريكية المستهلك الأول للطاقة، وستظل تعتمد على النفط المستورد من الخارج إلى جانب إنتاجها المحلي، ومنطقة الخليج باعتبارها الأهم في إنتاج النفط العالمي حالياً ومستقبلاً تمثل أهم مصادر توفير واردات النفط الأمريكية خاصة مع ما يعرف بأزمة الطاقة في العالم، فتستهلك الولايات المتحدة 33% من الطاقة، و70% منه ينتج في الشرق الأوسط، والسعودية، العراق، الإمارات، الكويت تحتوي أراضيها على 57.7% من الاحتياطي العالمي مما يجعلها المسيطر الوحيد على إنتاج النفط في العالم طيلة قرن ونصف قرن، فقد جاء في تقرير لجنة الكونغرس أن حرمان الولايات المتحدة الأمريكية من نفط السعودية وحدها لمدة عام سيجترب عليه انخفاض إجمالي الناتج القومي الأمريكي بمقدار 272 بليون دولار وارتفاع معدل التضخم، فلا توجد دولة تضاهي السعودية من حيث أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية². حيث تقول كوندليزا رايس : «...إنّ المحرّك الفعال والحقيقي في فرض الديمقراطية الليبرالية على الشرق الأوسط هو النفط، وهو واقع ارتباط الولايات المتحدة بالطبقات الحاكمة السعودية منذ الحرب العالمية الثانية نظراً لاحتواء المملكة أكبر احتياطات النفط في العالم».

¹ - منصور ممدوح محمود، الصراع الأمريكي السوفييتي في الشرق الأوسط (القاهرة: مكتبة مدبولي)، ص ص. 69-72.

² - كامل، مرجع سابق، ص ص. 215-220.

ويقول نعوم تشومسكي: «لو لم يكن الشرق الأوسط يحتوي على معظم احتياطات الطاقة في العالم، لما اهتم به صانعو السياسات في عالمنا اليوم»¹.

فجوهر السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط في حماية مصالحها من خلال توفير الأمن لحلفائها لضمان استمرار تدفق البترول بطريقة مستقرة.

ب- أمن إسرائيل:

يعد أمن إسرائيل عنصراً ثابتاً في السياسة الأمريكية، لا يختلف باختلاف الحكومات حيث استمر الدعم الأمريكي لإسرائيل على مدى سنوات منذ إنشائها عام 1948، فقد صرح كارتر 1977: «إن علاقاتها بإسرائيل ذات طابع خاص، فلا يمكن لأي أحد على وجه الأرض أن يشك في إلزامنا الأول تجاه منطقة الشرق الأوسط هو ضمان أمن إسرائيل وحققها في البقاء الدائم، وحققها في العيش بسلام»، ومع إدراك الولايات على أن الخطر الأكبر على تدفق النفط يرتكز على الصراع العربي الإسرائيلي، لذا تعمل على إيجاد التسوية حفاظاً على مصالحها².

ج- محاربة الإرهاب:

ويمكن فهم هذا المبدأ في ظل مبدأ آخر وهو منافسون محتملون، أو أعداء محتملون فقد طرحت الولايات المتحدة الأمريكية سؤالاً وهو من سيكون بإمكانه مستقبلاً أن يشكل تهديد، أو يكون منافساً محتملاً للمهام الرئيسية للولايات المتحدة الأمريكية ولقد أشار العديد من المفكرين السياسيين والاستراتيجيين الأمريكيين إلى روسيا، والصين، والهند، والبرازيل في أمريكا اللاتينية، فقد قدم هنتجتون صراع الحضارات وبحث لوتفاك وتشويت منطقة الصراع

¹- نعوم تشومسكي، السلطان الخطير السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط (بيروت: دار الساقي، 2007)، ص.75.

²- ممدوح محمود، مرجع سابق، ص.82.

في التطور الآسيوي، وركز إمرسون قضية الإسلام الأصولي، ورأى الكثير من المنظرين أن الصين الناهضة هي قوة عالمية موازية ومنافسة، واعتبر هاس، أن التهديد لا يكمن في شخص بذاته، وإنما في اندفاع الأحداث وعدم القدرة على التنبؤ بالتطور العالمي، ورأى بريان إيتورد أن الفوضى السائدة في العالم الثالث تمثل أكبر تهديد للولايات. في حين رأى دافيد تاكر أن الصورة التقليدية للعدو يجب التخلي عنها فالعدو الجديد يتمثل في المقاتلين الهمج، الذين لا يحترمون القيود الحضارية، مستعدين للقيام بأي شيء...، نشأوا في ظل حرمان وفوضى ومخاطر بيئية، ومناطق انفجار سكاني: تكون أحوالهم الثقافية متدنية في البلاد الإسلامية الغنية بالنفط، وهم محاربون مستعدون للجوء إلى العنف.».

وحدهم "أنتوني ليك": «إنهم القوميون المتطرفون، والمغتصبون، القبليون والإرهابيون، وأصحاب الجريمة المنظمة، والمتآمرون، الذين لا يضعون اعتباراً لجيرانهم من الدول الأخرى»¹.

ولقد صنفوا هؤلاء الأعداء إلى:

- أعداء مباشرون: وهم المستهدفون بالحرب ضد الإرهاب الدولي، المنظمات الإسلامية الأصولية، منها تنظيم القاعدة، حركة طالبان، منظمات المقاومة الفلسطينية، حزب الله بالدرجة الأولى، وكل الدول التي تدعم وتؤوي مثل هذه التنظيمات والتي أطلق عليها "مايكل رندن" "سادة الإرهاب"، وفي العراق، إيران سوريا، المملكة العربية السعودية، حيث يطرح أن تكون إيران الهدف الأول: قامت بخلق وتدريب وحماية وتمويل ودعم أكثر المجموعات الإرهابية ... في العالم وكذلك

¹ - أناتولي أوتكين، (ت:أنور محمد ابراهيم ومحمد نصر الدين الجبالي)، إستراتيجية أمريكية للقرن الحادي والعشرون، (القاهرة: مطابع المجلس الأعلى للأثار، 2003)، ص ص. 29، 30.

التنظيمات السياسية الإسلامية الأصولية في الدول الإسلامية كباكستان وأندونيسا ودول آسيا الوسطى...

• **أعداء محتملون:** يشمل جميع التنظيمات السياسية، والدول التي ترفض الرضوخ للإدارة الإمبريالية، وتعد الحركة العالمية المضادة للعولمة، والقوى المدافعة عن البيئة والسلام العالمي، أعداء محتملون يشكلون خطرا مستقبلا يهدد أمن الولايات وحلفائها وخططهم للسيطرة على العالم.

• **الدول الكبرى:** هي التي تسعى لبناء نظام عالمي متعدد وترفض الرضوخ لمنطق نظام عالمي واحد، أي قيادة الولايات المتحدة الأمريكية وزعامتها..¹

من خلال ما قيل يتضح لنا أن دولا من منطقة الشرق الأوسط هي في خانة الأعداء المباشرين، المستهدفون بالحرب ضد الإرهاب هذا فقط للتوضيح أن هذه السياسة موجودة منذ زمن في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه دول المنطقة، ولم تتبلور مع أحداث 11 سبتمبر 2001.

بعد سقوط الاتحاد السوفياتي فقدت الولايات المتحدة الأمريكية عدوها التاريخي فاتجهت نحو البحث عن عدو بديل، تمثل بما أسمته أمريكا بالإرهاب، ولأسباب عديدة تمثل في الإسلام، والذي يشكل تهديدا للغرب وهويته وثقافته وحضارته، حيث اعتبر هنتجتون في صدام الحضارات أن الإسلام والمسلمين خاضوا حروبا وصراعات مع جيرانهم ومنافسيهم لذا هم خطر على الغرب فيقول: «ليس صحيحا أن الإسلام لا يشكل خطرا على الغرب وأن الإسلاميين فقط هم الخطر، ذلك أن تاريخ الإسلام خلال أربعة عشر قرنا يؤكد بأنه خطر على أي حضارة واجهها، وخاصة المسيحية»، ومن قبله صاغ "برنارد لويس" أطروحة مشابهة في مقال "جذور الغضب الإسلامي"، الذي يرى فيها أن أسباب الصدام، عناصر

¹ - الشاهر، مرجع سابق، ص. 98.

سياسية، حضارية وديمقراطية، واعتبر المسلمين كيانا حضاريا صاغ علاقته بالغرب بالسخط والعنف، والحق، واللاعقلانية¹، ومع أحداث 11 سبتمبر عززت هذه الطروحات، التي أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها المسؤولية الوحيدة على مكافحة الإرهاب ومنه أن حددت مبادئ جديدة في سياستها وجاءت بـ:

- **الحرب الاستباقية (الوقائية):** وهي تتضمن أن الولايات المتحدة ستشن أي هجوم في أي مكان في العالم ترى فيه تهديدا لأمنها، واستخدام كل الوسائل بما فيها القوة العسكرية، واستخدام القيم الأخلاقية تصنف الدول على أساس الخير والشر، ولكسب الشرعية الداخلية والخارجية عملت على تكريس مبدأ أن أمريكا لا تريد الحرب بل الآخر هو الذي يرغمها، أي هي في حالة دفاع شرعي عن النفس، ومبدأ شخصية العدو الكاذب المريض الكاره للشعب الأمريكي الذي يجب التخلص منه وإنقاذ العالم من شره (كصدام حسين)، ومبدأ الدافع الإنساني للتدخل الأمريكي الراعية لحقوق الإنسان والحرية، و... إلخ، وقد استطاعت تكريس هذه الفكرة لدى معظم سكانها حيث يعتقدون أن البيئة السياسية والفكرية العربية هي بيئة حاصنة وراعية للإرهاب والتطرف، والكارهين والمعادين للغرب، ويتم تصديرهم إلى المدن والعواصم الغربية للانتقام من أمريكا، والمصلحة الأمريكية تتطلب تغيير هذه البيئة، ومن ثم ترتيب البيت العربي (التنشئة)².

وتطرح الولايات المتحدة مبدأ آخر للتدخل وهو نشر الديمقراطية على أساس أن غيابها هو الذي أدى إلى ظهور التنظيمات المتطرفة والإرهابية، ولمحاربتها لابد من ديمقراطية العرب والمسلمين، حيث أن الحكام لم يتركوا مساحة للمشاركة الشعبية، وسيطروا

¹ - أحمد منصور، الإستراتيجية الأمريكية العالمية بعد سقوط الاتحاد السوفياتي المشروع الإمبراطوري (مركز الكاشف للدراسات الإستراتيجية، 2004)، ص.35.

² - الشاهر، مرجع سابق، ص.3.

على صنع واتخاذ القرار وصرف الأموال، ولا بد من الضغط لإجراء إصلاحات سياسية ولكن أي ديمقراطية تتحدث عنها أمريكا مع العلم أن الديمقراطية الحقيقية لوقامت لن تخدم مصالحها.

يقول "William Lind" أنه إذا قامت أنظمة ديمقراطية في البلاد العربية والإسلامية سيخسر الحكام الموجودون كراسيهم، ويجلس مكانهم قوى إسلامية قوية، لا ترى في الولايات المتحدة الأمريكية صديقا، وستتعامل مع إسرائيل بعداء عقدي وسياسي حاد، وستعمل على تطوير التقنية العربية، والمحافظة على ثرواتها¹.

فهل هذه هي الديمقراطية التي تريدها أمريكا أن تقوم في المنطقة، أم هناك ديمقراطية أخرى، مع العلم أن الولايات المتحدة الأمريكية داست على مبادئ الديمقراطية أكثر من مرة والذي تجلى في تدخلاتها العسكرية المختلفة، ولتحقيق هذه السياسة والمبادئ وضعت الولايات المتحدة عدة إستراتيجيات و خطط منها:

1. تفتيت الوطن العربي والعالم الإسلامي: لقد أوضحت السياسات الغربية المختلفة تجاه العرب أن المنطلق الحضاري يشكل أساس العداء الغربي للعرب والمسلمين، فالولايات المتحدة لن تسمح بقيام أي وحدة عربية-إسلامية لذا تعمل على تفتيت الدول العربية وإضعافها.

2. الحرص على تبعية القادة العرب: لنجاح سياسة التفتيت لابد من قائد تابع، مثلما عملت بريطانيا على إقامة حكومات عربية مرتبطة بها مباشرة، وموالية لها، تخدم مصالحها الشخصية، لا المصالح العربية الإسلامية ما أدى إلى تعثر الوحدة العربية، فحتى ولو يظهر حاليا أن الولايات المتحدة تسعى لتغيير حكام العرب فليس أنها

¹ - عبد الستار قاسم، الإستراتيجية الأمريكية الجديدة وانعكاساتها على العرب (البيرة: مركز البراق للبحوث والثقافة، 2004)، ص.291.

تغيير إستراتيجيتها، إنما ترى أنه لم يعد جدوى من بقائهم لا يصلحون، أي التكيف ما ما يطرأ من تغيرات في المنطقة.

3. العمل على تخلف العرب والمسلمين: يجب أن يبقى العرب والمسلمين متخلفين، ولا مانع أن يظهروا وكأنهم متحضرين وكأنهم يواكبون الحداثة، فهم متخلفون بتخلفهم العلمي والتقني والتكنولوجي، فكما هو واضح أن الجامعات العربية والإسلامية ليست مراكز تطور علمي وتقني، أو تغيير سياسي واجتماعي ، وإنما هي مراكز إصدار شهادات جامعية، ولا مانع أن يواكب العرب الحداثة فهو من أوائل المستهلكين للمنتجات الغربية الحديثة، والحكومات العربية من أكثر الحكومات تجسسا على شعوبها، والسيارات الفاخرة تصل إلى الأسواق العربية قبل أن تصل إلى المعارض الغربية، فلا إشكال أن يتوهم العرب أنهم يعيشون مع التطورات العالمية، ماداموا لا يساهمون في إنتاجها، وعلى هذا قامت السياسة الأمريكية.

4. ضرب كل دولة عربية مسلمة طموحة: تقوم السياسة الأمريكية على الإطاحة بكل دولة عربية طموحة تعمل بمعزل عن الإدارة الأمريكية، وتسعى لتحقيق استقلال حقيقي، أو تطوير علمي، أو أي مشروع من شأنه رفع شأن الأمة العربية الإسلامية أو يحقق الوحدة. ولهذا واجهت أمريكا المد القومي العربي، وتآمرت على مصر وضربت ليبيا والسودان وإيران وأفغانستان والعراق، فالحرب الأمريكية على العرب لم تبدأ منذ 11 سبتمبر 2001، فالولايات المتحدة الأمريكية لديها قائمة طويلة من الدول التي يتعين القضاء عليها، حيث يقول مستشار الدفاع "جون بايك" وأتباعه: «العراق ليست الفصل الأخير بل مجرد بداية»، فكلّ دولة من شأنها أن تحقق الوحدة مستهدفة من قبل أمريكا والطريقة هي التي ستختلف.

5. أمن إسرائيل: تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على إبقاء العرب والمسلمين تحت السيطرة من الناحية العسكرية حيث تضع قيود لتسلح الدول العربية، للحد من قدرتها على إمتلاك أسلحة متقدمة ذات تكنولوجيا عالية، حتى تتمكن إسرائيل التفوق عليهم سواء مجتمعين أو فرادى، وذلك وفق المنطق الأمريكي الذي يقول أن إسرائيل وجدت لتبقى، والعمل على خضوعهم لها، ويعترفوا بها ويقيموا علاقات معها، وكل من يرفض ويعارض ذلك سيتعرض للعقاب مع الوقت سواء كان شخصا أو تنظيما أو دولة، حيث استعملت الولايات نفوذها المالي والعسكري لتحقيق المصالح الإسرائيلية في المنطقة، وهذه الإستراتيجية قامت منذ وجود إسرائيل ومازالت قائمة¹.

6. تغيير الهوية والثقافة العربية والإسلامية: تعمل على الحد من خصائص الهوية الثقافية والدينية والحضارية لشعوب دول المنطقة، لما تحمله من خصائص تشكل عقبات وعراقيل ومخاطر على الوجود الأمريكي الغربي في المنطقة، حيث تسعى إلى التأثير في صانع القرار السياسي والقادة، والنخب المثقفة، وحتى الإنسان العادي بهدف خلق جيل يؤمن بالقيم الغربية، على أنها الضمان الوحيد لتحقيق العدل المساواة، الحرية، واستبدالها بالقيم الإسلامية العربية والثقافة الأمريكية تحقق المصالح الأمريكية والتي أطلق عليها "هانس مورجانتو" بالاستعمار الثقافي الذي هو أكثر أنواع الاستعمار خطورة وفعالية لتحقيق مصالح الدول الكبرى، حيث عدة تقارير ودراسات أن تغيير العقول يحقق الأهداف الإستراتيجية أكثر مما تحققه القوة العسكرية².

¹ - المرجع نفسه، ص ص. 288-290.

² - ممدوح محمود، مرجع سابق، ص. 84.

ومن الأساليب التي استخدمتها لذلك ما يلي:

- **العولمة:** والتي تقوم على إصطباغ العالم بصبغة واحدة، وتوحيد أنشطتها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية دون مراعاة اختلاف الأديان والثقافات والجنسيات والأعراق حيث تهدف العولمة لسيادة الاقتصاد العالمي الليبرالي الأمريكي، للهيمنة على النظام العالمي لأجيال طويلة ومن سياستها: الاقتصاد الحرّ، تبني برامج موسعة للخصخصة، التخلي عن التخطيط المركزي، إزالة الحواجز والقيود أمام حركة التجارة انتقال رؤوس الأموال والاستثمارات، وإنشاء التكتلات الاقتصادية.

- **الاستعانة بأجهزة الإعلام:** المرئية المسموعة، المقروءة، وبث القيم الغربية، وربط شعوب المنطقة بنمط الحياة الأمريكي على أنه النموذج الأكثر تأثراً وتقدماً، كما تعمل من خلاله على كسب الرأي العام العالمي وتبرير سياستها المختلفة.

- **الاهتمام بنشر وتوزيع الثقافة والأفكار الأمريكية والغربية وترجمتها للغة العربية** ونشرها في مختلف الدول العربية ومنها مؤسسة فرانكلين للنشر، التي قامت بتوزيع ونشر أكثر من 30 مليون كتاب أمريكي في دول الشرق الأوسط خلال 10 سنوات.

- **العمل على التبادل العلمي والمعرفي بين الولايات المتحدة ودول الشرق الأوسط وخلق كوادر، ومتقنين ذات توجهات موالية لأمريكا¹.**

2- مبادئ السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط خلال إدارة أوباما:

سنركز في هذا العنصر على السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط خلال إدارتي أوباما، ففي العهدة الأولى صاغ أسس سياسته تجاه الشرق الأوسط، والعهدة الثانية أعلن فيها أن مبادئه لن تتغير، وهي العهدة التي صادفت حدوث الربيع العربي.

¹ - المرجع نفسه، ص.85.

• **تحسين العلاقات مع العالم الإسلامي:** لقد صرّح أوباما أنه سيحاول إخماد العنف المتزايد بالمنطقة، ومعالجة الكره والنفور من قبل العرب والمسلمين تجاه الولايات المتحدة، الذي انعكس بالسلب على المصالح الأمريكية في المنطقة، حيث رأى أن سياسة بوش قد أضرت بهذه المصالح، وتنطلق إستراتيجية أوباما للتغيير من منظور أن الولايات المتحدة والعالم العربي الإسلامي تجمعهما مصالح مشتركة، حيث أنه من الضرورة إصلاح العلاقة الأمريكية الإسلامية، وأنه يسهل على إيصال حقيقة أن أمريكا ليست عدوا بل تريد خيرا للعالم الإسلامي. حيث أن إدارته ستستخدم لغة تتسم بالاحترام: «إذا نظرنا إلى المنطقة ككل، وبعثنا برسالة إلى العالم العربي والعالم الإسلامي بأننا مستعدون لبدء شراكة جديدة قائمة على الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة، فعندئذ على ما اعتقد تستطيع أن تحقق تقدما فعليا...ومهمتي في إيصال حقيقة أن الولايات المتحدة مصلحة في حيز العالم الإسلامي، وأن اللغة التي ستستخدمها ستكون لغة تتسم بالاحترام»، أي بعيدا عن سياسة الاستباقية والقوة فإدارة أوباما السياسة الخارجية الأمريكية ألغت إدارة سلفه بوش، والعمل على إلغاء سياسة الضريبة الاستباقية، وسياسة من ليس معنا فهو ضدنا، والقيام بالدعوة للحوار والدبلوماسية، والإصغاء، وتفهم القضايا العربية والإسلامية¹، يقول أوباما: «وظيفتي هي أن أنقل للشعب الأمريكي حقيقة أن العالم الإسلامي مليء بأشخاص رائعين يريدون ببساطة العيش كما يعيش هو، وأن يعيش أطفالهم حياة أفضل...ووظيفتي بالنسبة للعامل الإسلامي أن أنقل إليه أن الأمريكيين ليسوا أعداءه»².

¹ - نعييرات محمد حسين رائد وقضى أحمد حامد، "الثابت والمتغير في السياسة الخارجية الأمريكية في عهد الرئيس جورج بوش وانعكاساتها المتوقعة على سياسة أوباما"، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع.26. (جانفي 2012)، ص ص. 1-28.

² - anthony cordeman. The obama administration and US strategy : the first 100 day (center for strategic international studies,2009), p.6.

● **القضية الفلسطينية وضرورة التسوية:** لقد أعلن أوباما عن سعيه لحل الصراع العربي الإسرائيلي وهو يؤكد على مبدأ قيام دولتين كأساس لحل الصراع، والسعي للوصول إلى حل النزاع عن طريق المفاوضات، كما لم يختلف عن سابقه فيما يخص أولوية إسرائيل في السياسة الخارجية الأمريكية والدعم المطلق لبقائها وأمنها. واحتفاظها بتفوق نوعي على دول المنطقة في المهارات والقدرات العسكرية، حيث يرى أنه لا بدّ من المشاركة الفورية والمباشرة في دفع عملية التفاوض إلى الأمام وتأمين الظروف العربية والدولية بتأمين فرص نجاح المفاوضات، فلا يجب أن تستمر هذه الأخيرة إلى مالا نهاية، ويرى أن إقامة دولة فلسطينية سوف تخدم الأمن القومي الأمريكي، ويرى بضرورة إعادة النظر إلى المطالب العربية، وإعادة الاعتبار لمبادرة السلام التي طرحها الدول العربية.

● **مكافحة الإرهاب:** لقد أوضح أوباما أن النواحي الإيديولوجية لمكافحة الإرهاب هي عنصر هام للنجاح في ذلك وأكد أنه على يقين أن بعض الأعمال والمواقف التي اتخذتها السياسة الأمريكية أودت إحساسا لدى العديد من الأشخاص في الشرق الأوسط أن الحرب العالمية التي تقودها الولايات المتحدة ضدّ الإرهاب، متجهة ضدّ العرب والإسلام، وأكد أن الإدارة الأمريكية ستتوقف عن ترديد هذه العبارة، وذكر الحركات الإرهابية والجهادية بأسمائها، حيث رأى ضرورة التفريق بين الإسلام والإرهاب، وأنها ليست في حرب مع العالم الإسلامي بل تواجه فقط تلك المنظمات التي تتخذ من الإسلام ستارا لتبرير هجومها على المصالح الأمريكية.

● **التواصل مع جميع الأطراف:** لقد سعى أوباما لبدء مرحلة جديدة من البراجماتية والتواصل مع جميع الأطراف، فمثلا أمريكا لن تفتح حوارا مباشرا مع حماس، إلا أنّها ستعمل على الحوار مع الدول التي تعد داعمة سياسية لها، كإيران وسوريا، فيقول:

«أنا أعتقد جازماً أنه يستحيل علينا أن نفكر من منطلق النزاع الفلسطيني الإسرائيلي فقط ولا نفكر من منطلق ما يجري في سورية وإيران ولبنان وأفغانستان وباكستان فهذه الأمور كلها متداخلة». فتقوم إستراتيجية على ضرورة فتح أبواب الحوار مع أنظمة كإيران، وسوريا والعمل على احتوائها¹ فيرى أن إيران من أولوياته وضرورة التعامل مع برنامجها النووي مع التركيز على الحوار والدبلوماسية في البداية، إلا إذا رفضت إيران ذلك فستلجأ إلى العقوبات الاقتصادية، وكذلك بالنسبة للعراق فقد احتلت مكانة هامة لدى أوباما الذي يرى في العراق مفتاح تغيير السياسة الأمريكية في المنطقة بعدما أرهقت أمريكا عسكرياً اقتصادياً، فعمل أوباما على التخلص من سياسة بوش وذلك من خلال سحب القوات من العراق تدريجياً، كما أن الولايات المتحدة الأمريكية تتعامل مع كل الأطراف الأوروبيين، الصين، روسيا.

أما بالنسبة للديمقراطية ونشرها فيرى أوباما أنها ليست من أولوياته، إلا أنه تحدث عن وجود انتهاكات لحقوق الإنسان والحريات داخل الدول العربية، ويرى أن السلام والديمقراطية هي قضايا عربية يقع عبء إدراكها على الشعوب العربية بالأساس، واعتبر أن أمريكا قد بالغت في تدخلها لإيجاد حل لتلك المشكلات لذا هو سيبعد عن التوغل في قضايا الشرق الأوسط، ويكتفي بالحوار والدبلوماسية².

• **الطاقة:** لقد عملت إدارة أوباما على تبني خيارات مختلفة لتحقيق أمن الطاقة الأمريكي وذلك بالاعتماد على:

- **شق داخلي:** يركز على الاستثمار في الطاقة البديلة المتجددة والتنقيب على النفط والغاز الطبيعي في أمريكا.

¹ - نعييرات وأحمد حامد، مرجع سابق، ص ص. 347، 348.

² - علاء بيومي، باراك أوباما والعالم العربي (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2008)، ص ص. 112-114.

-شق خارجي: ويركز على تقليل الاعتماد على الطاقة المستوردة عامة ومن منطقة شرق الأوسط خاصة وتأمين مصادر الطاقة الخارجية التي تعتمد عليها وطرق إمداداتها لذا فإن عامل الطاقة قد تراجع في إدارة أوباما مقارنة بغيره (بوش الأب والإبن) وذلك لعدة أسباب منها:

معارضة أوباما سياسة بوش الخارجية، منها التدخل العسكري في العراق وأفغانستان الذي أثر بشكل كبير في الوضع المالي والاقتصادي الأمريكي، كما أنه في فترة أوباما من 2008-2012 لم تتعرض مصادر وامتدادات الطاقة الأمريكية لأي تهديد يستوجب التدخل لحماية أمنها الطاقوي، كما ركزت إدارة أوباما على الشق الداخلي لأمن الطاقة من خلال زيادة الاستثمارات في الطاقة المتجددة، والتقيب على النفط والغاز الطبيعي داخل الأراضي والسواحل الأمريكية، وقد نجح ذلك حيث تم الكشف عن كميات من الغاز والنفط في الغرب الأوسط الأمريكي، ومنه تم تقليل الاعتماد الأمريكي على الطاقة المستوردة، مع زيادة في الإنتاج والاحتياط، من الغاز والنفط الصخريين والحديث عن إمكانية تحقيق الولايات المتحدة الأمريكية استقلالية الطاقة، وإنهاء الحاجة وتحرير سياستها في الشرق الأوسط، حيث تشير توقعات إدارة الطاقة الأمريكية أن الولايات ستصبح دولة مصدرة عام 2035، ويتوقع أن يرتفع معدل إنتاج النفط الصخري الأمريكي إلى نحو خمس ملايين برميل يوميا في 2030 حيث ستمكن الولايات من تجاوز روسيا باعتبارها أكبر مصدر للغاز، وتتفوق على السعودية باعتبارها أكبر منتج للنفط بحلول 2020م، وستحقق الإكتفاء الذاتي من الطاقة في 2030م¹.

هذه أهم المبادئ التي ستعامل بها الولايات المتحدة الأمريكية في سياستها مع الشرق الأوسط، هذه في العهدة الأولى أما العهدة الثانية فقد صرح أوباما أنه لن يكون هناك تغيير

¹ - عبد العاطي عمرو، أمن الطاقة في السياسة الخارجية الأمريكية (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014)، ص ص. 11-14.

فالإدارة الأمريكية ستتشغل بالأزمة والإنعاش الاقتصادي داخليا، أما خارجيا ستواصل انشغالها بالمحور الآسيوي، وانشغالها الاستراتيجي سيكون على آسيا بدلا من العالم العربي وأوروبا، وستبقى العقوبات على إيران إلا أن تصبح أكثر استجابة لمطالب واشنطن وستستمر في دعمها لإسرائيل، وتحافظ على تفوقها العسكري على جيرانها العرب بغض النظر عن تجاوزاتها في الأراضي المحتلة، وستبقى الولايات المتحدة إدارتها من الخلف من خلال الحلفاء والعملاء في المنطقة العربية، ودول أخرى إذا اقتضى الأمر بدلا من تدخلها المباشر، ودعم الأنظمة التي تضع نفسها في خدمة السياسات الأمريكية وكذلك القيادة من الجو، حيث وسعت إدارة أوباما تدخلها العسكري من خلال توسيع المراقبة بالأقمار الصناعية وشن هجوم الطائرات دون طيار على الدول العربية متى اقتضت الضرورة، حيث أنشأت أول مركز قيادة في إفريقيا، ووضعت ذراعا أمنية خاصة متخصصة في الحرب الإلكترونية¹.

إن إدارة أوباما لم تولي أهمية لمنطقة الشرق الأوسط، كمن سبقه، وهذا ما سيظهر أيضا خلال التطرق إلى السياسة التي تبنتها الولايات وموقفها من الربيع العربي، ولعلّ هذا ما دفع المحللين والباحثين الأمريكيين الذين أكدوا على تراجع السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط ومنها "سوزان رايس" مستشارة الرئيسين للأمن القومي التي تقول: «...أنه حان الوقت لتراجع الولايات المتحدة، وتعيد تقسيم تصوراتها لمنطقة الشرق الأوسط...»، ولقد طرح "آرون دافيد ميلر" أسباب تراجع أهمية منطقة الشرق الأوسط في السياسة الخارجية الأمريكية وهي:

1. تضائل نشوب حرب باردة جديدة بين الولايات المتحدة ومنافسيها، روسيا والصين يكون الشرق الأوسط ساحتها.

¹ - مروان بشارة، "أهداف الولايات المتحدة واستراتيجياتها في العالم العربي"، سياسات عربية (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ع.1. (مارس 2013)، ص ص.20، 21.

2. انتهاء الحرب الأمريكية على الإرهاب، واعتماد الولايات المتحدة الأمريكية على الطائرات دون طيار لاستهداف عناصر الجماعات الإرهابية في المنطقة.

3. الولايات المتحدة لم تعد بحاجة لنفط الشرق الأوسط بعد ثورة النفط والغاز الصخري التي تمتلكها، والتي تغلبها عن نفط الشرق الأوسط.

4. إنهيار حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية بالمنطقة والتفوق النوعي الإسرائيلي على العرب. ولكن رغم هذا فإن الولايات المتحدة الأمريكية لا تستطيع الإستغناء كلياً عن منطقة الخليج، لأنها ستواجهها صعوبات كتغطية الحاجيات المتزايدة من الطاقة وستبقى دولة مستوردة لتغطية الفجوة بين حاجاتها والإنتاج المحلي لذا فالولايات قد تستطيع تقليل اعتمادها على نفط الخليج لكنها لا تستطيع الاستغناء عنه نهائياً، كما أن تكاليف استخراج نفط الخليج أقل تكلفة من استخراجة مقارنة من استخراجة في الأراضي والسواحل الأمريكية، خاصة أن الولايات دولة كبرى تتبنى سياسة المحافظة على احتياط وافر للمستقبل، لذا فهناك من الخبراء من يرون أن المنطقة مازالت تمثل أهمية لأمریکا، وأن هذا في إخفاقات للسياسة الخارجية لأوباما في المنطقة حيث قال "جون ماكين": «أوباما خذل الشرق الأوسط، والمصالح الأمريكية هناك»¹.

3-الموقف الأمريكي من الحراك في الشرق الأوسط:

لقد اتسم الموقف الأمريكي بالاختلاف والتباين، فقد تعاملت الولايات المتحدة مع كل حالة بمعزل عن أخرى، رغم أن الهدف كان واحداً في كل الدول والأسباب كانت كذلك، أي إسقاط أنظمة استبدادية، واستبدالها بأنظمة ديمقراطية ورغم أن موقعها كان تقريباً نفسه في الحالة التونسية والمصرية، إلا أنه اختلف في الحالة الليبية والسورية ويبقى عامل المصلحة

¹ - عبد العاطي عمرو، الأمة المستغنى عنها: السياسة الخارجية الأمريكية في تراجع (مركز الجزيرة للدراسات: 2013)، ص.6.

هو المحرك الرئيسي والموجه لمختلف المواقف التي اتخذتها إدارة أوباما تجاه دول الربيع العربي وهذا ما سيتم عرضه فيما يلي:

مع انطلاق التظاهرات في العالم العربي وصفتها الولايات المتحدة الأمريكية على أنها بداية حقيقية للتغيير في المنطقة، حيث وصف أوباما هذه الأحداث على أنها فرصة تاريخية، واعتبرتها "كلينتون" أن من شأنها تحقيق الأمن والاستقرار والديمقراطية في المنطقة.

-الموقف الأمريكي من الحالة التونسية: رغم العنف من جانب النظام التونسي، إلا أن الولايات الأمريكية تجاهلت التعليق عن الاحتجاجات التونسية في البداية، فأمريكا كانت متجاهلة ولم توجه النقد أو اللوم، ثم تحول موقفها إلى دعوة "بن علي" بالرحيل تقاديا لتفاهم الأوضاع، حيث مرّ موقفها بمراحل مرحلة البرود خلال الأسبوعين الأولين، وبعد فشل قوات الأمن التونسية من قمع هذه الاحتجاجات، وقيام "بن علي" بإنزال الجيش إلى الشارع صرّحت الإدارة الأمريكية عن احترامها لإرادة الشعب التونسي، ثم جاء موقفها بالمطالبة بغياب "بن علي" عن المشهد السياسي، ومطالبة الجيش بحسم الموقف والإستلاء على الحكم ووقف التدهور الأمني، ولقد برز القلق الأمريكي من صعود أحزاب سياسية ذات مرجعية دينية "الجماعات المتطرفة" فكان الموقف الأمريكي مدعما لحزب النهضة، الذي حاز على أغلبية المقاعد في البرلمان 37% في انتخابات 2011.

-الموقف الأمريكي من الحالة المصرية: ظلت العلاقات المصرية الأمريكية على المستوى السياسي تدور في إطار معاهدة السلام، فمن توقيع المعاهدة وحتى عهد أوباما تحاول الولايات الاستفادة من الدور الإقليمي المصري، وإقناع الدول العربية بالانخراط في العملية السلمية والتطبيع مع إسرائيل، ومع قيام الأحداث في مصر اتسم الموقف الأمريكي بالغموض والحذر والترقب حيث كان الموقف الأمريكي في البداية بعدم استخدام العنف ضدّ المتظاهرين، حيث ألقى أوباما خطابا أشار فيه إلى الاحتجاجات التونسية والإطاحة بين

علي، ولم يذكر الاحتجاجات المصرية: «إن الولايات المتحدة الأمريكية تدعم التطلعات الديمقراطية لكلّ الشعوب»، وكانت نقطة التحول في الإستراتيجية الأمريكية تجاه الحالة المصرية حدوث موقعة الجمل، حيث أعلنت أمريكا ضرورة تنحي مبارك وتسليم السلطة للمجلس العسكري الانتقالي حيث دعا أوباما الجيش لضمان عملية إنتقالية تتصف بالمصادقة ثم قال: «مصر لن تعود كما كانت وإن المصريين كذبوا فكرة أن العنف هو الوسيلة المثلى لتحقيق العدالة أي عدّلت أمريكا موقفها من الحذر إلى التأييد والإعجاب ومع صعود تيار الإسلام السياسي المتمثل في جماعة إخوان المسلمين هناك بعض الأطراف الأمريكية رحبت بمشاركتها في الحياة السياسية المصرية وأصوات أخرى في الكونجرس رفضت فكرة مشاركة الإخوان في السلطة.

وبعد 30 جويلية 2013، والإطاحة بحكم الإخوان المسلمين، وصفت الإدارة الأمريكية الأوضاع بالانقلاب العسكري، فظهرت الأصوات داخل الولايات المتحدة تطالب بوقف المساعدات المقدمة إلى مصر منها مجلس الشيوخ الأمريكي، فأوقفت إدارة أوباما شحن صفقات الأسلحة المتفق عليها مسبقا، وأوقفت تزويد أربع طائرات إف16 و12 طائرة أباتشي إلى مصر، وإلغاء مناورات النجم الساطع بين الدولتين التي كان من المقرر أن تجري قبل نهاية 2013. حيث أوقفت الإدارة الأمريكية المساعدات العسكرية الموجهة إلى مصر، إلّا أن العلاقات لم تصل إلى مرحلة القطيعة نظرا للعلاقة المتميزة بين البنتاجون وقيادات العسكرية المصرية، ومصالحها الأخرى، وكذلك مطالبة اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة عدم تقليص المساعدات العسكرية الذي قد يؤثر على أمن إسرائيل... إلخ وبعد انتخاب السيسي قرر أوباما استئناف المعونة وصفقات الأسلحة وأكد على أهمية العلاقات الإستراتيجية بين البلدين.

وفي إطار هذه الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية يقول "نعوم تشومسكي": «إنّ مصر وتونس والدول المثيلة لها لا تعد مصدرا أساسيا للنفط، فتوجد لها خطة يتم تطبيقها نمطيا فإذا كان لديك دكتاتورا مفضلا. يواجه مشاكل فقفا بجانبه حتى آخر مدى، ولكن عندما يستحيل الاستمرار في دعمه لأي سبب...، فقم بإرساله إلى مكان ما، ثم أصدر تصريحات رنانة عن حبك للديمقراطية، ثم حاول الإبقاء على النظام القديم ربما بأسماء جديدة.»

وهذا حقيقة ما حدث في الحالة المصرية والتونسية التي كانت تربط الولايات المتحدة الأمريكية علاقات وطيدة مع الأنظمة الدكتاتورية، قبل الأحداث، والتي تخلت عنهم، وأعلنت استعدادها للقيام بعلاقات مع أي نظام آخر مهما كان، طالما يحافظ على مصالحها، وهذا ما يتنافى مع المبادئ التي تدعمها كالديمقراطية وحقوق الإنسان فهي تهتم بولاء الحكام الذين يحققون مصالحها ولا يهمها إذا كان مستبدا أولا، وإن اقتضت مصلحتها باستبدال أحد الحكام استبدلته، وإن اقتضت مصلحتها في الضغط لإجراء إصلاحات أو تخفيف أساليب القمع والقهر فعلت، فأمريكا غير معنية بالشعوب، بل معنية بالمصالح¹.

-الموقف الأمريكي من الحالة اليمنية: اتسم الموقف الأمريكي بالتناقض حيث عارضت الولايات المتحدة الأحداث بحجة أنها تهدد الاستقرار وأمن المنطقة، رغم سلمية المظاهرات ومطالبها والتي تتوافق مع ما تدعو إليه الولايات في المنطقة من حرية وديمقراطية... إلخ ومع توتر الأحداث إنحازت الولايات إلى صفوف المتظاهرين، كما أشاد أوباما بالمبادرات التي قدمها الرئيس اليمني في 2011، التي تضمنت خطوات إيجابية وإصلاحات هامة، وقد أعلن "جايمس كلابر" مدير الاستخبارات الوطنية الأمريكية أن هذه التحديات السياسية والأمنية هي أكبر تهديد لليمن من الحرب الأهلية 1994، كما أن تدهور الحكم سيمثل

¹ - أحمد أمدي إبراهيم أمدي، "الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط دراسة حالة غزو العراق - ثورات الربيع العربي"، في:

تحدياً للمصالح الأمريكية والإقليمية. منها سيجعل تنظيم القاعدة في وضع أفضل يسمح له بتدبير وتنفيذ اعتداءات، ولقد دعت أمريكا اجتماع الأطراف كأفضل خيار لحل الأزمة فظهر الانحياز الأمريكي نحو الاستقرار على حساب حريات وطموحات الشباب اليمني لتحقيق نظام ديمقراطي، وبعدما أعلن "عبد الله صالح" أن الاحتجاجات اليمنية هي أجنداث وضعتها الولايات المتحدة، حدث تحول في الموقف الأمريكي، فعقب مجزرة جمعة الكرامة طالب أوباما بمحاسبة المسؤولين المتورطين في هذه الهجمات، وأيدوا طموحات المواطنين في التغيير السياسي وأنه على الرئيس مغادرة منصبه، ومع زيادة العنف والقمع وارتفاع عدد الضحايا، زاد الضغط الأمريكي على الرئيس اليمني، لبدأ عملية الانتقال السلمي للسلطة ومع تدخل مجلس التعاون الخليجي لحل الأزمة رحبت الولايات الأمريكية بذلك، وأعلنت أن هذا لا يعني ابتعادها عن مراقبة الأحداث ومساورها، فالموقف الأمريكي اتسم بالكثير من الغموض¹.

-الموقف الأمريكي من الحالة الليبية: في بداية الأحداث عارض الكونغرس الأمريكي التدخل العسكري في ليبيا، بسبب الأزمة الاقتصادية في أمريكا والتكاليف الكبيرة، فالمواطن الأمريكي غير مستعد لاتفاق من أجل نجاح التظاهرات الليبية خاصة بعد التدخل في العراق وأفغانستان، فكانت إدارة أوباما منقسمة بشأن ذلك، حيث أعرب وزير الدفاع "روبرت غيتس" عن تحفظات التدخل العسكري في ليبيا، إلا أن هناك عدة أمور شجعت تدخلها منها رغبة بعض الدول العربية برحيل القذافي منها السعودية، والتأييد من جامعة الدول العربية كما أن هناك رعايا أمريكيون موجودون في ليبيا أخذتهم أمريكا بعين الاعتبار، وبعد أن تم إجلائهم اتخذت الولايات موقفها من خلال دفع الأمم المتحدة لإصدار قرار 1970 الذي يفرض عقوبات على نظام القذافي، وتجميد الأرصدة (حوالي 30 مليار دولار من الأصول الليبية

¹- نهال أحمد سيد أحمد ابراهيم، "تحولات السياسة الخارجية الأمريكية في دول الربيع العربي دراسة حالة (اليمن- سوريا)"، في:

في الولايات المتحدة)، وخطر بيع الأسلحة، ومنع السفر، ودعوة المحكمة الجنائية الدولية بالتحقيق بالجرائم التي ارتكبها القذافي ضد شعبه، حيث قال أوباما: «إنّ القذافي فقد شرعيته، ولا بدّ أن يرحل»، «إنّ حكومة القذافي يجب أن تحاسب بسبب استمرار انتهاك حقوق الإنسان، والمعاملة الوحشية لشعبها».

وتدخلت الولايات المتحدة عن طريق حلف الناتو، حيث بدأ الحلف عمالياته بقيادة الولايات، فرنسا، بريطانيا، بعد صدور قرار مجلس الأمن والسماح بالتدخل العسكري في ليبيا، كما يبرز دور الإعلام الأمريكي الذي سعى إلى إقناع الرأي العام بوحشية النظام الليبي في حق شعبه، وتدخلها لنشر الديمقراطية والحرية، إلا أن السبب وراء التدخل هو تعارض سياسة القذافي مع أمريكا، ومنها دعمه لحركات التحرر في أمريكا اللاتينية وإيرلندا ونفذه في إفريقيا من خلال الاستثمارات، حيث تحدث عن مشروع توحيد العملة الإفريقية وإقامة قوة عسكرية إفريقية موحدة لفض النزاعات داخل القارة، وكل ذلك شكل تهميش للولايات في القارة الإفريقية.

لقد كانت القوة الأمريكية المسؤولة والمنفذة للعمليات العسكرية رغم أن أوباما صرّح أن الدور الأمريكي كان محدوداً، إلّا أنّ التكاليف الأمريكية بلغت أكثر من مليون دولار فتدخل الناتو جعل أمد هذه الأحداث أطول، مما كانت ستكون عليه الحال بلا التدخل وتضاعف عدد الضحايا سبع مرات، وانتهاكات لحقوق الإنسان، فتدخل الناتو أطل أمد الحرب لسبعة أشهر أخرى، وسبب في مقتل نحو سبع آلاف قتيل، بالإضافة إلى تزويد قوى غربية قوى المعارضة بالأسلحة والذي انتشر في كل مكان ووصل إلى الجماعات المتطرفة وهو ما يفسر الوضع الفوضوي الذي آلت إليه ليبيا الآن¹.

¹ - أحمد، مرجع سابق.

إن المواقف الأمريكية من الحراك في الشرق الأوسط ارتبط بمصالح إستراتيجية، اقتصادية، ولم يكن لأسباب إنسانية ديمقراطية.

المطلب الثاني: تأثير السياسة الخارجية الأمريكية على مسار الأزمة السورية.

سيتم في هذا المطلب التطرق إلى العلاقات الأمريكية-السورية وتأثيرها على الموقف الأمريكي من الأزمة السورية، وتداعيات ذلك على مسار الأزمة.

1-العلاقات الأمريكية-السورية:

لقد أولت أمريكا اهتماما خاصا بسوريا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، نظرا لأهميتها السياسية والإستراتيجية، خاصة بقربها من منابع النفط، وكونها دولة جارة لإسرائيل الذي من أولويات أمريكا الحفاظ عليه، وبدأ التوجه الأمريكي إلى سوريا من خلال البعثات التبشيرية في بلاد الشام وتعزيز نشاطها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، حيث تدرك أمريكا أن التعليم والتبشير أفضل طريقة للتغلغل في سوريا والمنطقة، ولقد طرحت الولايات المتحدة عدة مشاريع لتضم سوريا إلى دائرة نفوذها ومنها مشروع قيادة الشرق الأوسط 1951، وحلف بغداد 1955، ولكن مجيء الحكومات الوطنية في سوريا التي إنتهجت النهج الحيادي الإيجابي وخدمة الأهداف الوطنية بدلا من الانحياز لأحد المعسكرين، اعتبرت الولايات المتحدة ذلك أن سوريا تشكل تهديدا مباشرا لها، خاصة مع رفضها لكل المشاريع الأمريكية حيث فسرت أمريكا ذلك على انحياز سوريا للشيوعية فمارست بذلك ضغوطات عليها ومؤامرات داخلية لزعة الحكم في سوريا، ومنها اغتيال رئيس أركان الجيش السوري المالكي 1955 بدعم من المخابرات المركزية الأمريكية حسب التصريحات السورية رغم إنكار أمريكا لذلك، كما عملت على تنظيم مؤامرات خارجية مع دول جارة لسوريا كتركيا. وبعدها رفضت سوريا مبدأ إيزنهاور الذي اعتبرته تمديدا لحلف بغداد، فمارست أمريكا مؤامرات ومنها تدخلها في الإطاحة بالحكومة السورية 1957 بالتعاون مع المتآمرين، ما أدى إلى توتر العلاقات بين البلدين، وقد عملت الولايات المتحدة على عزل سوريا في

المنطقة وتشويهها بالإدعاء في وقوعها في سيطرة الشيوعية ووصول الأسلحة السوفيتية إليها، وتشكل تهديدا على جيرانها فقامت سوريا بتوثيق علاقاتها مع الاتحاد السوفيتي ومصر التي دعمتها ضد التهديدات الأمريكية¹.

ومع سقوط الاتحاد السوفيتي فقدت سوريا حليفها الذي كانت تستند عليه في مواجهة المخططات الأمريكية وإسرائيل فوجدت نفسها أمام المشاريع الأمريكية وأظهرت رغبة في تحسين العلاقات مع أمريكا، ومنه استجابتها لدعوة بوش الأب للمشاركة في مؤتمر مدريد للسلام.

وبعد أحداث 11 سبتمبر ظلت العلاقات بين البلدين متوترة، فقد أطلقت أمريكا تهديدات في مختلف التصريحات الصادرة عن المسؤولين الأمريكيين، فقد صرّحت أمريكا بإمكانية قيامها بعمل عسكري ضد سوريا، كما أضاف وزير الخارجية بولتون سوريا إلى محور الشر. وقام الرئيس بالتصديق على قرار الكونغرس بعدم تقديم الرعايا السوريين تأشيرات الدخول للولايات المتحدة الأمريكية، وإصدار قانون محاسبة سوريا، وكانت إسرائيل تعمل جاهدة بزج سوريا ضمن القائمة الأمريكية لمحاربة الإرهاب ومنه أن زعمت شراء سوريا أسلحة من صدام حسين، فحذرت الولايات المتحدة الأمريكية الدول التي تسعى لامتلاك السلاح غير التقليدي وعلى رأسها سوريا.

وهناك جملة من العوامل والقضايا كانت سببا في توتر العلاقات الأمريكية-السورية وعلى رأسها:

أ-سوريا وإسرائيل: في حرب 1967 احتلت إسرائيل المرتفعات السورية الجولان، التي لا تزال سوريا تطالب بها، وتطالب بإجلاء إسرائيل من كلّ الأراضي العربية المحتلة، قالت "كوندوليزا رايس" إن سوريا: «عقبة أمام التغيير والسلام في المنطقة»، فهي عارضت

¹ - فهد عباس السبعلاوي، العلاقات السورية الأمريكية (الأردن: دار غيداء للنشر، 2013)، ص ص. 252-254.

مشروع الشرق الأوسط، وتلعب دوراً سلبياً في عملية السلام، ورفضت خريطة الطريق لإدارة الصراع العربي الإسرائيلي، كون هذه الخريطة جاءت من أمريكا وإسرائيل ولم تشارك فيها الأطراف العربية، كما أنها تهدف للتسوية على حساب العرب، وإقامة دولة فلسطينية مؤقتة، وكذلك دعمها لحزب الله ضد إسرائيل، وحركة حماس، لذا تعتبرها أمريكا تدعم التنظيمات الإرهابية التي تهدد حليفها إسرائيل.

ب- سوريا وفلسطين: لقد شغلت القضية الفلسطينية مكانة هامة لدى صانع القرار السياسي السوري، فعند تولي حافظ الأسد السلطة 1970، أكد على التمسك بفلسطين وعروبتها باعتبارها جزء من الوطن العربي، حيث حدد السياسة الخارجية السورية تجاه وحدات النظام الدولي على أساس هذه القضية، ونفس الأمر مع بشار الأسد الذي نادى بضرورة تحرير الأراضي العربية المحتلة وإقامة دولة فلسطين حيث اعتبر الصراع العربي الإسرائيلي لب الصراع في المنطقة، وهو جوهر الأمن القومي¹.

ج- سوريا والعراق: منذ بدء الحرب على العراق، كانت سوريا معارضة لذلك واعتبرته احتلالاً وغير شرعي، ورفضت التواجد الأمريكي في العراق بعد سقوط النظام وقالت أن العراق يستطيع أن يتولى قيادة بلاده وشعبه أولى بذلك كما صرّحت أن أمريكا سببا في حدوث الفوضى وسببا في زيادة التوتر على أنها تعمل على عدم الاستقرار في المنطقة².

د- سوريا ولبنان: تعتبر سوريا لبنان جزء لا يتجزأ منها، وتخشى من تأثير الأحداث اللبنانية عليها، فأى تدخل أجنبي في لبنان سيلحق الضرر بها، وساعدت لبنان في مواجهة المحاولات الإسرائيلية لاختراقها وتدعم حزب الله اللبناني ضد العدو الإسرائيلي.

¹ - خيام محمد الزغبى، "العلاقات السورية الأمريكية: بين التآزم والانفراج"، في:

www.ahewar.org

² - مروان قبلان: "الثورة والصراع على سوريا: تداعيات الفشل في إدارة لعبة التوازنات الإقليمية"، سياسات عربية، ع.18، (جانفي 2016)، ص.68.

هـ-سوريا وإيران: تربط البلدين علاقات سياسية وإستراتيجية وثيقة منذ قيام الثورة الإسلامية في إيران في 1979 ومع تدخل أمريكا في الكويت، ثم العراق أدركت سوريا وإيران أنها في خطر فوحدت ردود أفعالها حيال السياسات الأمريكية.

و-سوريا ومشاريع أمريكا في الشرق الأوسط: لقد أكّدت سوريا رفضها لإستراتيجية التي تتبناها أمريكا في الشرق الأوسط والتي تسعى من خلالها للهيمنة على الدول العربية وشعوبها لخدمة إسرائيل ووجوده وتوسعه، وأن هذه المشاريع لا تهدف للديمقراطية ولا التنمية ولا توسيع الفرص الاقتصادية، إنما ترتب لأنظمة عربية موالية لأمريكا والدليل على ذلك هي وصول حركة حماس للسلطة حيث رفضت أمريكا الاعتراف بها والتعامل معها.

لقد نتج عن رفض سوريا التعامل مع المطالب الأمريكية، ومنها وقف التعامل مع المنظمات الفلسطينية الموجودة في دمشق وإغلاق مكاتبها، وإنهاء الدعم السياسي والمادي لحزب الله... إلخ، أن يقرّر مجلس النواب الأمريكي بضغط من اللوبي الصهيوني في 2003، مشروع قانون محاسبة سوريا، بفرض عقوبات اقتصادية عليها وممارسة ضغوطات أخرى، فأعلنت سوريا عن تغليب لغة الحوار في التعامل مع أمريكا ورغبتها في التعاون معها في كافة القضايا، إلا أنّها أكّدت على تمسكها بسياستها تجاه القضايا المحورية والتي تمس بأمنها القومي، حيث قال وزير خارجية سوريا أن بلاده مستعدة للتعامل مع واشنطن إذا كانت مطالبها معقولة تصب في خدمة استقرار الوضع العراقي، والفلسطيني والسوداني.

وفي سنة 2004 فرضت أمريكا عقوبات اقتصادية على سوريا في إطار قانون محاسبة سوريا لعدم وفائها بالتزاماتها فيما يخص التعاون لمنع تسلسل مقاتلين العراق عبر أراضيها، وعدم إغلاقها مكاتب التنظيمات الفلسطينية، وردّت سوريا في تصريح لرئيس

الوزراء: «إن فرض الولايات المتحدة الأمريكية عقوبات على بلادنا لن تجدي نفعا في تغيير مواقفنا».

ونفس الشيء مع إدارة أوباما الذي جدد العقوبات الاقتصادية التي فرضتها الإدارة السابقة، ولنفس الأسباب السابقة وانتقدت سوريا سياسة أمريكا التي رفعت راية العمل والحق عند مساندتها لإسرائيل في الممارسات اللاإنسانية والمذابح الجماعية التي ارتكبتها في لبنان 2006، وغزة 2009، وخرقها للمواثيق والأعراف الدولية¹.

من خلال كلّ ما قيل يتوضح أسباب توتر العلاقات بين البلدين، فكانت سوريا تشك دائما في مصداقية ونزاهة في عملية السلام، وتعتبر إسرائيل الحاجز أمام العلاقات السورية الأمريكية، وكلّ هذه المسائل لعبت دورا هاما في تحديد الموقف الأمريكي تجاه الأحداث في سوريا أثناء الربيع العربي، وهذا ما سيتم عرضه في ما يلي:

2-الموقف الأمريكي من الأزمة السورية:

مثلما أوضحنا في العنصر السابق أن العلاقات الأمريكية-السورية يشوبها التوتر والقلق، فذلك جاء موقفها من الأحداث في سوريا مليئة بالتوتر، فقد اتسم موقفها بالتردد والغموض، ففي البداية لم يتعدى الموقف الأمريكي الكلام، فقد طالبت أمريكا الأسد بوقف العنف ولم تطالبه بمغادرة السلطة، وهذا ما تناقض مع موقفها من مصر، وتونس وليبيا التي طالبت بها الرؤساء بالتناحي عن السلطة، وهذا ما يؤكد أن الربيع العربي ليس متساوي في حسابات صانع القرار السياسي الأمريكي، أي التعامل مع كلّ حالة حسب ما تقتضيه المصلحة الأمريكية في كلّ دولة، لقد أعلنت الولايات المتحدة تحذيرا للأسد في اللجوء إلى استخدام الأسلحة الكيماوية، ورغم ذلك فقد تم استخدامه فظهرت الرغبة الأمريكية في التدخل العسكري لكنها تراجع، فشاركت الولايات المتحدة بجانب دول أخرى بفرض عقوبات على

¹ - الزغبى، مرجع سابق.

سوريا، كتجميد أموال كبار الشخصيات، وفرض حظر على مشتريات السلاح كما سعت إلى الوصول إلى تسوية عبر المفاوضات بين حكومة الأسد والعديد من مجموعات المعارضة، فجاءت أغلب التصريحات الأمريكية أنه لا يوجد حل عسكري للصراع السوري من منطق أن التدخل العسكري قد لا يؤدي إلى استقرار أكبر في سوريا بل سيمهد الطريق لمزيد من الصراع، ومع حدوث تغيرات على الساحة السورية كنمو تنظيم الدولة داعش وتنظيمات أخرى، وضعف قوات الأسد، والتدخل العسكري الروسي، تحولت سياسة الولايات المتحدة وخطابها تجاه سوريا مع تأكيدها على أن إنهاء الصراع يجب أن يكون بطرق سلمية، والتفاوض، وصرحت أمريكا أن الأسد فاقد الشرعية ولا بدّ أن يرحل، فبدأت إدارة أوباما تتبنى التدخل المحدود في الصراع السوري، فطلبت من الكونغرس تفويضا لتمويل وتدريب وتسليح قوات سورية بعد التأكد من أنها تحارب الإرهاب. ولقد وضع المسؤولون في الدفاع الأمريكي السيناريوهات المحتملة للصراع السوري والتأكيد على أن الأفضل هو الانتقال السياسي، حيث صرح وزير الدفاع كارتر: «أن السيناريو الأفضل للسوريين هو ذلك الذي يترتب عليه اتفاق أو عمل منظم لإزالة الأسد، بالإضافة إلى حدوث اندماج بين قوى المعارضة مع عناصر بقايا أجهزة الدولة السورية والذين سيكونون شركاء لوشنطن ضد تنظيم داعش والمتطرفين الآخرين»¹. إلا أن هناك مجموعة من المحددات توضح الموقف الأمريكي من الأزمة السورية وهي:

لقد وضعت الولايات المتحدة بعض المحددات تستند عليها لتبرير وتوضيح موقفها تجاه سوريا منها ما يلي:

أ-عدم الرغبة في التورط في حروب أخرى في المنطقة بعد العراق وأفغانستان وليبيا:
لقد كلف التدخل الأمريكي في العراق بنفقات باهضة سياسية اقتصادية، حيث بلغت

¹ - أحمد سيد أحمد إبراهيم، مرجع سابق.

تكلفة التدخل إلى 800 مليار دولار، وعلى المستوى البشري حوالي خمس آلاف قتيل و32 ألف جريح أمريكي، كما أن الهدف من التدخل لم يتحقق بالإضافة إلى تدمير البنى التحتية في العراق والدمار الكبير، ونفس الشيء بالنسبة لأفغانستان فرغم القوات الأمريكية إلا أن طالبان وتنظيمات أخرى سيطرت على 40% من إقليم البلاد. كما تدخلت في ليبيا ضمن قوات الناتو، والتي لم تحقق أهداف التدخل بل زاد الأمر تعقيدا.

ب- العمل على أمن إسرائيل: إن أمن إسرائيل لم يختلف في ظل الأزمة السورية، حيث جاءت التحركات الأمريكية كلها لصالح إسرائيل ومصالحها، حيث عملت الولايات على منع وقوع ترسانة الأسلحة البيولوجية والكمالية في أيدي عناصر متطرفة، أو في يد حزب الله وإيران، ومنه أن جاءت المبادرة الروسية لأمريكا وإسرائيل من أجل نزع السلاح الكيماوي السوري، بعد أن استخدمه الأسد في 2013، حيث جاء هذا الاتفاق كمكسب استراتيجي لإسرائيل، للتخلص من قدرات الردع التي امتلكتها سوريا وعدم استخدامه مستقبلا لمواجهة إسرائيل لتضل متفوقة عسكريا، وضمان استمرار سيطرتها على الجولان.

ج- تزايد نفوذ الدول الكبرى في سوريا: روسيا والصين، فلم تكن الولايات المتحدة الأمريكية الدولة الوحيدة التي تتحكم في مسار الأحداث في سوريا، فروسيا والصين تربطهما علاقات ومصالح عديدة مع النظام السوري. استخدمتا كل قوتها ضد أي دعوة لتغيير النظام في سوريا بالقوة، لأنه سينعكس على مصالحها الإستراتيجية ومنه أن استخدمت روسيا والصين حق الفيتو لعاقة قرار مجلس الأمن الذي دعا الأسد للتحي عن السلطة بعد ارتكابه العديد من المجازر تجاه الشعب السوري¹.

¹ - لبنى عبد الله محمد علي يسن عبد الله، "السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الأزمة السورية منذ 2011-2014"، في:

DemocraticArabicCenter.de/p=10669

ولقد تبنى العديد من المحللين والباحثين هذه المحددات في تحليلاتهم واعتبروها المنطلق الذي صاغت الولايات المتحدة الأمريكية موقفها من الأحداث في سوريا.

إلاّ أنّ هناك من المحللين الذين يرون أن أمريكا قصدت لعبة التفكيك والإضعاف في سوريا، وذلك دون تكلفة وأعباء مالية واقتصادية، أو تدخل مباشر لذا فمحددات الموقف الأمريكي في سوريا أساسية:

- استمرار الصراع لأطول فترة ممكنة مما يؤدي إلى ضرب النسيج السوري وزيادة الدم والطائفية والعرقية.

- استمرار الصراع لدرجة تدمير الاقتصاد والبنى التحتية ووسائل الإنتاج.

- استمرار الصراع بما يدمر الدولة المركزية والجيش المركزي، دون أن تحل مكانة قوة ثورية مركزية فاعلة، وهذا سيسمح نشوء قوى طائفية وعرقية تسيطر على مساحات جغرافية في ظل سلطة مركزية ضعيفة، وضمان أمن إسرائيل واستقراره.

من خلال ما قيل يتضح أن المحددات الأولى كعدم الرغبة في التورط في حروب أخرى في المنطقة، أو تزايد النفوذ الروسي-الصيني هو سبب تراجع دور أمريكا ومساهمتها في الأزمة السورية مبالغ فيه وفاقد للمصداقية، إلاّ أنّ الطرح الثاني أكثر قبولاً حيث أن السياسة الأمريكية لم تكن جادة في محاولاتها لإسقاط النظام، ولا حماية الشعب السوري، ولو توجد رغبة حقيقة لدى أمريكا لوقف الصراع وحل الأزمة، لأنها لو رغبت في ذلك لديها كل المؤهلات.

ولعل المواقف الأمريكية تعزز الطرح الثاني أكثر، وذلك من خلال:

- إن أمريكا عملت من جهة على حكم قوى المعارضة في مطالبتها بإسقاط النظام لكنها لم تسمح بتسليحها بأسلحة نوعية تؤدي إلى إسقاطه ومنعت الدول الداعمة للمعارضة

كقطر والسعودية وتركيا من توفير السلاح، ولكنها من ناحية أخرى سكنت عن الدعم الإقليمي (إيران، حزب الله) للنظام السوري ودعمه بالسلاح.

- لقد وقّرت أمريكا الحماية للقوات الكردية السورية (وحدات حماية الشعب)، التي مدّت نفوذها على مناطق واسعة في الشمال السوري، وهذا ما كرّس الهيمنة العرقية لأحد مكونات الشعب السوري دون غيره من قوى المعارضة وهذا ما يتفق مع خطط أمريكا للتفتيت والتقسيم على أساس طائفي عرقي.

- تراجع أمريكا عن التدخل في سوريا، بعد استخدام النظام السوري لغاز السارين الذي أدّى إلى مقتل 1.400 مدني في الغوطة ومنها أسباب كالتدخل الأمريكي يكون فقط لحماية الأمن القومي الأمريكي، وما لا يحل بالتفاوض لا يحل بالقوة، وعدم تعريض الجنود الأمريكيين للخطر وفق مبدأ "مسؤولية الحماية"، إلا أنّ لديها حوالي 4.600 جندي في العراق يواجه داعش، وهذا يدل على عدم وجود رغبة في التدخل في سوريا. كما عارضت أمريكا استخدام السلاح الكيماوي وأنه ضدّ الإنسانية، ولم تأبه لمقتل الشعب السوري بوسائل أخرى. فالسلاح العادي قتل أضعاف السلاح الكيماوي.

- أما بالنسبة للتواجد الروسي لم تمنع أمريكا ذلك، بل ترغب في تورطه في سوريا لزيادة غضب وعداء شعوب المنطقة لها كما أن روسيا لم تمس بمصالح إسرائيل في المنطقة، حيث قام رئيس الوزراء الإسرائيلي "نتنياهو" بزيادة موسكو في 07/06/2016 وسلمه الروس هدية تمثلت في دبابة إسرائيلية من نوع "باتون 48" غنمها السوريون من الإسرائيليين في 1982 في معركة السلطان يعقوب¹.

¹ - محسن محمد صالح، "السياسة الأمريكية في سوريا.... جذران الدم"، في:

www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2016/08/10

- لقد مشت أمريكا مع ما سوقه النظام السوري وحلفاؤه 'محاربة الإرهاب' وتصوير المشكلة أنها إرهاب، وليست الشعب السوري هو الذي يطالب بحقوقه، فأعلنت أمريكا محاربة داعش والنصرة واشترطت في تدريب المعارضة مقاتلة داعش، وليس النظام السوري، وخرج النظام السوري المستفيد من رسم صورة المعارضة كإرهاب ليبرر بقاءه وأفعاله.

- أما مسألة داعش فتحمل جدلا كثيرا في السياسة الأمريكية، فرغم ما تملكه أمريكا من قدرات كبيرة عسكرية، تعلن أنها بحاجة لسنوات لمحاربة هذا التنظيم، حيث قال "جيمس تري" 2014، أن الحملة العسكرية على داعش بحاجة لثلاث سنوات على الأقل للقضاء عليه، وقال "جون كيري" في 2015: «نحن بحاجة من ثلاث إلى خمس سنوات لهزيمة داعش (هذه نفسها أمريكا التي احتلت العراق في ثلاث أسابيع)، وهذا يعني أن أمريكا تريد الإبقاء على داعش لأطول فترة ممكنة للوصول لأقصى درجة من التطرف والدم، وتهدف أيضا لإنهاك إشار الأسد ليتخلى عن برامج المقاومة ويدخل في منظومة التسوية السلمية، والتطبيع مع إسرائيل.

- إن الحلول الأمريكية للأزمة السورية تهدف للإضعاف والتقسيم الداخلي، حيث صرح الخبير السياسي الأمريكي براج خانا في 2012: «...حيث توقعاتها بالنسبة لسوريا إما نموذجا كالنموذج اللبناني حيث يتم تفريغ السلطة المركزية من محتواها، أو العودة للشكل الذي فرضه الاستعمار الفرنسي بإيجاد دويلات منفصلة، واحدة علوية وثانية درزية ودولتين في كل من دمشق وحلب بأغليبيين سنيين...»، ولم يشر إلى مصير المناطق ذات الكثافة الكردية في شمال شرق سوريا، كما قدم مركز راند للدراسات وهو أحد أهم مراكز التفكير في أمريكا في 2016 طرحا بعنوان خطة سلام لسوريا "A plan For Syria" التي تنص على أولوية وقف إطلاق النار ويقسم سوريا إلى

أربع مناطق، منطقة تحت نفوذ النظام الحالي، والثابتة تحت نفوذ المعارضة الثالثة تحت نفوذ الأكراد، أما الرابعة فيتم التعامل معها دولياً باعتبارها تحت نفوذ داعش¹.

3-تداعيات الدور الأمريكي على مسار الأزمة السورية:

لقد شاركت الولايات المتحدة الأمريكية في عدة مؤتمرات لحل الأزمة السورية، منها مؤتمرات جنيف، حيث انتهى مؤتمر جنيف 1 في 2012 ببيان على أن أي تسوية سياسية للأزمة السورية يجب أن تتضمن مرحلة انتقالية بسرعة لوقف المزيد من إراقة الدماء ووضعت عدة خطوات المرحلة الانتقالية كتأسيس هيئة حكم انتقالي بسلطات تنفيذية كاملة تتضمن أعضاء من الحكومة السورية والمعارضة، كذلك مشاركة كافة الشعب السوري وإجراء انتخابات نزيهة،....إلخ، إلى أن هذه المحاولة باءت بالفشل، ومع زيادة الأوضاع سوء سعت أمريكا وروسيا لإقناع الطرفين المتصارعين حضور مؤتمر جنيف 2 2014، وضرورة تطبيق ما جاء في جنيف 1، حيث إعتبر "بان كي مون": «أنه ذنب لا يغتفر، إذا لم تستغل هذه الفرصة لوضع نهاية للصراع الذي أودى بحياة أكثر من 100 ألف شخص، وتشريد نحو سبعة ملايين و500 ألف شخص عن منازلهم»، حيث دعا "جون كيري"، ونظيره سيرفي لافروف الطرفين المتصارعين الجلوس على طاولة الحوار بجدية لوقف النزاع الدموي، وتحقيق المصلحة والاستقرار، إلا أن المحاولة باءت بالفشل لأسباب منها قبول الأسد المشاركة في جنيف 2 إلا أنه أعلن أنه لن يسلم السلطة لأي طرف، ووافق الائتلاف الوطني لقوى المعارضة المشاركة شرط أن يعلن المؤتمر عن تنحي الأسد، كذلك بسبب دعوة بانكي مون إيران للمشاركة، حيث اعتبرت الولايات المتحدة مشاركتها ضرورية لأنها تمول النظام السوري، فأعلن الائتلاف الوطني انسحابه وعدم المشاركة إذا شاركت إيران وغيرها من الأسباب التي أدت إلى تأجيل المؤتمر أكثر من مرة، وفشله حتى قبل أن ينعقد

¹ - المرجع نفسه.

وقيل أيام من انعقاد جنيف 2 قال وزير المصالحة الوطنية السوري علي حيدر: «لا تتوقعوا شيئاً من جنيف 2، فلن يحل جنيف 2، أو جنيف 3، أو 4 الأزمة السورية، الحل بدأ ويستمر عبر الانتصار العسكري للدولة»¹.

بالإضافة إلى ذلك فإن أمريكا وروسيا التي تسعيان لحل الأزمة السورية تتعارضان وتختلفان في مسائل جوهرية ورئيسية، فكيف ستصلان إلى الحل في إطار هذا التباين حيث تقف روسيا ضد تغير النظام بالقوة بواسطة التدخل الامني و تعارض رحيل الاسد في حين تعلن امريكا ان الحل الوحيد لسوريا هو انتقال سياسي ومفتاح التسوية هو خروج بشار الأسد من البلاد، كما تقوم روسيا بدعم النظام، في حين تدعم أمريكا بعض فصائل المعارضة كما أنهما لا تزال عاجزتان عن التفريق بين التنظيمات الإرهابية والمعارضة المعتدلة².

أما بالنسبة لجنيف 3 فقد أظهرت أمريكا مرونة حول مصير الأسد، حيث أعلن جون كيري أن أمره سيتترك للشعب السوري ليقرره، كما أعلنت وفق برنامج تدريب المعارضة السورية والتركيز على إرسال أسلحة وإمدادات طبية للجماعات التي تحارب داعش، وقد فشل بسبب تمسك روسيا بأن أحرار الشام وجيش الإسلام لا مكانة لها في قائمة المعارضة السورية وهما إرهابيتين، في حين أصرت أمريكا على حضورهما، كما أن حزب الاتحاد الديمقراطي الذي لم يتم دعوته، اعتبر أنه إلغاء للجانب الكردي وأبلغ أمريكا أنهم لن يلتزموا بأي اتفاق يصدر عن أي اجتماع لم يشاركوا فيه، أي التزامهم بما يصدر من جنيف 3³.

¹ - مؤتمر جنيف 2 حول سوريا، "حقائق ومعلومات"، في:

www.bbc.com/arabic/middleeast/2014/01/140122.geneva2-syria-analysis

² - "نقاط الاختلاف والالتقاء بين الولايات المتحدة وروسيا حول سوريا"، في:

<https://arabic.rt.com/news/797882>

³ - سميحة عبد الحليم، "الأزمة السورية... والجهود الدولية"، في:

www.egynews.net/807123

ونفس الشيء بالنسبة لمؤتمرات جنيف اللاحقة التي باءت بالفشل ولم تصل إلى أي حل لأزمة السورية التي تخلت فيه الولايات عن رحيل الأسد وبحثت في مسائل أخرى.

من خلال موقف أمريكا من الأزمة السورية يتضح أنها قد تخلت عن واجبها الإنساني مما أثار جدلاً كبيراً حول مبادئها المتعلقة بحقوق الإنسان وقيم الحرية والعدالة، مما يؤكد أيضاً أن هذه العبارات والمبادئ تتدخل فيها فقط من أجل تحقيق مصالحها، كما أدى إلى التشكيك بوجود المسؤولية الدولية في مجال حقوق الإنسان لمواجهة الدول التي ترتكب أعمالاً غير قانونية ضدّ شعبها، فلم تتخذ أمريكا أي موقف حاسم تجاه المجازر الإنسانية التي ترتكب في سوريا رغم استطاعتها في ذلك فهي قادرة على التأثير دولياً من أجل إنقاذ الشعب السوري وتراثه الذي يدمر، وهذا ما يؤكد أيضاً أن الجماعات الدولية لحقوق الإنسان تتماشى وما يخدم المصالح السياسية والإستراتيجية للدول الكبرى والتي لا يمكن أن تنكر حساباتها السياسية في أعمالها الإنسانية¹.

لقد أدت السياسة الأمريكية المتجاهلة إلى معاناة هائلة للشعب السوري حيث بلغ عدد ضحاياه في 25/05/2016 إلى نحو 282 ألف سوري، وأصيب نحو مليونين بجراح وتم تشريد حوالي 11 مليون، مع خسائر في القوات العسكرية للنظام بلغت أكثر من 100 ألف كما أن أمريكا التي تعمدت عدم إنشاء المنطقة الآمنة في شمال سوريا التي طالبت بها تركيا، والتي كانت ستحقق كثيراً من معاناة الآلاف من المهاجرين السوريين، وتوفر ملاذاً لهم، بالرغم أن الأمر لم يكن ليكلفها شيئاً، فتركيا والسعودية وقطر هي التي ستتولى تكاليفه المادية والعسكرية.

إن ما ترتب عن عدم تدخل أمريكا كأحد القوى الكبرى التي لها إمكانيات لوضع حد لازمة الإنسانية في سوريا أدى إلى زيادة حجم الكارثة الإنسانية فأكثر من 12 مليون شخص

¹ - أحمد سيد أحمد إبراهيم، مرجع سابق.

في سوريا بينهم 5 ملايين بحاجة ماسة إلى رعاية صحية عاجلة، ونحو 10 ملايين شخص يفتقدون للأمن الغذائي، قالت اليونسيف إن ما يزيد عن مليون ونصف مليون طفل سوري اضطروا للوقوف لوقف تعليمهم، وأعلنت مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين أن عددهم 04 ملايين لاجئ في 2015 وعدد النازحين إلى الداخل 50 ملايين، كما صرّح ممثل الاتحاد الطبي السوري في سويسرا شمعة تو أنه يتراوح عدد موت المدنيين من 30 إلى 60 كل يوم.

بالإضافة إلى ذلك تتعرض سوريا إلى نهب وتخريب الأعمال الفنية والمواقع الثقافية وتدميرها، حيث وضعت ستة مواقع للتراث السوري على قائمة التراث العالمي المعرض للخطر، الذي يتوجب على المجتمع الدولي التحرك لانقاذه، كما أكّدت اليونسكو، بتعرض العديد من المواقع الأثرية والمتاحف للسلب والإتجار بها، كما دمرت قلع ومدن تاريخية وتحولت إلى ساحات للقتال، كما أكدت رابطة حماية الآثار السورية التاريخية المتواجدة بفرنسا، أنه تم نهب 12 متحفا من إجمالي 36، وأنه في عدم وجود إدراك دولي أن الممتلكات والآثار الثقافية والدينية والطبيعية في أثرا مشتركا للبشرية، يجب الحفاظ عليه، لأن تراث وتاريخ وإنتماء الشعب السوري سيدمر مع تدمره¹.

من خلال ما قيل يتضح أنه حقيقة لا وجود لرغبة حقيقية ملموسة لدى أمريكا لحل الأزمة السورية، لأنه لو كانت موجودة لكانت استطاعت لما لها من إمكانيات تؤهلها لتحقيق ذلك، فأمريكا لا يهمها إن بقي الأسد أو رحل، ولا تأبه لمعاناة الشعب السوري، وتصريح "على حيدر" أن ما بدأ بالقوة سينتهي بالقوة ولا جدوى من المؤتمرات، خير دليل على ارتياح النظام السوري، لتلك المؤتمرات التي انعقدت والتي ستعقد لحل الأزمة السورية، لأنه يعرف أنها شكلية ولا تحمل أي رغبة حقيقية، فلو كان هناك رغبة حقيقية لتم حل الأزمة في

¹ - عبد الله محمد علي يسن عبد الله، مرجع سابق.

جنيف¹، وما لم يحله جنيف¹، لن يحله جنيف 7 أو 8 أو 9 أو العديد من المؤتمرات الأخرى فحتى ولو انعقد كل يوم مؤتمر فالرغبة لوضع نهاية للأزمة السورية غير موجودة.

رغم أن حدود الدراسة تنتهي 2016 إلا أنه سيتم التطرق إلى سياسة ترامب تجاه سوريا، فالمرشحين لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، تحدثوا عن شؤون الشرق الأوسط وعلى رأسها الأزمة السورية، أثناء حملاتهم الانتخابية منها كلينتون وترامب، وقد وضع هذا الأخير خطة قبل توليه مقاليد الحكم في مطلع 2017 التي سيتم تنفيذها في سوريا حيث نقلت وكالة "أسوسبييتد برس" الأمريكية التي قالت أن ترامب قد صرح أنه لا يستطيع البقاء صامتا أكثر تجاه هجمات النظام السوري حيث تضمن خطة ترامب أربعة مراحل أساسية للتسوية في سوريا، أولها القضاء على تنظيم الدولة، وثانيها بناء مناطق استقرار مؤقتة عن طريق عقد هدنة بين نظام الأسد والفصائل الثورية ويستعمل السلطات المحلية بنظام قريب من الفدرالية، فالمناطق ذات أغلبية سنية ستدار من قبل شخصيات سنية ونفس الشيء بالنسبة للکرد، وستدار البلاد في هذه الفترة بواسطة حكومة مؤقتة، وثالثا في مصير الأسد ففي الفترة الانتقالية يجب على الأسد التخلي عن السلطة طوعية وإذا رفض يجب منعه من المشاركة في الانتخابات أو تهديده بالملاحقة الجنائية-الدولية بتهمة ارتكاب جرائم حرب، أما رابعا هي مرحلة ما بعد الأسد، وهي تنظيم الحياة في سوريا بعد انتهاء الفترة الانتقالية والتعاون مع روسيا لوقف الحرب في سوريا¹.

بعدما يقارب شهرين من تولي ترامب الحكم غيرت أمريكا إستراتيجيتها تجاه التعامل مع الملف السوري، حيث صرح ترامب بأن واشنطن ستغير من إستراتيجيتها اتجاه سوريا وقد نفذ الجيش الأمريكي بأمر من ترامب ضربة صاروخية استهدفت قاعدة جوية عسكرية للنظام السوري، فحوالي 59 صاروخ "توماهوك" استهدف مطار الشغيرات ردًا على هجوم كيميائي

¹ - أسوسبييتد برس: "إدارة ترامب وضعت خطة من 4 مراحل حول سوريا"، في :

[Hhttps://www.alsaouria.net/2017/04/18](https://www.alsaouria.net/2017/04/18)

اتهمت واشنطن النظام السوري بتنفيذه، على بلدة "خان شخون" شمالي غرب البلاد (التي أسفرت عن جرحى وقتلى وأضرار مادية)، وقد صرح ترامب: «...بشار الأسد شن هجوما مروعا بأسلحة كيميائية على مدنيين أبرياء باستخدام غاز الأعصاب القاتل، انتزع الأسد أرواح ورجال ونساء وأطفال والليلة أمرت بتنفيذ ضربة عسكرية محددة الهدف في سوريا على المطار الذي شن منه الهجوم الكيميائي، فمن مصلحة الأمن القومي الأمريكي منع وردع انتشار واستخدام الأسلحة الكيميائية القاتلة...»، كما دعا ترامب الدول لانضمام لإنهاء المجزرة والدماء في سوريا، والقضاء على الإرهاب بكل أنواعه، وأكد أن أمريكا ستتحرك عندما تقوم سوريا بتجاوز الخط الأحمر، واعتبرت روسيا هذه الضربات عدوانا ضد دولة ذات سيادة وانتهاكا للأعراف الدولية¹.

وهذه الضربة تدل على أن سياسة ترامب مهتمة بالمنطقة، وستتدخل فيها، إلى أن هذه السياسية كما هو واضح تتسم بالتناقض، فقد كان ترامب قبل ترشحه لديه توجهات مختلفة حيث كان مؤيدا للسياسة بوش، وقد صرّح أنه يقف إلى جانب بوش في حربه في العراق، إلا أنه عندما ترشح للرئاسة عارض التدخل الأمريكي في العراق فقال: «إن الوضع اليوم في الشرق الأوسط، أصبح أسوأ مما كان عليه، قبل أن تفتح أمريكا نفسها في حروب لازالت مستمرة منذ 15 سنة، وتنفق مليارات الدولارات في هذه الحروب، وتفقّد الآلاف من الجنود في ساحات المعركة»، فترامب يعارض التدخل العسكري في الشرق الأوسط فقط إذا ما وجد خطر على أمن أمريكا².

إلا أن ترامب الذي غير سياسة بعد ترشحه لكسب الأصوات لما كانت قبل ترشحه يدل أن سياسة غير ثابتة والتي قد يغيرها بعد فوزه.

¹ - "سوريا: ضربة صاروخية أمريكية تستهدف قاعدة عسكرية قرب حمص"، في:

www.France24.com/ar/2017/04/07.

² - منصور أبو كريم، أبرز ملامح السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط، بعد فوز ترامب (الرياض: مركز رؤية الدراسات والأبحاث، 2017)، ص. 3.

من الواضح أن سياسة ترامب قبل ترشحه نسبة لسياسة بوش (القوة الخشنة)، وبعد ترشحه نسبة لسياسة أوباما (القوة الناعمة)، ولكن ما قد تكون عليه سياسته بعد فوزه.

وفيما يلي سنعرض أهم الاختلافات بين سياسة ترامب وأوباما.

- إن توجه ترامب نحو الشرق الأوسط أكثر ميلا لإسرائيل، حيث أعلن عن رفضه للتسوية الفلسطينية-الإسرائيلية وعكس التوجه نحو إيران، مثل أوباما.

- توجه ترامب ضد تنظيم الدولة أكثر حدة وعنف ورغبة القضاء عليه بسرعة عكس أوباما الذي لم يأخذ ضربة عسكرية ضد التنظيم.

- تعامل أوباما مع الإسلام السياسي بتعريف مستقل عن الإرهاب على خلاف ترامب الذي جعل من الإسلام في خطابه مرادفا لإرهاب، فأوباما لم يعادي كل تيارات الإسلام السياسي، على أنها كلها تنظيمات إرهابية، أما ترامب فقد أدان الإسلام السياسي، واتهم أوباما بأنه ساهم في وصول الإخوان المسلمين للسلطة.

أمّا في الشأن السوري، فقد هدد أوباما باستخدام القوة العسكرية ولم يستخدمها، في حين رأى ترامب أنه يجب تركهم يحاربون بعضهم بعضا دون تحمل أي أعباء لتدخل عسكري، كما أن أوباما قد طالب برحيل الأسد أما ترامب فيعتبره محاربا لإرهاب فلا ضرورة لرحيله، وكذلك بخصوص روسيا فقد عارض أوباما نوعا ما تدخلها في سوريا، وأما ترامب رحب بها طالما تحارب تنظيم الدولة.

هذا ما أعلنه ترامب إلاّ أنّه ناقض نفسه، فقد تدخل عسكرياً، كما تحدث في خطته عن ضرورة رحيل الأسد، وعاد إلى فكرة البعد الإنساني، وهذه بعض الاختلاف في قضايا الشرق الأوسط وهناك عدة اختلافات في القضايا الإقليمية والدولية¹.

من الصعب استقراء السياسة الخارجية الأمريكية لترامب في الشرق الأوسط في عامه الأول، إلاّ أنّه من الملاحظ أن ما قيل في البداية بوجود ثوابت في السياسة الأمريكية تجاه المنطقة لن تتبدل مع تبدل الرؤساء، بل ستبقى راسخة، أما فيما يخص سياسة كسياسة بوش أوباما فإنه قد تكون مزيجاً من القوة الناعمة والقوة الخشنة، حسب ما تقتضيه المصلحة الأمريكية، فقد أحي ترامب البعد الإنساني في التدخل والأمن القومي الأمريكي، أما في ما يخص حل الأزمة السورية فكما قيل في البداية، مازال لا توجد رغبة حقيقية من قبل أمريكا لحلها ما أدى إلى إطالة عمر الأزمة.

¹ - المرجع نفسه، ص ص. 4-7.

المبحث الثاني: الإستراتيجية الروسية تجاه الشرق الأوسط.

المطلب الأول: السياسة الخارجية الروسية في الشرق الأوسط.

تعتبر روسيا الشرق الأوسط منطقة جغرافية مجاورة لحدودها الجنوبية، وحيوية لمصالحها العليا، ومؤثرة على أمنها القومي، واقتصادها كذلك، ولطالما كانت المنطقة ذو أهمية كبيرة بالنسبة لروسيا، فقد خاضت هذه الأخيرة ثلاث حروب ضد الدولة العثمانية بين عام 1917 و 1977 من أجل السيطرة على القوقاز والبحر الأسود، والرغبة في الوصول إلى المياه الدافئة في البحر المتوسط عبر المضائق التركية، كما قام الأسطول الروسي في 1874 باحتلال بيروت، وتراجع اهتمام روسيا بالمنطقة في حكم ستالين 1943-1953 لانشغالها في الحروب على الساحتين الأوروبية والآسيوية، ومع انطلاق الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، رجعت ونشطت سياستها في الشرق الأوسط والدخول في منافسة عارمة على النفوذ في المنطقة مع أمريكا، ما أدى إلى تقارب بين روسيا وعددا من الدول في المنطقة، ومع انهيار الاتحاد السوفيتي تراجع دور روسيا في المنطقة خاصة في عهد يلتسين 1991-1999، التي سعت إلى توثيق العلاقة مع العرب لعدم امتلاكها مقومات المنافسة، ومع وصول "فلاديمير بوتين"، إلى الحكم في ديسمبر 1999 عرفت السياسة الخارجية الروسية تحولا تجاه الشرق الأوسط، خاصة في الفترة الثانية من حكمه، الذي عمل على إحياء الدور الروسي في المنطقة¹.

1- مبادئ السياسة الخارجية الروسية تجاه الشرق الأوسط خلال إدارة "بوتين":

لقد سعى بوتين على إحياء الدور الروسي في منطقة الشرق الأوسط وذلك تدريجيا.

المرحلة 1: السياسة الخارجية الروسية في الشرق الأوسط في عهدة بوتين الأولى (2000-2004):

¹ - باسم راشد، المصالح المتقاربة: دور عالمي جديد لروسيا في الربيع العربي (مصر: مكتبة الاسكندرية وحدة الدراسات المستقبلية، 2013)، ص ص. 10-12.

لم يولي بوتين اهتماما كبيرا بالشرق الأوسط خلال هذه الفترة رغم إعلانه على العمل لاستعادة دورها في المنطقة وذلك نظر لأوضاع الداخلية التي كانت تعيشها روسيا، خاصة فيما يخص حماية أمنها القومي، وإستعادة مكانتها كقوة عظمى في السياسة الدولية، فروسيا تعاني من أوضاع داخلية سيئة اقتصادية، اجتماعية، سياسية، أمنية الذي سبب في تراجع دورها الإقليمي والدولي، وتحولها من فاعل مؤثر في السياسة العالمية إلى مجرد مراقب فسياسة يلتسين 1991-2000 الذي عمل على التحول الرأسمالي دفعة واحدة، واتخاذ عدّة إجراءات خطيرة، كخفض الميزانية تحرير الأسعار، خصخصة القطاع الاقتصادي... إلخ إجراءات كلّها أدّت إلى فوضى في كل المجالات، وأضعفت دور الدولة الاقتصادي والاجتماعي، وانخفاض الإنتاج الزراعي، ومع الأزمة العالمية زادت الأمور سوءا، ما أدى إلى انخفاض 50% من صادرات روسيا، وتفاقم الديون إلى 170.9 مليار دولار سنة 2001، وتحولت من بلد منتج إلى بلد مستورد أكثر من 70% من المواد الغذائية، وهبوط العملة مع الأزمة المالية، وارتفاع معدل الجريمة المنظمة والفساد وانعدام الأمن والاستقرار.... إلخ، أمّا خارجيا فقد وجدت روسيا نفسها معزولة عن العالم الخارجي، حيث يشهد المجتمع الدولي مرحلة جديدة، فقد تراجعت قوى، وبرزت أخرى، وتراجعت إستراتيجيات وتقدمت أخرى، وتكونت علاقات جديدة على الساحة الدولية، فكل هذه المتغيرات والأحداث انعكست على السياسة الخارجية الروسية التي أخذها بوتين في عين الاعتبار في صياغة سياسة الخارجية في هذه الفترة¹.

وقد وضع بوتين عدّة مبادئ للسياسة الخارجية والتي عرفت باسم "مبدأ بوتين" وفي

مقدمتها:

¹ - محمد مجدان، "سياسة روسيا الخارجية اليوم: البحث عن دور عالمي مؤثر"، في:

www.caus.org.Lb/PDF/Enagazine.Articles

- التركيز على الإصلاح الداخلي على حساب السياسة الخارجية والتي سميت "الأهداف الداخلية تلغي أهداف السياسة الخارجية".
- إذا استمر توسع حلف الأطلنطي شرقا من روسيا، فستسعى إلى دعم الترابط بين دول الاتحاد السوفياتي السابق لحماية منطقة دفاعها الأول.
- إن روسيا تعارض نظام القطبية الأحادية ولكنها ستعمل مع الولايات الأمريكية في عدة قضايا كالحد من التسلح، وحقوق الانسان وغيرها.
- العمل على دعم بيئتها الأمنية في الشرق عن طريق تقوية علاقاتها مع الصين، الهند اليابان.

كما انتقدت السياسة الأمريكية الإنفرادية، والدعوة لإنشاء نظام دولي متعدد الأقطاب لا يخضع لقوة واحدة، وعدم السماح بتهميش الدور الروسي في العلاقات الدولية، وستعمل على استرجاع مكانتها، رغم كل تلك الصعوبات الداخلية فقد سعى بوتين لتحقيق الاستقرار الداخلي وبناء الاقتصاد والمؤسسات، وتعزيز قواها العسكرية والنووية فقد كان على دراية أنه لن يكون لها مكان مع انكماش اقتصادها، والعمل على بناء القوة الذاتية الروسية، وقد استغل بوتين مقومات روسيا: امتلاكها ترسانة نووية عظيمة التي ورثتها عن الاتحاد السوفيتي.

و قاعدة تصنيع عسكري بالاضافة الى موقعها الجيوسياسي وغناها بالثروات الطبيعية. فهي أكبر دولة في العالم من حيث احتياطات الغاز الطبيعي، 35%، وسابع أكبر إحتياطي نفطي في العالم 4.6%... إلخ¹.

¹ - دحمان قاسم، السياسة الخارجية الروسية في آسيا الوسطى والقوقاز (لندن: إي-كتب، 2016)، ص ص. 86، 87.

المرحلة 2: السياسة الخارجية الروسية في الشرق الأوسط خلال عهدة بوتين الثانية (2004-2008).

تم إعادة تنصيب بوتين رئيسا للمرة الثانية حيث فاز بـ71.2% من الأصوات وعرفت هذه الفترة تدهور العلاقات بين روسيا والدول الغربية خاصة الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك نظر لعدة عوامل وظروف، منها الموقف الروسي من غزو العراق «هو نموذج للتصرفات الأمريكية الفردية التي تزيد الأمور سوءا»، واتهمت أمريكا بوتين أنه رئيس شيوعي بثوب ليبرالي ومعاد للاقتصاد الحر، واتهمها "جون ماكين" «نظام استبدادي تسلطي»، وقال كولون باول 2004: «...لم تحقق التوازن بين السلطات التنفيذية، التشريعية والقضائية، كما أنّ السلطة ما تزال غير ملتزمة بشكل كامل بالمعايير القانونية.... ووسائل الإعلام والأحزاب السياسية ليست مستقرة ولا مستقلة...ونحن قلقون إزاء سياستها في الشيشان، بالإضافة إلى سياستها تجاه جيرانها الذين كانوا جزءا من الاتحاد السوفياتي».

وفي هذه الفترة بدأت تتضح سياسة بوتين وذلك من خلال تراجع الكرملين عن فكرة الاندماج في المجتمع الأوروبي، والتحرر من عقدة الهوية في الانتماء الروسي ضمن الحضارة الغربية أم الشرقية، وبدأ يظهر اهتمام بوتين لبناء علاقات مع دول المنطقة وتحدي الوجود الأمريكي مستغلا ذلك الكره السياسي والشعبي إزاء السياسات الأمريكية، حيث جاءت إستراتيجية بوتين تتسم بالواقعية والبرغماتية، والابتعاد عن الأيديولوجية والتحريك العسكري والاعتماد على الدبلوماسية والاقتصاد بشكل كبير، وتقوم برغاماتية روسيا على خدمة مصالحها بالدرجة الأولى، إلا أنّها تأخذ بعين الاعتبار مصالح الدول الأخرى، أي الوصول إلى قرارات مشتركة تخدم مصالح كل الأطراف، أما الواقعية فهي تقيس تحركاتها بحجم ما

تملكه من قوة وما تحققه توجهاتها من فائدة للمصالح الوطنية، ووفقا لهذه الأمور تعاملت روسيا مع الشرق الأوسط¹.

وهناك ثلاثة أمور أساسية حددت السلوك الروسي في منطقة الشرق الأوسط، والذي يحقق مصالحها وهي:

-مزامنة الولايات المتحدة الأمريكية وإنهاكها استراتيجيا:

رغم إدراك روسيا أنها لا تستطيع معادلة القوة الأمريكية عسكريا، اقتصاديا في الوقت القريب، إلا أنها ترفض أن تضل قوة عالمية ثانية، وتصر على ضرورة إعادة تشكيل ميزان القوى العالمي، ومنها الإعلان عن دراسة قام بها قائد الأسطول الروسي " Vladimir Maso" في 2007، تقضي إعادة الأسطول الروسي إلى البحر الأبيض المتوسط مدعوما بقاعدة عسكرية روسية، يفضل أن يكون مقرها سوريا، وذلك ردا على إعلان أمريكا عن نيتها بناء نظام جديد للدفاع الجوي بحلول 2015.

ولقد ساهمت الحرب الأمريكية على العراق في ترسيخ النفوذ الروسي في المنطقة حيث تراجعت مكانة أمريكا نتيجة الكره الشديد من قبل بعض الدول، وتزامن ذلك مع الصعود الإقليمي الإيراني، التي دعمتها روسيا، خاصة في بناء مفاعل بوشهر النووي وتزويدها بقدرات تكنولوجية مما سبب انزعاج أمريكا، خشية في انقلاب أوضاع الإقليمية التي أرادت رسمها بغزوها للعراق، خاصة مع إمكانية استخدام إيران لهذا السلاح وحدوث مواجهة عسكرية، فمع انشغال أمريكا في زعزعة الاستقرار، والعداء الكبير الذي كسبته كانت روسيا تستغل الأوضاع لكسب الدول وبناء علاقات جيدة معها².

¹ - المرجع نفسه، ص ص. 70-72.

² - راشد، مرجع سابق، ص ص. 13، 14.

-المصالح الاقتصادية الروسية في الشرق الأوسط:

لقد عملت إدارة بوتين على التوفيق بين أهدافها الاقتصادية في المنطقة، ومصالحها الإستراتيجية المتعلقة بإنهاء الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، حيث ابتعدت عن المنطق الإيديولوجي، وإعطاء أولوية للمنطق الاقتصادي القائم على التعامل وفق أسعار السوق العالمية، فعملت روسيا على تعزيز اقتصادها في المنطقة خاصة فيما يخص مجال الأسلحة، وعلى رأسها إيران¹.

-مصالح أمنية حتمتها قواعد الجغرافيا والديمغرافيا:

أعطت السياسة الخارجية لروسيا الجديدة أهمية للقيمة الجغرافية والإستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط لما تمثله من قبل العالم، ويحيط بجمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز اللتين تعتبرهما روسيا مجالا حيويا لها، وتسخر كل إمكانياتها لمنع أي اعتداء أو تدخل في هذه المناطق، وجاء اهتمامها خاصة بتركيا وإيران لأنهما أكثر دولتين في الشرق الأوسط رغبة في النفاذ لهذه المناطق لما لهما من ارتباط ديني وعرقي ولغوي بين شعوبها، كما أن للعلاقات مع إيران فيهما إزعاج لأمريكا، وجني أرباح اقتصادية كما أن التقارب مع إيران أحد الوسائل التي تستعملها روسيا في تحجيم إيران عن استخدام الورقة الإسلامية بين مسلمي روسيا الذي يقدر عددهم بـ20 مليون، خاصة في منطقة القوقاز التي تعاني فيها روسيا مشاكل حادة، بالإضافة إلى ذلك فقد مثلت مسألة الإسلام السياسي العابر للحدود والذي اقترن بالإرهاب خاصة بعد 11 سبتمبر 2001، من أهم الأسباب الرئيسية التي

¹ - أحمد عبد الله الطحلاوي، "استعادة الدور: المحددات الداخلية والدولية للسياسة الروسية"، في:

جعلت بوتين يهتم بالمنطقة وتوسيع علاقاتها مع الدول من أجل مكافحة الإرهاب، كما زاد اهتمامها بالمنطقة في فترة الربيع العربي، خوفا من وصول الأحداث إلى محيطها الحيوي¹.

كما عمل بوتين على إعادة إحياء الاتفاقيات التي كانت تربط الاتحاد السوفيتي بالدول العربية والتي علّقت بسبب عدم إلتزام الدول بإيفاء ديونها، فعمل على تجاوز هذه المشكلة، وعمل على إعفاء هذه الدول على القسم الأكبر من ديونها، حيث عفى سوريا من 37% من ديونها البالغة 13 مليار دولار في 2005، و93% من ديون العراق البالغة 12.9% مليار دولار، وقرار إعادة الرحلات الجوية المباشرة بين روسيا وبغداد بالرغم من الحصار الذي كان مفروضا على العراق، وعفى ليبيا من كامل ديونها البالغة 4.6 مليار دولار، مع إعادة إحياء الاتفاقيات السابقة، وتوقيع عهود واستثمارات مع هذه الدول تعوض تلك الديون، منها اتفاقية بناء خط سكة حديد تصل خليج سرت بمدينة بنغازي في وسط ليبيا بقيمة 2.2 مليار دولار، كما وقعت عدة اتفاقيات مع مصر، إسرائيل، فلسطين فتوسعت حركة بوتين لتشمل دولا لم تكن من أصدقاء روسيا في الماضي، مع التعامل مع تركيا وإيران، والخليج العربي والأردن من خلال العديد من الاستثمارات، وتوقيع اتفاقية مع السعودية في مجال النفط والغاز، وتوليد الطاقة الكهربائية، وتحلية مياه البحر، وزار بوتين قطر، الأردن والإمارات، وتوقيع العديد من الاتفاقيات، حيث وصلت هذه العقود الموقعة لصالح الشركات الروسية بـ 7 مليار دولار، ومنها بناء شبكة حديد تربط شمال السعودية بجنوبها بقيمة 3.4 مليار دولار².

ومن هنا بدأ يبرز الإهتمام الروسي بالمنطقة، حيث بدأت تلعب دورا بارزا في العديد من القضايا الجوهرية في المنطقة.

¹ - راشد، مرجع سابق، ص ص. 16، 17.

² - ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013)، ص ص. 206، 207.

2-الموقف الروسي من أهم القضايا المحورية في المنطقة:

لقد تعاملت روسيا بواقعية مع مواضيع الشرق الأوسط، ووفقا لمصالحها الاقتصادية والسياسية.

أ-ملف الإرهاب: لقد أصبحت أمريكا وإسرائيل وحلفاؤها يلصقون تهمة الإرهاب على كل حركات المقاومة لاسيما في فلسطين حيث اعتبرت روسيا الكثير من هذه الأعمال مقاومة وطنية مشروعة، وفق ما ينص عليه ميثاق الأمم المتحدة فإن الأعمال العدوانية التي تقوم بها هذه الدول على أراضي دول أخرى هي الأعمال الإرهابية، خاصة ما تقوم به إسرائيل ورغم تباين الرأي حول توصيف الإرهاب إلا أنه كان لروسيا مواقف متميزة وكان دائما هناك تباين بين المواقف الأمريكية والروسية في هذا الشأن، فحين كانت أمريكا تعتبر منظمة طالبان الأفغانية الإسلامية مقاومة، كانت روسيا تعتبر أعضائها قتلة وإرهابيين، خوفا من امتدادا نشاطاتهم إلى جمهورية آسيا الوسطى، وجنوب روسيا كما اختلفتا في توصيف الأعمال التي تقوم بها الحركات الفلسطينية واللبنانية ضد الاحتلال الإسرائيلي، التي تعتبر روسيا معظم هذه الأعمال مقاومة، وتتعامل معها كحركة حماس وحزب الله، في حين تعتبرها أمريكا حركات إرهابية، وتحضر التعامل معها.

ومع تطور النزاع في الشيشان جنوب روسيا بين المسلمين والسلطات الروسية بتشجيع من أوساط غربية لخلق فجوة بين روسيا والعالم الإسلامي، ووقعت العديد من التفجيرات الإرهابية في مدن روسيا، حيث شكت روسيا برجال الدين الإيرانيين، واتهمتهم بدعمهم الإرهاب، مما سبب لها توتر مع دول إسلامية، ولكن بوتين إستدراك الأمر وطلب دخول روسيا لمنظمة المؤتمر الإسلامي كعضو مراقب ودخلت 2003. كما كانت إسرائيل تتهمها بتزويد السلاح لايران وسوريا والذي يصل إلى حماس وحزب الله، حيث مارست

أمريكا عدّة ضغوطات على روسيا لإيقاف ذلك إلا أن روسيا لم تتبنى التعريفات الغربية للإرهاب، فمن جهة كانت ترغب في تلك الأعمال المقاومة التي تضغط وتزعج أمريكا، إلا أنها أدانت تنظيم القاعدة إثر التفجيرين الانتحاريين اللذين استهدف مترو الأنفاق في موسكو في 2010، ورغم ذلك فقد تعاملت مع الإرهاب ضمن القاعدة «إن عدوّ عدوّي ليس عدوّي وليس شرطاً أن يكون صديقي»، ومع هجمات 11 سبتمبر 2001 عارض بوتين المساعدة وتضامن مع الإدارة والشعب الأمريكي، وبدأت الحرب الأمريكية بالتعاون مع قوات دولية على أفغانستان، وسقطت حكومة طالبان، وقد سهلت روسيا ودول آسيا الوسطى العمليات العسكرية، للتحالف الغربي دون الإشتراك في ذلك، إلا أن العديد من القوى والشخصيات داخل روسيا اعتبرت الحرب الأمريكية على الإرهاب، ما هو إلا هدف لتكريس الأحادية القطبية، كما أعلن بوتين أن روسيا ترفض التوصيف الأمريكي لمفهوم الإرهاب¹.

ب- الغزو الأمريكي للعراق 2003: لقد رفضت روسيا الغزو الأمريكي للعراق لأنها تدرك أنه سيزيد الأوضاع توتراً، فجاء مع قرار فرنسا وألمانيا بعدم التدخل العسكري، كما أن روسيا تدرك أن الدافع الحقيقي، لغزو العراق هو رغبة أمريكا في الهيمنة على النفط، فكانت روسيا تسعى لإفشال الخطط الأمريكية من خلال استخدام حق الفيتو في مجلس الأمن وفي أحيان أخرى تسايورها لما يخدم مصالحها الخاصة، ورغم المعارضة الروسية لهذا الغزو إلا أنها لم تتخذ أي إجراءات ضد هذا الغزو بعد وقوعه، إلا أن بوتين في 2007 دعا الرئيس الأمريكي بتجديد موعد ثابت الإنسحاب القوات الأمريكية من العراق بشكل نهائي، كما كانت المواقف الشعبية الروسية أكثر وضوحاً التي خرجت في تظاهرات منددة للاحتلال الأمريكي للعراق. وبعدها دخلت روسيا سياسة تبادل المصالح مع أمريكا في العراق، حيث صفقة تحديث حقول النفط العراقية على الشركات الروسية في 13 أكتوبر 2009، والذي فسّر أنّه إرضاء لروسيا في العراق، لكي يحصل على

¹ - المرجع نفسه، ص ص. 223-219.

موقف روسي مؤيد أو غير معارض لسياسة أمريكا في أفغانستان وإيران، التي تعتبرها الدوائر الغربية والإسرائيلية الحلقة الأقوى في محور الشر¹.

ج- البرنامج النووي الإيراني: كانت روسيا منذ زمن تتطلع لإيران كامتداد جغرافي حيوي يشكل إحدى المعابر البرية باتجاه المياه الدافئة في الخليج والمحيط الهندي، ولإيران مخارج على دول آسيا الوسطى، فالجغرافية فرضت التواصل بين البلدين، وفي مسألة الملف النووي الإيراني هناك اعتبارين الأول هو رغبة روسيا استخدام إيران ضد أمريكا للعداء الموجود بينهما والرغبة في الاستفادة من قدراتها الاقتصادية والمالية، أما الثاني فهو خوف روسيا استخدام إيران ضد أمريكا الغذاء الموجود بينهما والرغبة في الاستفادة من قدراتها الاقتصادية والمالية، أما الثاني فهو خوف روسيا من تمرد إيران نظرا لموقعها الإستراتيجي الهام، وخاصة ما إذا تمكنت من الحصول على سلاح نووي من دول أخرى لذا كانت روسيا دائما تنظر إلى إيران كشريك لا يوثق فيه، ونفس الشيء بالنسبة لإيران.

وقد بدأت مسألة الملف النووي الإيراني في 1994 في حكم يلتسن، حيث تم التوقيع على بناء مفاعل بوشهر على شط الخليج، الذي كانت ألمانيا قد بدأت ببنائه وتوقفت بعد سقوط الشاه في 1979، حيث حصلت روسيا على مليار دولار لاستكمالها، وكانت دائما تدافع عن حق إيران في اكتساب التكنولوجيا النووية السلمية، وتحميها في مجلس الأمن وكانت ترفض العقوبات الدولية على إيران بحكم أنها تخفي معلومات عن الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وامتلاكها لبرنامج سري لصنع سلاح نووي الذي تعلنه أمريكا وإسرائيل، وفي سنة 2002 نشرت الوكالة الدولية للطاقة الذرية تقرير أن إيران تخالف معاهدة خطر الإنتشار النووي لعام 1968، وهي لم تعلن عن نشاطات نووية مهمة طيلة 20 عام فبدأت العقوبات الاقتصادية تفرض على إيران، والتي كانت روسيا والصين ضدها، وضد الحل

¹ - الطحلاوي، مرجع سابق.

العسكري ومهاجمة المفاعلات الإيرانية، فطالب روسيا من إيران الإفصاح عن سلمية برنامجها النووي لإزالة مخاوف المجتمع الدولي، لكنها رفضت ومع زيارة "ناتنياهو" لروسيا 2009، قدم لائحة بأسماء خبراء روس يساعدون إيران على إنتاج التقنية النووية بإغراءات مالية كبيرة، حيث شعرت روسيا أن إيران تخفي معلومات عن برنامجها خاصة أن الاتفاقية لبناء محطة بوشهر النووي هي التزام إيران بأن يكون برنامجها بإشراف من الوكالة الدولية للطاقة الذرية، فقد صرح بوتين في لقائه مع بوش في أمريكا 2007، أنه يتفق معه ضد إكتساب إيران القنبلة النووية، فاقترحت روسيا على إيران إنشاء مركز لتخصيب اليورانيوم الإيراني على أراضيها، بما يسمح باستكمال الطموحات النووية الإيرانية السلمية، لكن إيران رفضت تخصيب اليورانيوم خارج أراضيها، وإعلان أحمد نجاد عن إنشاء مراكز تخصيب جديدة، واتفقت روسيا مع أمريكا أن امتلاك إيران للسلاح النووي يهدد الأمن العالمي ويعرض معاهدة منع الانتشار للضياع، فدولا كثيرة سترغب في امتلاك السلاح، خاصة مع تصريح أحمد نجاد في 2010 أن إسرائيل ستزول من الخريطة فيما لو قررت الاعتداء على إيران أو سوريا ولبنان "ما أثر قلق إسرائيل، خاصة مع الإعلان عن زيادة التخصيب بنسبة 20% وهو في تطور يومي حيث صرح "لافروف" وزير خارجية روسيا أن بلاده أجلت تسليم إيران صواريخ أس-300 للدفاع الجوي المتفق عليه. لكي لا يزيد الأوضاع توترا في المنطقة¹.

د-القضية الفلسطينية: لقد تبع بوتين المواقف السوفيتية والقائمة على القرار 242 وحق الشعب الفلسطيني في دولته المستقلة، كما رفض الممارسات الإستطانية الإسرائيلية، كما صرّح أن الاتحاد السوفيتي اعترف بالدولة الفلسطينية منذ 25 عاما، وأنه لا تغير في السياسة الروسية في هذا الشأن²، إلا أنه أولى اهتماما أكبر. فقد دعا بوتين وفد من

¹ - زيدان، مرجع سابق، ص ص. 251-254.

² - قاسم، مرجع سابق، ص. 82.

حركة حماس لزيارة موسكو بعد فوزه في الانتخابات التشريعية 2006، وأكد على دعمه "لمحمد عباس" بمساعدة عسكرية لا تزيد عن 50 عربة مدرعة، ففي حين تعتبرها أمريكا إرهابا وترفض التعامل معها صرح لافروف: «أنهم وصلوا إلى الحكم من خلال الانتخابات ديمقراطية حرّة». كما أيد بوتين مؤتمر أنابوليس الذي انعقد في أمريكا للأطراف المعنية بالسلام في الشرق الأوسط، كما أدانت روسيا الهجمات الإسرائيلية على قطاع غزة 2009، والعدوان الإسرائيلي على لبنان 2006، الذي أسفر عن تدمير البنى التحتية وأكثر من 1500 قتيل.

وقد ساهمت القوات العسكرية الروسية في إعادة بناء الجسور التي دمرتها إسرائيل كما أيدت إنشاء المحكمة الدولية الخاصة بلبنان، لمحاكمة قتله "رفيق الحريري" والاعتقالات الأخرى، وتبرعت بـ 500 ألف دولار من أجل ذلك إلا أنه رغم ذلك لم يمنعها ذلك من إقامة علاقات مع إسرائيل، ففي سنة 2009 عملت تدريبات مشتركة على مكافحة الإرهاب، ووقعتا على عدة اتفاقيات منها بيع طائرات إسرائيلية بدون طيار لروسيا لمراقبة الحدود حول جمهورية الشيشان.

هـ-روسيا وأسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط: منذ عام 1957 وموضوع أسلحة الدمار الشامل يتفاعل في الشرق الأوسط، خاصة مع رفض إسرائيل الدخول في عضوية الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وفي 1959 عندما انضمت إسرائيل لمؤتمر نزع السلاح في جنيف، لاحظت الأطراف العربية تهرب إسرائيل من الإلتزامات، ولا تقدم معلومات واضحة عن ترسانتها وخططها، ورفضت إبرام معاهدة الحد من انتشار السلاح النووي 1970، لذا تعتبر إسرائيل والصراع العربي الإسرائيلي جوهر سعي الدول للتسلح في الشرق الأوسط خاصة سوريا، العراق، ليبيا، إيران، مصر، فاستمر التسابق على امتلاك هذه الأسلحة، وجرت حروبا في هذا الشأن، منها قصف إسرائيل لمفاعل تموز

العراقي في 1981، وغزو العراق في 2003 بحجة امتلاكها أسلحة الدمار الشامل والعدوان الإسرائيلي على مركز سوريا 2008، وكانت روسيا دائما ضد انتشار السلاح النووي وأسلحة الدمار الشامل، واحترام القانون الدولي الإنساني، كما وقع بوتين وبوش وثيقة مشتركة في "سوتشي" الوقوف في وجه انتشار أسلحة الدمار الشامل خاصة في الشرق الأوسط، كما أعلن "مدفيدف" في القاهرة 2009 عن تأييد روسيا المبادرة المصرية بجعل الشرق الأوسط منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل¹.

و- النفط والأمن القومي الروسي: روسيا من أكبر منتج للنفط وثاني مصدر للعالم بـ 40% من إجمالي الصادرات العالمية، والأولى في إنتاج وتصدير الغاز... ولها 35% من الاحتياطي العالمي، فقطاع الطاقة هو القائد في علاقات روسيا الخارجية والذي يوجهها لكونه دعامة أساسية لأمنها القومي، وأساس اقتصادها فهو الأساس لنمو اقتصادها وتطورها الاجتماعي في المستقبل، فلا مستقبل لروسيا دون تأمين حد أدنى لأسعار النفط، الذي توفر من خلاله عوائد تكفيها لتطوير باقي القطاعات، وتحقيق تحسن في مستوى دخل المواطن الروسي، والإرتقاء بالخدمات، وتطوير قدراتها الدفاعية وامتلاك قدرة على التأثير وممارسة دور فاعل إقليميا ودوليا، ويضمن استقلالية قراره الخارجي، وتعتمد روسيا في ذلك على الشرق الأوسط خاصة التعاون مع الدول النفطية منها دول الخليج وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية التي تحتل المرتبة الثانية عالميا في حجم الإنتاج بعد روسيا، والثانية في تصدير النفط، فجاء التنسيق والتعاون معها من أجل الحفاظ على إستقرار سوق النفط، وضمان حد أدنى لأسعاره، حيث يعد التنسيق فيما يتعلق بأسعار النفط قضية أمن قومي روسي².

¹ - زيدان، مرجع سابق، ص ص. 209، 210.

² - شدوى محمد إبراهيم بسيوني، "السياسة الخارجية الروسية تجاه الأزمة السورية في الفترة 2011-2016"، في:

[Democratic Arabic Centre. De/p=33933](http://DemocraticArabicCentre.De/p=33933).

ز-التعاون العسكري مع دول الشرق الأوسط: لقد كانت روسيا تسعى لإبقاء المنطقة سوق لتصدير أسلحتها، حيث كانت هذه الأسواق الأهم لروسيا، إلا أنها كانت تحرص على أن يكون لها دور في معالجة إشكاليات التسلح في المنطقة خاصة الملف النووي الإيراني، وملف أسلحة الدمار الشامل، فروسيا لم تعتمد في سياستها مع المنطقة التدخل العسكري المباشر كما هو الحال بالنسبة لأمريكا، حيث عملت على تغيير الصورة الروسية العسكرية، ولجأت إلى الدبلوماسية في تعاملها مع الدول، ففي المجال العسكري وصل إلى حدّ التعامل مع إسرائيل، بشراء طائرات بدون طيار منها، ويقول مدير الشركة الروسية لتصدير الأسلحة: «إن الشرق الأوسط هو السوق الأهم بالنسبة لروسيا، ويشمل التعاون مع العرب في كلّ المجالات». حيث تم توقيع العديد من الاتفاقيات خاصة فيما يخص شراء السلاح الروسي، وإنشاء مفاعلات نووية لأغراض سلمية، مع كلّ من اليمن، السودان، ليبيا، الكويت، الإمارات العربية المتحدة، الأردن، لبنان، ووقعت مع معمر القذافي 2008 اتفاقية تضمنت تعاون في مجال الطاقة النووية السلمية وتصدير سلاح روسي إلى طرابلس بقيمة ملياري دولار أمريكي، وتوقيع اتفاقية مع مصر لفتح باب المشاركة الروسية في البرنامج النووي المصري، وتصدير بعض المعدات العسكرية ودول الخليج، فوقع ملك البحرين في روسيا 2008 اتفاقية تنص على إقامة مركز نووي سلمي في المنامة، وبلغ سنة 2009 التبادل التجاري بين إمارات العربية وروسيا مليار دولار خاصة في المجال العسكري، وإطلاق قمر صناعي إماراتي بواسطة صاروخ روسي "بروتن أم"، وتسليم الإمارات صواريخ عسكرية من طراز "باستير أس-1" و2009 اتفاقية بين السعودية وروسيا وتزويد سلاح متطور جدًا للسعودية بقيمة 2 مليار دولار وأسلحة دفاعية وصواريخ "أس-400" المضادة للطائرات، وكذلك بالنسبة لليبيا 2010 الاتفاق على تسليم روسيا لطرابلس أسلحة بقيمة 1.8 مليار دولار، وكذلك سوريا تعتمد على روسيا بنسبة 85% من تسليحها، منها اتفاقية 2007 وتزويدها بمقاتلات سوخري

27، ووسائل دفاع جوي، صواريخ مضادة للدبابات بقيمة 10 مليار دولار أمريكي وبالمقابل وافقت سوريا تطوير القاعدة العسكرية الروسية في ميناء طرطوبين على الساحل السوري¹. فقد نجحت روسيا في استعادة مكانتها كأول مصدر للسلاح، بعدما كانت من قبل تحتل المرتبة الخامسة، وقد شكل السلاح عائداً مالياً تجاوز 8 مليار دولار سنة 2008 نظراً لتعاملها مع دول أخرى، كسببت من خلاله أسواق جديدة

المرحلة الثالثة: السياسة الخارجية الروسية في الشرق الأوسط في عهدة بوتين الثالثة بداية 2012:

وهي الفترة التي صادفت الربيع العربي، وقد قامت روسيا بوضع وثيقتان تحكمان سياسة خارجية، وهي وثيقة مبادئ السياسة الخارجية، والعقيدة العسكرية التي وضعت 2002، وتم تجديدها في 2012 حيث حافظت على مجموعة من الثوابت، وغيّرت مجموعة من التوجهات تستند عليها سياستها الخارجية وإخراج روسيا من عزلتها لتشكّل نقلاً إقليمياً في ظلّ كلّ تلك الأحداث، خاصة ما تشهده منطقة الشرق الأوسط من فوضى جراء الربيع العربي، حيث عملت روسيا على إعادة ترسيم محددات أولويات سياستها الخارجية فيما يعرف بمبادئ السياسة الخارجية لفترة 2013-2020، والتي تقوم أساساً على الحفاظ على ثلاث قوى لروسيا كقوة نووية، روسيا كقوة كبرى في العلاقات الدولية، روسيا كقوة مؤثرة في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية، وسياسة خارجية براغماتية منفتحة، وتحقيق حماية أمنها ومصالحها القومية دون الدخول في مواجهات ونزاعات، ومراعاة الدور المحوري للأمم المتحدة، وسيادة القانون الدولي... إلخ.

والتأكيد على حاجة العالم لنظام دولي متعدد الأقطاب، واستخدام روسيا القوة ضدّ أي محاولة تمس بمصالحها وأمنها القومي، وأن أي تهديد نووي أو يعادل التهديد النووي

¹ - زيدان، مرجع سابق، ص ص. 236، 237.

ستواجهه بضرية نووية ضد مصدر من التهديد (هذا جاء ضمن تجديد الوثيقة العسكرية) وجاءت في هذه الوثيقة أيضا عزم روسيا رغم الأوضاع التي تعيشها المنطقة جراء الربيع العربي على تطبيع العلاقات مع دول المنطقة، والمحافظة على السلم المدني، والوفاق بين بلدان المنطقة على أساس احترام سيادة الدول ووحدتها ورفضت التدخل الخارجي في شؤونها الداخلية، كما تطرقت إلى الصراع العربي الإسرائيلي وإصرارها على تسوية النزاع على أساس عملية سلمية بالحوار، تؤدي لقيام دولة فلسطينية تعيش بسلام إلى جانب إسرائيل وسعيها لتحويل المنطقة الى منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل ووسائل إيصالها وتسوية الملف النووي سلميا، وتعزيز علاقاتها مع منظمة التعاون الإسلامي وجامعة الدول العربية ومجلس التعاون الخليجي¹.

ومن خلال ما قيل يتضح أن السياسة الخارجية الروسية في الشرق الأوسط تقوم على أسس غير واضحة، فلا تملك إستراتيجية ثابتة وواضحة فهي متغيرة، وهذا ما يؤكد أن عامل المصلحة هو الذي يفرض ذلك، فهي تقوم بإزعاج الولايات المتحدة الأمريكية حيناً، وتؤيدها أحيانا أخرى، وتقوم بتزويد معظم الجيوش العربية بالأسلحة، لكنها مع قرار جعل المنطقة خالية من الأسلحة النووية، وهي ترفض السياسة الإسرائيلية في المنطقة كعدوانها على لبنان وقطاع غزة، وتدعم حزب الله وحركة حماس، إلا أنها على علاقات جيدة بإسرائيل، وغيرها من المواقف المتباينة، ثم جاء الربيع العربي، وعزز هذه الفكرة وأكد على عدم ثبوت ووضوح السياسة الروسية في الشرق الأوسط وأن عامل المصلحة هو الذي يحركها، وهذا ما سيتم عرضه فيما يلي:

¹ - أحمد سيد حسين، "السياسات الروسية تجاه الشرق الأوسط"، مجلة الديمقراطية، ع.52، في:

Democracy.ahram.org.eg/news/795.

3-الموقف الروسي من الحراك في الشرق الأوسط:

مع اندلاع الحراك العربي 2011 اختارت روسيا الموقف الأكثر تحفظاً بين المواقف الدولية، حيث كانت مواقفها، ضمن مبدأ أساسها القائم على النهج البراغماتي، وقد تم التعبير الأحداث بطريقة سلبية في الإعلام الروسي، حيث استخدم مصطلحات مثل ثورة، تمرد صدامات، مصور الأمر أنه نزاعات أهلية أكثر منه انتفاضة شعبية، حيث صرح الرئيس الروسي "مدفيدف ميتري": «هذه الدول صعبة المراس، ومن المرجح جداً أن يحمل لها مستقبل تلك الأحداث أوقاتاً عصيبة بما في ذلك أن يقفز إلى السلطة المتطرفين، ما يعني أن هذه الدول ستعيش في حروب لعقود مقبلة وينتشر فيها الإرهاب، وقد تجزأ إلى دويلات». وقد جاءت المواقف الروسية غير متناسقة ومختلفة من حالة لأخرى حسب ما تقتضيه المصلحة الروسية، إلا أنها من البداية حذرت من خطر وصول الإسلاميين للسلطة¹.

-الموقف الروسي من الحالة التونسية: تعتبر تونس شريكاً تجارياً بالنسبة لروسيا حيث تجاوز التبادل التجاري بينهما مليار دولار 2010، إلا أنه مع اندلاع الأحداث في تونس لم تولي القيادة الروسية اهتماماً بها، إلا أنه تفاجأت للسقوط السريع لبن علي. وأخذت تتحرك بشكل إيجابي وأيدت التغير الديمقراطي في تونس، ومع سقوط النظام أخذت خطوة لبناء موقفها السياسي حيث قال ميدفيدف: «ما حدث في تونس هو برأيي درساً جوهري غاية في الأهمية لأي سلطة في العالم، السلطة ينبغي أن لا تكتفي بالإنجازات التي حققتها، وتجلس على كرسي مريحة متجاهلة، مجتمعها، بل ينبغي أن ترتقي سوريا مع مجتمعها»، إلا أن روسيا كانت متخوفة من وصول الإسلاميين للحكم، خوفاً من التطرف الإسلامي الذي سيحرك الجماعات الإسلامية في القوقاز، كذلك تخوفت من

¹ - عاطف معتمد عبد الحميد، روسيا والعرب...أوان البرغماتية ونهاية الإيديولوجيا (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص.9.

التهميش الذي قد يحصل مع فوز في الانتخابات جماعات لا يكون ودا للسياسة الروسية، ولهم صداقات مع الغرب، حيث صرّح بوتين «أن روسيا لن تسمح بتخطي مصالحها في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا»، إلا أن روسيا لم تكن متحمسة لما يحدث في تونس، ما أدى إلى تراجع روسيا لدى الدول والشعوب العربية، رغم أنها أعلنت تأييدها للديمقراطية¹.

-الموقف الروسي من الحالة المصرية: لقد نالت الأحداث في مصر اهتماما أكبر من قبل روسيا حيث كانت العلاقات المصرية. الروسية متقدمة خاصة العلاقات التجارية فمع بداية الأحداث أطلق القادة الروس تصريحات حذرة، عبّرت عن عدم رضاها لما يجري من حراك احتجاجي في مصر، خوفا من تطور الأحداث حيث دعا ميدفيدف "ضرورة التوصل لقرار سلمي في مصر، ورغم أن إسقاط نظام مبارك قد يشكل فرصة لروسيا، أي ظهور نظام جديد مختلف عن نظام مبارك الموالي لأمريكا كما تحدثت روسيا عن أضرار التدخل الخارجي رغم أنه لم يكن موجودا، وكانت متخوفة من وصول حكام إسلاميين متطرفين للحكم، وما زاد الأمر خوفا لدى السلطة الروسية ظهور شعارات مؤيدة للثورة المصرية من قبل المتظاهرين في روسيا الذين احتجوا على تزوير الانتخابات التشريعية في روسيا 2010، كما أن ما أثار غضب بعض التحركات الشعبية هو إعلان روسيا ارتباطها بالأجندة الأمريكية لتغير المنطقة وإحداث تحولات تستهدف المصالح الروسية، وبعد تنحي مبارك، غيرت روسيا موقفها، ودعمت المتظاهرين وأعلنت عن رغبتها في التعاون مع النظام الجديد².

-الموقف الروسي من الحالة اليمنية: بدأت الاحتجاجات اليمنية المطالبة بتغيير عبد الله صالح، الذي تثبت بالسلطة 33 عاما، والذي أعلن أنه يحارب الإرهاب، وتنظيم

¹ - زيدان، مرجع سابق، ص ص. 282، 283.

² - راشد، مرجع سابق، ص. 34.

القاعدة، وبعد ارتكاب قواته مجزرة بحق المدنيين 2011/03/18 بدأ الدعم الغربي والدولي يتناقص، وظهرت نداءات تطالبه بالرحيل، من ضمنها روسيا، التي تربطها باليمن علاقات اقتصادية، سياسية وعسكرية، وجاء الموقف الروسي مؤيداً لمبادرة الحل أطلقتها دول الخليج العربية، أي خروج عبد الله صالح من الحكم، وتسليم السلطة لنائبه عبد ربه منصور هادي، وإجراء انتخابات رئاسية وهذا ما حصل في 2012/02/21 حيث قال بوتين: «إنّ معظم أحداث العالم العربي لا تأخذ منحى حضاري»، مركزاً على الخسائر الاقتصادية جراء ذلك، وقد اقترحت روسيا من خلال مبعوثها "سيرجي فرشينين" إلى صنعاء لإجراء حوار بين السلطة والمعارضة، مما عرض روسيا لانتقاد واسع، من المعارضة، لدعوة روسيا للحوار مع الرئيس "صالح" ولم تطالب برحيله، رغم تضرر الشركات الروسية إلا أن الارتباط التجاري العسكري لم يتوقف فمعظم السلاح اليمني من منشأ روسي، وبالتالي يحتاج لتجديد وقطع غيار، والعقود الموقعة لم تلغى مع التغير الذي حدث، ومنه احتجاج روسيا على الحكومة اليمنية الجديدة عن النشاط العسكري الأمريكي في قاعدة العبد "العسكرية" في 2012/09/15 التي تحتوي على تجهيزات ومعدات عسكرية-روسية، حيث أن الاتفاقيات بين البلدين تمنع عرضها أمام قوى أجنبية¹.

-الموقف الروسي من الحالة الليبية: تربط روسيا بليبيا عدّة مشاريع وصفقات، ومع بداية الأحداث تخوفت الروس من الخسارة فحاولوا التوسط لحل الأزمة وإجراء حوار بين القذافي ومعارضيه، فروسيا لم تؤيد التظاهرات والاحتجاجات، واكتفت بالدعوة لوقف إراقة الدماء، والدعوة بعدم التدخل الخارجي، فعارضت أي قرار دولي حول ليبيا خشية أن يؤدي التدخل خاصة العسكري لدخولها في حرب أهلية، ونمو المتطرفين، مما يؤدي إلى زيادة التوتر والفوضى لعقود طويلة، كما أعلن بوتين الذي كان رئيس الحكومة 2011:

¹ - زيدان، مرجع سابق، ص ص. 286، 287.

«إن التدخل الخارجي في ليبيا سيؤدي إلى ظهور الإسلاميين، والذي قد يؤثر بشكل سلبي على الأقاليم المحيطة بالمنطقة كشمال القوقاز، وقد تعرض ميدفيديف لانتقادات داخلية نتيجة عدم استخدامه حق النقض لمنع صدور قرار مجلس الأمن الدولي رقم 1973، بشأن ليبيا، خاصة من بوتين الذي رأى أن القرار معيوب ومدمر لأنه يسمح بكل شيء ويذكر بدعوات من القرون الوسطى، إلى شن حملات صليبية، ويحيز التدخل في أراضي دولة ذات سيادة»¹. كما رفضت روسيا الاعتراف بالمجلس الوطني الانتقالي الذي تشكل في 27 فيفري كممثل شرعي ووحيد للشعب الليبي رغم الاعتراف الدولي والعربي به، ورفضت الانضمام لمجموعة الاتصال الدولية بشأن ليبيا رغم أنها تضم 40 دولة ومنظمة للأمم المتحدة وجامعة الدولة العربية، والاتحاد الإفريقي، ثم انتقل الموقف الروسي لإعلان مدفيديف أن نظام القذافي، قد فقد شرعيته ويجب أن يرحل، كما رفضت استضافته في روسيا، والتردد الروسي وضعها في خانة المعارضين للتغيير والداعي للإصلاح فقط، فروسيا لم تستطيع الحفاظ على النظام، ولا نسج علاقات جيدة مع السلطات الجديدة، حيث تحولت معظم المشاريع التي كانت للشركات الروسية إلى الشركات الغربية خصوصا فرنسا وإيطاليا، دون إعطاء روسيا أي امتيازات ثم وافقت روسيا على قرار مجلس الأمن رقم 1970 الذي ينص على إنهاء قصف المدنيين وفرض حصارا اقتصادي عسكري شامل على السلطات الليبية، وتم إحالة الملف الليبي إلى محكمة الجنايات الدولية، ومع ممارسة استخدام القذافي العنف، تقدمت فرنسا بالمطالبة للتدخل لإنقاذ الوضع واستطاعت فرنسا وبريطانيا إقناع روسيا والصين عدم استخدام الفيتو ضد القرار أثناء التصويت، ثم صدر القرار 1973 عن مجلس الأمن الذي يتضمن وقف إطلاق النار لم توافق روسيا عليه ولم تصوت لكن دون استخدام حق النقض، ومع بدأ القصف على ليبيا، رفضت روسيا الإشتراك في الحملة العسكرية على

¹ - راشد، مرجع سابق، ص.35.

قوات القذافي، وصرّح "لافروف": «بما أن حلف الأطلسي باشر بتطبيق القرار 1973 حول ليبيا، فعليه احترام القانون الدولي». ومع تطور الأحداث أدانت روسيا قوات الأطلسي واتهمتها بتجاوز المهمة الموكلة إليها، حيث صرّح وزير الخارجية "ألكسندر غروشكو": «أن قوات الأطلسي خرجت عن مندرجات القرارين 1970-1973»، وقد راحت أعداد كبيرة من المواطنين الأبرياء جراء الأخطاء التي ارتكبتها القوات الدولية، كما اعترضت روسيا عن الطريقة التي تم فيها القضاء على القذافي.

وعندما احتجز 25 مواطن روسي في ليبيا، طالبت روسيا الإفراج عنهم، ولم يستجيبوا لمطالبها وحكم عليهم بـ 10 سنوات بتهمة مساعدة قوات القذافي، حيث خرجت روسيا من ليبيا دون أن تكسب شيئاً، ونفس الشيء بالنسبة لليمن، مصر وتونس، فروسيا لم تتبنى إستراتيجية واضحة للتعامل مع هذه الأحداث، حيث كانت ضد التغيير، ولم تضع أي خطة لإيقافه، وأبدت رغبة في الإصلاح، ولم تضع أي مبادرة لذلك، ومنه بدأت روسيا تفكر في كيفية الحفاظ على ما تبقى من مصالحها في المنطقة (سوريا)، وكيفية التعامل مع الأوضاع¹، وهناك العديد من المحددات التي من شأنها إيضاح هذه المواقف المتذبذبة وغير الواضحة التي تبنتها روسيا تجاه هذه الدول ومنها:

4-محددات المواقف الروسية المتباينة تجاه الحراك:

- المصالح الروسية لقد تعاملت روسيا مع الدول على أساس عامل المصلحة، خاصة الاقتصادية، ففي تونس واليمن حيث حجم تعاونها العسكري محدود للغاية، وعدم الاستقرار فيها لن يشكل خسائر لروسيا، على خلاف ليبيا وسوريا التي لها استثمارات كبيرة، والتي ستتأثر روسيا بعدم الاستقرار فيها، فمبدأ عدم التدخل في الشؤون

¹ - زيدان، مرجع سابق، ص ص. 288-293.

الداخلية للدول وغياب الصيغة الإيديولوجية للسياسة الروسية، و سعيها لتحقيق مصالحها في المنطقة من خلال التعاون والشراكة دون هيمنة مباشرة تشكل محددًا أمام روسيا في مواقفها تجاه الحراك في المنطقة.

- إن ما تشهده روسيا من توترات وعدم استقرار خاصة في القوقاز، واستخدامها القوة للقضاء على ما أطلقت عليه التمرد الشيشاني، لا يمكنها أن تتهم النظم العربية باستخدامها القوة، بقمع المعارضة الداخلية، كما أن روسيا رغم ما حقته من تقدم وتحسين الأوضاع مقارنة، لما كانت عليه مازالت تشهد احتجاجات من حين لآخر مطالبه بمزيد من الحريات والديمقراطية، حيث وجهت عدّة انتقادات لحزب روسيا الموحدة الحاكم لإدارته للانتخابات المحلية في مارس 2010 من قبل الحزب الشيوعي، والحزب الليبرالي الديمقراطي، وحزب روسيا العادلة، واتهام حزب روسيا الموحدة والسلطات المحلية، بتزوير نتائج الانتخابات فتأييد مثل هذه الأوضاع للدول الأخرى، قد يشجع الاحتجاجات الداخلية وتهدد الاستقرار السياسي في روسيا والنظام القائم¹.

- لقد استطاعت روسيا إعادة بناء علاقاتها مع عدد كبير من الدول العربية، من حلفائها التقليديين، وشركاء جدد، لذا فهي تسعى للحفاظ على هذه المصالح وتتميتها وتسعى لمكاسب اقتصادية بالدرجة الأولى لا سياسية ولا عسكرية، فالمنطقة سوق مهمة ذات قوة استعابية كبيرة للصادرات الروسية من السلع، المعدات، الحبوب... إلخ وهناك العديد من الاتفاقيات والمشاريع التي تم الاتفاق على إنجازها، ستتأثر نتيجة عدم الاستقرار، إمّا بالتأجيل أو الإلغاء، لذا أعربت عن رغبتها في استقرار الأوضاع في المنطقة وغير ذلك يضرّ بمصالحها المباشرة في المنطقة، كما أن روسيا لا تجد

¹- نورهان الشيخ، "الموقف الروسي من الثورات العربية... رؤية تحليلية"، في:

www.albayan.co.uk/Fileslib/articleimages/Takrir/4-9pdf.p.283-285

إشكالا في التعامل مع الدول العربية ككيان واحد ولا يزعجها الأمر عسى قوى أخرى التي تجد في مصالحها ضرب الوحدة العربية، ومنه زيارة مدفيدف وبوتين، لجامعة الدول العربية¹.

- كذلك تخوف روسيا وتشكيكها من حقيقة هذه الأحداث التي اعتبرتها مؤامرة غربية لخلق الفوضى في المنطقة والتي تستهدف روسيا بالدرجة الأولى، حيث جاءت العديد من الآراء داخل روسيا خاصة الإعلاميين وبعض الساسة التي ترى أن الهدف من هذه الأحداث هي محاصرة روسيا وإزالة حلفائها في الشرق الأوسط، وتجريد قواعدها في المتوسط، واستهداف مرور خطوط الطاقة من العراق، وإيران وقطر إلى أوروبا عبر المتوسط.

- كذلك موقفها ذات محددات أمنية الخوف من الفوضى انتشار الإرهاب إلى آسيا الوسطى، وروسيا، وتنامي التنظيمات المتطرفة في كل من ليبيا، سوريا، العراق.

- الرغبة في تأكيد مكانتها كقوى عظمى عالمية، وشريك لحل القضايا الدولية التي اعتبرتها روسيا فرصة إستراتيجية خاصة مع السياسة الحذرة التي انتهجها أوباما بالخصوص في سوريا.

- لقد سعت روسيا لاستخدام مكانتها الإعلامية والدبلوماسية للترويج على أن الربيع العربي هو استمرار للثورات الملونة المدعومة غريبا، لخلق الفوضى، والتي بدأت بثورة الورود في جورجيا 2002، والبرتقالية في أوكرانيا 2004، والسوسن في قرغيزستان 2005، حيث أكد بوتين أن روسيا ستعمل على منع بروز مثل هذه الثورات في روسيا وآسيا الوسطى، فمع تشابه الظروف الاقتصادية تخوفت روسيا من انتقالها إليها².

¹ - راشد، مرجع سابق، ص ص 47-50.

² - سامر إلياس، "العلاقات العربية الروسية وامتحان ربيع الثورات الصعب"، في:

المطلب الثاني: تأثير السياسة الروسية على مسار الأزمة السورية.

1-العلاقات الروسية السورية:

إن افتتاح القنصلية الروسية في دمشق أواخر القرن 18 تشكل نقطة انطلاق العلاقات الرسمية بين البلدين، ثم فتح روسيا قنصلية لها في ميناء الأذقية، وسنة 1917 مع انهيار الحكم القيصري في روسيا باندلاع ثورة البلاشفا، وظهر الاتحاد السوفيتي التي تبنت سياسة خارجية تقوم على العزلة الدفاعية، في حين كانت معظم الدول العربية خاضعة للاستعمار العربي، فكانت العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والدول العربية سلبية من ضمنها سوريا، كما كانت روسيا ستشارك في اتفاقية سايس بيكو لتقسيم الدول العربية لولا قيام الثورة في روسيا البلشفية كما تأثرت العلاقات بين البلدين من موقف الاتحاد السوفيتي من مشكلة لواء الإسكندرونة، حيث أيد الاتحاد السوفيتي قرار عصبة الأمم بتسليمها إلى تركيا لضمان مرور سفنها من المضائق التركية، ومع نتائج الحرب العالمية الثانية وتراجع القوى التقليدية فرنسا، بريطانيا، واستقلال معظم الدول العربية ومن ضمنها سوريا 1944، حيث كان السوفيات من أوائل الدول اللذين اعترفوا باستقلالها، ومنه بدأت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، وعملت روسيا على إدراج سوريا في قائمة الدول المؤسسة لهيئة الأمم المتحدة، كما أيدت مطالب سوريا بسحب القوات البريطانية والفرنسية من أراضيها 1946 بصفته عضوا دائما في مجلس الأمن الدولي، كما رفضوا أي نفوذ لأي دولة أوروبية في سوريا لما تشكله من مخاطر على مصالحه، كما احتج السوفييت على ضرب فرنسا لدمشق ودعا الدول الكبرى المتحالفة لوقف العمليات الحربية في سوريا، والحل السلمي، وفي إطار الصراع بين المعسكرين الغربي والشرقي حيث انقسمت الدول العربية إلى مؤيدة لأحد الطرفين أو الحياد فاختارت سوريا السوفييت خاصة مع رفض العرب أميركا إعطائها السلاح ودعمها لإسرائيل فلجأت إلى السوفييت للحصول عليه لمواجهة الاعتداءات الإسرائيلية ومنه تعززت العلاقات

بين البلدين¹، فقام الاتحاد السوفياتي في 1957 بتشديد 63 مشروعاً منها: سلسلة المحطات الكهرومائية على نهر الفرات، والمنشأة المائية مع المحطة الكهرومائية، والمحطة الكهروحرارية، واكتشف السوفييت حقول النفط في شمال شرق سوريا، فقام بإنشاء خط أنابيب لنقل المشتقات النفطية بين حمص وحلب بطول 180 كلم، كما وصلت العلاقات لمرحلة التحالف الاستراتيجي خاصة مع حافظ الأسد للحكم 1970²، ومع طرد السوفييت من مصر في 1971 وجدت في كل من العراق وسوريا بديلاً لها، حيث قدمت دعماً سياسياً كبيراً لسوريا في المحافل الدولية، وساهمت في بناء البنية التحتية للاقتصاد السوري في مجال الطاقة، الري... إلخ كما تعززت العلاقات الثقافية بإنشاء السوفييت جمعية العلاقات الثقافية حيث تقوم روسيا بإرسال الميئات من الطلاب للدراسة مما عزز الروابط الثقافية بين سفارتي البلدين، والقنصليات... إلخ، كما يتم التوقيع على اتفاقية التعاون الاقتصادي والتقني، وشكلت اللجنة الروسية السورية المشتركة، الخاصة بالتعاون في مجال التجارة والاقتصاد والعلم والتقنيات، كما تم إنشاء مركز الدعم المادي والتقني للأسطول البحري السوفييتي في ميناء طرطوس³، حيث تشكل هذه القاعدة ركيزة العلاقات بين البلدين، فهي القاعدة الوحيدة لروسيا على شواطئ البحر الأبيض المتوسط والتي وجدت منذ 1971، واستمرارها كلف لروسيا خسائر كبيرة منها إعفاء سوريا من ديونها، كون روسيا تعاني من ضعف في ممراتها المتجمدة (القطب الشمالي، بحر البلطيق)، وميناء طرطوس حقق وصولها للمياه الدافئة ومع انهيار الاتحاد السوفييتي تراجعت العلاقات بين البلدين، إلا أن محبّي بوش للحكم عمل على استئناف العلاقات مرة أخرى، ومنها إعادة فتح القاعدة البحرية الروسية في ميناء طرطوس وعقد صفقات عسكرية مع سوريا، وتجديد الأسلحة وعتاد الجيش... إلخ، حيث تشكل سوريا

¹ - مايسة محمد مدني، "التدخل الروسي في الأزمة السورية"، مجلة كلية الاقتصاد العلمية، ع.4، (جانفي 2014)، ص 203، 204.

² - ممدوح عبد المنعم، روسيا تنادي بحق العودة على القمة (القاهرة: الأهرام للترجمة والنشر، 2013)، ص.466.

³ - مدني، مرجع سابق، ص.205، 206.

شريكا تجاريا مهما لروسيا، فتشكل التجارة بينهما 20% من إجمالي التجارة العربية الروسية وارتفعت التجارة بين البلدين إلى 1.92 مليار دولار 2011، بزيادة تصل إلى 58% عن عام 2010، ففي هذه السنة قام مديفيد بزيارة روسيا والاتفاق على تعزيز الشراكة الإستراتيجية بين البلدين والاتفاق على التعاون في شتى المجالات، النفط، الغاز النقل الطاقة الكهربائية والذرية والتكنولوجية، والمعلومات والفضاء وحتى السياحة، حيث بلغت الاستثمارات الروسية في سوريا 20 مليار دولار، وتعتبر الشركات الطاقوية الروسية في سوريا من أبرز الشركات العاملة فيها الشركة سويو منتغاز، تانتفت، وفروع لشركة غاز بروم...، كما تشكل سوريا سوقا مهما للسلاح الروسي فنصيب سوريا من السلاح العسكري الروسي بلغ 7% 2010 بقيمة 700 مليون دولار، وتم عقد صفقات عسكرية بقيمة أربعة مليارات دولار حتى عام 2013، منها 960 مليون دولار لـ 2011، و 550 مليون دولار لـ 2012 حيث قدر مركز تحليل الإستراتيجيات والتكنولوجيا في روسيا (كاست)، المبيعات العسكرية من 2006-2013 حوالي ثمانية مليارات دولار، كما وافقت روسيا على بيع سوريا صواريخ جو دفاعية متطورة رغم اعتراض أمريكا وإسرائيل.

كما تربط البلدين مساندة دبلوماسية، حيث ساندت روسيا سوريا في العديد من المحافل والمنابر الدولية خاصة الدعم الكبير للنظام السوري خلال الأزمة السورية، كما أن سوريا أعلنت عن تأييدها للعملية العسكرية الروسية في جورجيا 2008، وتأييدها للعب دور في التسوية العربية الإسرائيلية، ومساندة السياسات الروسية في الصراع الداخلي في الشيشان وداغستان¹.

إن العلاقات الروسية في سوريا ذات طبيعة سياسية، إستراتيجية، عسكرية، اقتصادية تجارية وأهمها الاحتفاظ بقاعدة طرطوس، التي تعمل روسيا على تطويرها وتوسيعها، حتى

¹ - وليد عبد الحي، محددات السياستين الروسية والصينية تجاه الأزمة السورية (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2012)، ص.6.

تزيد من حضورها في البحر المتوسط، ففي حين تخطط أمريكا لنشر درع صاروخية في بولندا، وافق بشار الأسد 2008 من تحويل الميناء إلى قاعدة ثابتة للسفن النووية الروسية في الشرق الأوسط، ومن 2009 تقوم روسيا بتحديث القاعدة وتوسيع الميناء ليستقبل سفن عسكرية أكبر حجماً¹.

بعد عرض لمحة عن العلاقات الروسية السورية سيساعد على فهم الموقف الروسي من الأزمة السورية ودعمه الكبير للنظام السوري في إطار هذه العلاقات الكبيرة المبنية على المصالح والقائمة بوجود الأسد، والتي تخاف روسيا زوالها بزواله.

2-الموقف الروسي من الأزمة السورية:

لقد أبدت روسيا أهمية خاصة تجاه الثورة السورية منذ إندلاع الاحتجاجات فيها، حيث أكدت على حق الشعب السوري في الحرية والتغيير، على أن يكون سلمي، والدعوة للحوار والحل السياسي، حيث وجهت القيادة الروسية عدّة انتقادات للنظام السوري لاستخدامه القوة في قمع المظاهرات، وطالبت الأسد بإجراء إصلاحات في النظام السياسي، إلاّ أنّه رغم ذلك فإنّ الموقف الروسي منذ بدايته يدعم ويؤيد النظام السوري²، خاصة أمام المجتمع الدولي يمنع أي عقوبات دولية عليه حيث أعلن مدفيديف 2011 رفض روسيا للعقوبات التي يفرضها مجلس الأمن على النظام السوري، وحذر وزير الخارجية لافروف بأن روسيا لن تسمح بأي استفزازات تهدف لتغيير النظام الحاكم في سوريا: «إنّنا لن نعتقد بوجود قمع تلك التظاهرات، كما أنّنا لن نسمح لمجلس الأمن بالتدخل العسكري في سوريا»، وكان رد فعل المتظاهرين عنيف وحرقوا الأعلام الروسية في العديد من المدن السورية، كما خصصوا يوم 2011/09/13 كيوم خاص عبّرو فيه عن غضبهم من روسيا، وقد أشار "نجيب جادبيان" من المعارضة السورية في المجلس الوطني لقناة الحرّة في 03 فيفري 2012 أن هناك

¹ - ممدوح، مرجع سابق، ص.469.

² - بسبوني، مرجع سابق.

محادثات بين المجلس الوطني والروس لطالما انتهم: «أن العلاقات الروسية السورية ستستمر بعد سقوط نظام الأسد وتشكيل حكومة جديدة في دمشق»، إلا أن روسيا استمرت في دعم النظام، وهذا ما يؤكد أن المسألة تتعدى قضية المصالح.

لقد أكد لافروف 2011: «روسيا ستقوم بكل ما في وسعها للحيلولة دون تكرار سيناريو ليبيا في سوريا، فحين امتنعت روسيا والصين عن التصويت في مجلس الأمن عن قرار فرض حظر جوي على ليبيا، قامت أمريكا وحلف الناتو بدعم المعارضة لاسقاط القذافي، حيث تخوفت روسيا من تدخل مماثل للناتو، وتكون النتائج مماثلة وسقوط حليفها السوري في الشرق الأوسط، فضلا عن المصالح الاقتصادية الكبيرة، خاصة عائدات مبيعات السلاح، وقاعدة طرطوس، كذلك خوفا من انتشار العدوى إلى محيطها الحيوي خاصة داغستان ومناطق القوقاز الشمالية و يشير أيضا الى أن سوريا من أهم الدول في الشرق الأوسط و إن زعزعة الإستقرار هناك ستكون له عواقب وخيمة في مناطق بعيدة جدًا عن سوريا بنفسها». فروسيا تعتبر سوريا حيز الزاوية في امن المنطقة وإستقرار منطقة الشرق الأوسط وطالما اعتبرت مفتاح المنطقة، وعدم الإستقرار فيها يؤدي إلى زعزعة الأمن وتهديد حقيقي لأمنها القومي، وتكررت دعوتها لوقف العنف في سوريا، وإجراء إصلاحات سياسية واجتماعية، كما حذر مدفيدف أن روسيا قد تغير من موقفها في سوريا إذا فشل الأسد في إقامة حوار مع المعارضة¹، ولكن رغم ذلك فإن المواقف الروسية من الأزمة السورية من 2011 إلى غاية 2016 جاءت مؤيدة للنظام وذلك من خلال تقديم الدعم الاقتصادي الدعم السياسي الدبلوماسي، وصولا إلى الدعم والتدخل العسكري.

أ-الدعم الاقتصادي الروسي للنظام السوري: لقد أكدت روسيا رفضها العقوبات الأمريكية والأوروبية على سوريا، حيث رفضت مشروع القرار المقدم إلى مجلس الأمن في 24 أوت

¹ - راشد، مرجع سابق، ص ص. 41-45.

2011 لفرض عقوبات على سوريا وهددت باستخدام الفيتو ضده الذي تضمن خطراً كاملاً على تزويد سوريا بالسلاح، وتجميد أرصدة العديد من المسؤولين السوريين منهم الأسد حيث استمرت في علاقاتها الاقتصادية والتجارية مع سوريا ودعمتها لمواجهة العقوبات الأمريكية والأوروبية والعربية، كما قامت روسيا بطبع أوراق نقدية سورية جديدة بعدما رفضت الشركة التابعة للبنك المركزي النمساوي الطبع بعد العقوبات التي فرضها الاتحاد الأوروبي على سوريا، كما أعلنت روسيا عن رفضها لهذه العقوبات، حيث قال "يوشنكا" عضو مجلس الشعب الروسي "ليس لدى روسيا خيار إلا دعم الحكومة السورية، ومهما أظهر الغرب عناده وقوته، فإن روسيا ستواصل عن طريق هيئة الأمم والمنظمات الدولية. كما عملت روسيا على تأمينها القمح والمواد الغذائية التي تحتاجها سورية، وقدمت مساعدات إنسانية بلغت نحو ثلاثة أطنان من المواد الغذائية، والأدوية وحليب الأطفال... إلخ، لإثبات للمجتمع الدولي وقوف روسيا أمام سوريا شعباً وحكومة. وبعد العقوبات الأمريكية والعربية والتركية 18 أوت 2012، قام وفد برئاسة "قذافي جميل" نائب رئيس الوزراء السوري للشؤون الاقتصادية آنذاك بزيادة روسيا للحصول على مساعدتها لتخطي الأزمة الاقتصادية بعد العقوبات المفروضة عليها، وتم الاتفاق على تقديم قرض، وكمية من العملة الصعبة، مع الاستمرار في تصدير النفط ومشتقاته إلى سوريا، كما ستقوم إيران، روسيا، الصين بدعم النظام مالياً بمقدار 500 مليون دولار شهرياً من المعاملات المالية ستشمل صادرات النفط وخطوط تأمين مفتوحة¹.

ب-الدعم السياسي والدبلوماسي الروسي للنظام السوري: لقد اعتبرت روسيا أن الحل الوحيد لحل الأزمة السورية هو الحوار السوري الوطني فقد أبدت الإصلاحات التي أعلنها الأسد، وأعلنت أنه من الضروري إعطاء القيادة السورية وقتاً كافياً، لتطبيق هذه الإصلاحات كما اتصلت بالمعارضة السورية وحاولت إقناعها ببدء الحوار مع السلطات السورية، ودعت الأسد إلى الانتقال من الأقوال إلى الأفعال في عملية الإصلاح، إلا أن روسيا لم تتوقف عن

¹ - بيسيوني، مرجع سابق.

تقديم الدعم السياسي والدبلوماسي للنظام واستخدام حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن أكثر من مرة دفاعاً عنه، حيث استخدمت روسيا ومعها الصين الفيتو الأول في 5 أكتوبر 2011 ضد قرار مجلس الأمن الذي هدد النظام السوري بعقوبات شديدة نتيجة اعتقال المتظاهرين، فساد الغضب من قبل العواصم الأوروبية، برلين، واشنطن، لندن، باريس ضد موقف موسكو وبكين، فتعرضت روسيا والصين لانتقادات دولية وعربية كبيرة لوقوفها ضد جهود مجلس الأمن لاتخاذ موقف حازم في الأزمة السورية، حيث تبنت هذا المشروع 9 دول، وامتنعت أربع دول عن التصويت، ورفضت روسيا والصين مشروع القرار باعتباره أداة للتدخل في الشؤون الداخلية السورية، ويفرض عقوبات فقط ولا يشجع أي تسوية سلمية بين الأطراف المعنية، ثم استخدمت الفيتو الثاني في 4 فيفري 2012، حيث عقد مجلس وزراء الخارجية العرب اجتماعاً في القاهرة، ودعت القيادة السورية لتشكيل حكومة وطنية في سورية خلال شهرين، وإجراء حوار سياسي بين الحكومة والمعارضة في غضون أسبوعين، وإجراء انتخابات برلمانية ورئاسية مبكرة في سوريا، وطلب مجلس الوزراء العرب إحالة ملف الأزمة إلى مجلس الأمن الدولي للتصويت عليه، وصوتت آنذاك 13 دولة لصالح مشروع القرار والتأييد الكامل لحملة الجامعة العربية، وقامت روسيا والصين بإجهاض هذه المبادرة ورفضت المشروع، ثم استخدمت الفيتو الثالث في 2012، عندما قدمت فرنسا وبريطانيا مشروع قرار لمجلس الأمن الدولي، حول تمديد مهمة المراقبين الدوليين لمدة 45 يوماً، وفرض عقوبات على سوريا بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة (تهديد السلم والإخلال به ووقوع العدوان)، إذا لم يقم النظام بسحب الأسلحة الثقيلة من المناطق السكنية في غضون عشرة أيام من بداية تطبيق القرار وتطبيق النقاط الستة لحظة عنان كوفي والذي صوت عليه 11 صوت، وامتنع عضوين عن التصويت، واعترضت روسيا والصين على القرار واستخدمت روسيا الرابع في 22 ماي 2014، حيث تبنت فرنسا مشروع قرار في مجلس الأمن، يدعو إلى إحالة طرفي النزاع في سوريا إلى المحكمة الجنائية الدولية، وإحالة الجرائم التي يرتكبها

أطراف الصراع في سوريا إلى المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي والتي ستحقق في احتمالات وقوع جرائم حرب، وجرائم ضد الإنسانية، (المعارضة والنظام)، اعترضت روسيا والصين على هذا القرار، الذي اعتبرته روسيا تحضير لتدخل عسكري ضدّ سوريا¹.

ثم استخدمت روسيا الفيتو الخامس في 5 أكتوبر 2016 لإجهاض مشروع القرار الفرنسي الإسباني، والمتعلق بوقف إطلاق النار في حلب، وامتنال السلطات السورية لالتزاماتها بموجب القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان، ثم استخدمت الفيتو السادس مع الصين في 5 ديسمبر 2016. ضدّ مشروع قرار قدمته مصر، إسبانيا ونيوزيلندا، على أن يكف جميع أطراف النزاع السوري عن شن أي هجمات في حلب من أجل تلبية الاحتياجات الإنسانية، ولمدة سبعة أيام، قابلة للتمديد سبعة أخرى، وطالب مشروع القرار جميع الأطراف بوقف التعاون بكل أشكاله مع تنظيم الدولة الإسلامية وجبهة النصرة والجماعات الإرهابية الأخرى²، ثم استخدمت الفيتو السابع في 28 فيفري 2017 مع الصين، ضد قرار في مجلس الأمن تؤيده القوى الغربية والذي يفرض عقوبات على النظام الثوري بتهمة استخدام السلاح الكيماوي، حيث صاغت هذا القرار أمريكا، بريطانيا وفرنسا وأيدته تسعة دول وامتنعت ثلاث عن التصويت وعارضته روسيا، الصين، مع بوليفيا، والذي ينصب على حظر بيع ونقل معدات أخرى للجيش والحكومة السورية³، كما استخدمت روسيا الفيتو الثامن في 12 أبريل 2017 لإعاقة جهود عربية، أمريكا، فرنسا و بريطانيا في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة للضغط على الأسد للتعاون مع تحقيقات دولية حول الهجوم

¹ - عمار ياسر حمو، روسيا والثورة السورية من دعم القاتل إلى شريك في القتل (الأردن: دار عمان للنشر والتوزيع، 2016)، ص ص. 21-27.

² - عازم ابتسام، "في سجل تشوركين... 6 مرات فيتو لحماية الأسد"، في:

<https://www.alaraby.co.uk/politics/2017/02/23>.

³ - "فيتو روسي صيني يجهض فرض عقوبات أهميته على نظام الأسد" في:

www.alarabiya.net/ar/arab-and-world/syria/2017/02/27

الكيماوي على خان شيخون شمالي سوريا، حيث تطالب الأسد التعاون الكلي مع لجنة التحقيق وتشمل خطط الطيران وسجلات الرحلات، وتفتيش المطارات العسكرية¹.

كما شاركت روسيا في عدّة مؤتمرات لحل الأزمة السورية، منها جنيف وفيينا ومحادثات أسبانية التي باءت كلها بالفشل ولعبت دورا كبيرا في منع توجيه ضربة عسكرية أمريكية للنظام السوري في 2013 إثر إستخدامه للسلاح الكيماوي والذي حقق من خلاله روسيا نصر دبلوماسي وأثبتت نفسها كقوة فاعلة في الأزمة السورية.

ج-الدعم العسكري للنظام السوري: لقد قامت روسيا بتقديم الدعم العسكري للنظام السوري منذ بداية الأزمة السورية، بتزويده بمختلف أنواع الأسلحة، إلّا أنّه مع تعقد الأمور على كل المستويات، وظهر تناقص الجيش السوري كما ونوعا، وفقدانه حوالي 80% من مساحة البلاد وفي المقابل حقق أفراد المعارضة المسلحة تقدما مع الزيادة في الخبرة والعدد، فانتقلت روسيا من مرحلة الدعم إلى المشاركة الحقيقية، حيث أعلنت وزارة الدفاع السورية في 30 سبتمبر 2015 بدء توجيه ضربات جوية روسية ضد تنظيم داعش في سوريا، أي المحاربة مع الأسد بعد ما تعرض الى حصار من قبل الجيش الحر، وفصائل المعارضة الأخرى حيث صرحت وزارة الدفاع على لسان "إيغوسكونا شينكوف": «إن طائرات تابعة للقوات المسلحة الروسية قامت بنحو 20 طلعة جوية، نفذت خلالها ضربات دقيقة لـ 8 مواقع لتنظيم الدولة الإسلامية على الأراضي السورية... إلخ، والتي وصفتها الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا بالمعركة المقدسة، كما صوّت مجلس الاتحاد الروسي "الكرملين" لصالح هذه الضربات في سوريا.

¹ - ثامن فيتو روسي في مجلس الأمن لحماية "كيماوي الأسد" في:

www.orient-news.net/ar/news-show134965/0/

وقد أعلنت روسيا أن هذه الضربات هي لمحاربة داعش والتنظيمات الإرهابية الأخرى، ووجهت انتقادات شديدة للتحالف الدولي بعدم فعالية الضربات التي قام بها لضرب داعش في العراق بعدما قام التنظيم بنشر صور للجرائم التي ارتكبها في العراق وسوريا، كما صرّحت روسيا أن وراء تدخلها اعتبارات أمنية حيث صرح الرئيس الروسي أن الذهاب لمحاربة الإرهاب في سوريا هو دفاع مسبق عن الأمن القومي الروسي قبل أن ينتقل هذا الإرهاب إلى بلاده، في حين أنه منذ اليوم الأول من هذه الضربات ظهر معارضون أكدوا على أن داعش لم يكن له نصيب من هذه الضربات، خاصة التصريحات الأمريكية التي تنفي إدعاءات روسيا محاربة داعش، حيث قال مسؤول أمريكي لـ "CNN": «أن روسيا لا تستهدف تنظيم داعش في سوريا وأنّ الغارة الجوية قرب حمص ليس لها أي هدف إستراتيجي في محاربة داعش، مما يظهر أنهم ليسوا هناك لملاحقة داعش»، كما تستهدف المعارضة المعتدلة التي يديرها ويدعمها الغرب، فقامت روسيا بنشر شريط مصوّر يظهر استهدافها لنقاط عسكرية تابعة لداعش ولكن ناشطون أعادوا بث الشريط، وأكدوا أن ما استهدفته روسيا هي ما يعرف بتجمع الغزة، التابع للجيش السوري الحرّ، وصرّح جميل الصالح قائد تجمع الغزة: «تجمع الغزة أحد فصائل الجيش الحرّ العاملة في ريف حماة الشمالي... والنقاط التي تم استهدافها هي لتجمع الغزة، ولا يوجد أي عنصر أو مقر لتنظيم داعش في ريف حماة الشمالي... كما أن أقرب مكان لتواجد التنظيم يبعد من 150 إلى 200 كيلومتر، فهذه المناطق بعيدة بعدا أساسيا عن مناطق التنظيم»¹. وقد أرسلت روسيا في هذه السنة (2015) إلى سوريا 6 طائرات من طراز ميغ-31، وطائرة أخرى لنقل الوقود وتزويدها به في الجوّ، والعديد من الصواريخ من طراز كورنت 5 المتطورة، ومدفعية ميدان من عيار 130 ملم وطائرات استطلاع، ومعدات عسكرية أخرى، حيث بلغت الضربات الروسية أكثر من 4900 غارة خلال شهر ونصف فوفقا لبيانات وزارة الدفاع الروسية قامت

¹ - ياسر حمو، مرجع سابق، ص ص. 29-33.

روسيا منذ بدئ الغارات في 30 سبتمبر 2015 حتى منتصف نوفمبر بأكثر من 2289 غارة جوية، وأطلقت 26 صاروخا مجنحا من السفن الروسية في بحر قزوين عبر أجواء إيران، والعراق... إلخ وفي مارس 2016 أعلن بوتين انسحاب قواته من سوريا والذي حضي بدعم وموافقة غربية، على أنه قد حقق الجزء الأكبر من هدف التدخل، وأن القوات المتبقية في سوريا ستواصل محاربة داعش، والجماعات الإرهابية الأخرى¹.

3-تداعيات الدور الروسي على مسار الأزمة السورية:

لقد أدت حماية روسيا لنظام الأسد وعدم السماح بزواله إلى إفشال كل المساعي والمحاولات لإيجاد حل للأزمة السورية مع العلم أن الكل على يقين أساس المشكلة هو الأسف، ولا وجود لحلّ إلاّ برحيله، وإصرار روسيا على دعمه بكل الوسائل أدى إلى إطالة أمد الأزمة في سوريا، وما نتج عنها من عدم الإستقرار والفوضى في كلّ المنطقة، فالدعم الروسي للنظام وتدخله وفرّ المناخ لنمو التطرف والإرهاب وحول سوريا إلى أراضي مستباحة لمجموعات متطرفة ما أدى إلى انسداد مسار التسوية السياسية للأزمة السورية.

لقد صرّح بوتين في 2012: «...إنني أعتقد أن الاتفاق على أساس الانتصارات العسكرية لا مجال له، ولا يمكن أن يكون فعلا»، إلّا أنّ دعمه للنظام السياسي العسكري أدى إلى إفشال كلّ الحلول وإسقاط كلّ المستويات السلمية في جنيف وغيرها، باستخدامها الفيتو للدفاع عن النظام والوقوف ضد أي قرار ضده، وبعد مرور أربع سنوات وما آلت إليه سوريا يراهن بوتين على الانتصار العسكري الذي رفضه 2012.

كما أن التدخل الروسي العسكري لمحاربة داعش والإرهاب حجة لا صحة لها خاصة في غياب تعريف قانوني دولي للإرهاب كما أنها استهدفت المقاومة المعتدلة، والمدنيين فروسيا في تدخلها لم ترى الطرف الثالث في سوريا "المعارضة المعتدلة" بل تعاملت مع

¹ - بسبوني، مرجع سابق.

طرفين للنظام والباقي كله إرهاب وداعش، وهذا ما دفع بالمعارضة إلى الردّ على روسيا ومواجهتها فقد صرّح "ديمتري باسكوف" المتحدث باسم الكرملين: «إن الجيش الروسي يختار أهدافه بالتعاون مع الجيش السوري، لدينا قائمة بالمنظمات الإرهابية، نحن نعرفها»، وهذا ما يدل أنها لم تستهدف داعش فقط بل مجموعات من الثوار والمعارضة المعتدلة، كما أنه لا يمكن تبرير التدخل الروسي أنه جاء استجابة لطلب من النظام السوري لمحاربة الإرهاب، لأن الطلب جاء من رئيس فاقدا للشرعية، مارس على شعبه أبشع الجرائم، وانتهاك جميع حقوق الإنسان، واستخدم ضدّ شعبه أسلحة محرمة دوليا كالمواد الكيماوية... إلخ، وهجّر نصف شعبه دليل على فقدانه الشرعية¹، كما أن روسيا قصفت محافظات سورية لا يوجد فيها تنظيم داعش، حيث قام مركز أمية للبحوث والدراسات برصد المجازر التي ارتكبتها الطيران الروسي بحق المدنيين في سوريا، حيث أطلق المركز مصطلح "مجزرة"، على القصف الذي أودى بحياة عدة مدنيين وهي:

مجزرة تلبيسة 2015/09/30 التي سقط إثرها 20 مدني من بينهم أطفال ونساء وعدد كبير من الجرحى، وهناك إحصائيات قدمت مقتل ما يزيد عن 32 مدني، ولكن بوتين اعتبر أن ما يتم ترويجه "حربا إعلامية" لا أساس له من الصحة، مجزرة الزعفرانة في نفس اليوم راح ضحيتها 8 قتلى وعشرات الجرحى، مجزرة أحسم في 2015/10/03 ومقتل 11 مدنيا بينهم 3 أطفال، مجزرة معصران في 2015/10/07، ما أدى إلى مقتل 9 مدنيين من بينهم إمرأتين حامل، وعدد كبير من الجرحى، مجزرة خان شيخون في 2015/10/10 ما أدى إلى قتل عائلة كاملة من 6 أشخاص مجزرة تير معة في 2015/10/16 والذي أدى إلى أكثر من 27 قتيل وعشرات الجرحى، الذي استهدف سوق شعبي، مجزرة الملجأ بلدة

¹ - راجع الخوري، "سوريا المقيدة وتدعيش المعارضة"، في:

تداعيات التدخل الروسي في سوريا Syria.alsafahat.net

الغطو في 2015/10/17 والتي سقط على إثرها 43 قتيل الذي استهدف فيه ملجأ للمدنيين كانوا يحتمون فيه من بينهم أطفال ونساء، وأطفال رضع.

مجزرة بوشرفة في 2015/10/19، والتي أدت إلى موت أكثر من 50 شخصا حيث نفذ الطيران الروسي غارة جوية أولى ما أدى إلى وقوع عدد محدود من الضحايا، وبعد تجمع فرق الإنقاذ والمدنيين نفذت غارة ثانية في نفس المكان. مجزرة سرمين في 2015/10/20 استهدفت أحياء سكنية ومدرسة ما أدى إلى مقتل 12 شخصا وقد يشير المكتب الإعلامي للدفاع المدني في مدينة حلب فيديو، يوضح استهداف الطيران الروسي لعناصر الدفاع المدني أثناء قيامهم بواجبهم في إجلاء الجرحى وصور مشهد لإصابة أحد العناصر، مجزرة تلبيسة في 2015/10/23 حدثت قبل إجتماع فيينا بأيام قليلة رغم أن روسيا جزءا من هذا المؤتمر لحل الأزمة، ما أدى إلى مقتل 15 شخصا، مجزرة تاتل حديا واللطامنة في 2015/10/27، ما أدى إلى مقتل 10 أشخاص في كل من البلدين، أي أسفرت مقتل 20 شخص و جرحى، مجزرة دوما في 2015/10/30 ارتكبت من خلاله مجزرة نتيجة استهدافه لسوق شعبي ما أسفر عن مقتل 55 قتيلا و 300 جريح، مجزرة القريتين في 2015/11/02، تم استهداف مركز لتوزيع الخبز، بريف حمص بمدينة القريتين حيث سقط أكثر من 16 شخص وإصابة آخرون، وبالرغم من هذه القرية يسيطر عليها داعش إلا أنها استهدفت أماكن مدينته وضحايا مدنيون، مجازر حلب في 2015/11/03، في هذا اليوم نفذ الطيران الروسي 03 مجازر في ثلاث أحياء: حي الأنصاري (11 قتيل)، حي المشهد (6 أشخاص)، حي بستان القصر (6 أشخاص)، وعدة جرحى في كل هذه الأحياء.

مجزرة البوكمال في 2015/11/05، أسفرت عن 31 قتيل وعشرات الجرحى، ورغم أن داعش سيطر على هذه البلدة، إلا أن القصف الروسي استهدف مدنيين، بعيدا عن مقرات التنظيم وعناصره، وقد أشارت قناة العربية في تغطيتها في هذه المجزرة، وذكرت في تقريرها:

«المنطقة المستهدفة عبارة عن حي سكني يخلو من أي تواجد عسكري ولم ينتج عن القصف أية إصابة في صفوف عناصر داعش، والضحايا كلهم كانوا من المدنيين»، مجزرة مصر النعمان في 2015/11/08، ما أدى إلى قتل عشرة أشخاص وجرحى، وفي فيديو نشرته وكالة "سمارت نيوز" يقول أحد المدنيين: «الطيران يضرب الأطفال والعجّز، ليذهب ويقصف الجبهات لا أن يقصفنا هنا...فداعش في حلب على بعد 100 و 150 كلم من هنا».

والعديد من المجازر الأخرى التي وصلت إلى 76 مجزرة ارتكبتها الطيران الروسي بحق المدنيين في سوريا، فقد صدر تقرير عن اللجنة السورية لحقوق الإنسان عن ارتكاب النظام السوري وحلفاؤه عبر الطيران الحربي المروحي 492 مجزرة منها 76 مجزرة للطيران الروسي¹.

كما خلّفت الغارات الروسية على 235 اعتداء على بنى تحتية ومراكز طبية، وتربية ودينية ومخيمات لاجئين، فقد أصدرت الشبكة السورية لحقوق الإنسان، تقريراً أوضح نتائج الغارات التي شنتها روسيا في سوريا من 30 سبتمبر 2015 إلى إعلان انسحابها في 15 مارس 2016، مقتل 1984 مدني، بينهم 443 طفلاً، 286 امرأة، 11 من الكوادر الطبية 5 إعلاميين، كما أوضح التقرير أن الهجمات التي شنتها روسيا على مواقع مدنية شكلت 85% من مجموع الهجمات، كما أكد التقرير استخدام روسيا القنابل العنقودية المحرمة دولياً فيما لا يقل عن 43 غارة، كما استهدفت البنى التحتية فيما لا يقل عن 235 حادثة إعتداء على منشآت حيوية، 52 منها منشآت طبية، وسيارات إسعاف، و 47 من المراكز المدنية 65 من البنى التحتية، 47 مراكز تربية، مركزين ثقافيين، و 5 مخيمات لاجئين²، كما أن أخطرها ينتج عن التدخل العسكري في سوريا، هو طرح روسيا لفكرة الفدرالية أكثر من أي

¹ - ياسر حمو، مرجع سابق، صص. 35-41.

² - "ما هي نتائج التدخل العسكري الروسي في سوريا"، في:

Rozna.fm/ar/ 2016/03/17 ما هي نتائج التدخل العسكري الروسي في سوريا؟

وقت آخر كأساس للحل في سوريا والذي قد يكون أكثر أمانا للنظام تجديد في المناطق العلوية، والفدرالية سيؤدي إلى تقسيم سوريا التي ستقوم على أصول "عرقية كردية، طائفية علوية، درزية" وغيرها، وهذا سيؤدي إلى إضعاف سوريا إستراتيجيا وبنويا.

إلا أن روسيا حققت هدفها من التدخل، وهو عدم انهيار النظام، فقد استعاد كامل الأنقبة، وأجزاء من حمص، وحماة وقاعدة كوبرس العسكرية ومدينة تدمر، كما تعززت إطلااتها الإستراتيجية على البحر المتوسط، من خلال قواعدها العسكرية، حين احتفظت بوجود عسكري في قاعدة حميميم وميناء طرطوس، ونشر صواريخ متطورة مثل نظام 5400، كما مثل هذا التدخل للقوات الروسية، معسكرا تجريديا من حيث الأسلحة، والمعدات الحديثة من حيث الدقة والقوة في الميدان السوري، حيث صرّح "لوكيانوف" بأن العملية العسكرية أتاحت خبرة حقيقية للقوات الروسية لم تكن لتحصل عليها من خلال التدريبات العسكرية، وهذا يلغي الجانب الأخلاقي لروسيا التي تتحدث عن الخبرات العسكرية التي اكتسبتها من خلال قتل الشعب السوري¹. فبالإضافة إلى ذلك أدى التدخل الروسي إلى توتر العلاقات مع تركيا التي قامت بإسقاط الطائرة الروسية كما سالف الذكر، كما أن إسرائيل هي التي خرجت رابحة من تفتيت وتشتيت سوريا، أي إخراجها من دائرة الصراع العربي الإسرائيلي.

إن الموقف الروسي الداعم للأسد أدى إلى القضاء على كل المحاولات لحل الأزمة السورية، قضى على حق الشعب السوري في الحرية والديمقراطية والتحرر من الظلم والاستبداد، ما أدى إلى زيادة معاناته وموت الملايين، وتهجير الملايين، وتدمير سوريا وتشتيتها، وهذا ما سينعكس مستقبلا بالسلب على دور روسيا، سواء بالكره من الشعب

¹ - إبراهيم فريجات، "ماذا حقق التدخل الروسي في سوريا؟"، في:

www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2016/03/28

السوري، والدول الأخرى التي تعارض النظام السوري وترى بضرورة رحيله، والحقيقة فإن الدور الروسي أدى إلى إطالة الأزمة السورية، وزاد الأوضاع تعقيدا.

المبحث الثالث: الإستراتيجية الصينية تجاه منطقة الشرق الأوسط.

المطلب الأول: السياسة الخارجية الصينية في الشرق الأوسط.

تعدّ الصين أحد اللاعبين الرئيسيين في النظام الدولي الحالي، وتختلف عن بقية الدول لما إكتسبته من تأييد، وهي في طريقها لإحتلال موقع أقوى مما هو قائم حالياً، لدرجة التوقع أن تصبح القوة رقم واحد في عام 2025، لما لها من مؤهلات ومقومات، سواء من حيث موقعها، شساعة مساحتها، مواردها السكانية، حضارتها العريقة،... إلخ.

ولعل هذه المؤهلات هي التي دفعت "تابليون بونابارت" للقول حوالي أكثر من مائتي عام: «دع الصين تنام وحين تستيقظ سيهتز العالم»، والتي قد تصدق معها نبوءة الزعيم الصيني "Sun Yert Sen" «سوف يكون القرن الحادي والعشرين قرناً صينياً»، خاصة لما يحضاه الصعود الصيني من تأييد من دول وشعوب العالم، ولقد حضيت منطقة الشرق الأوسط باهتمام صيني كبير، في طريقها لتحقيق هذه النبوءة، ومن هنا سيتم التطرق إلى السياسة الخارجية الصينية في منطقة الشرق الأوسط¹.

تعود تاريخ العلاقات الصينية بالشرق الأوسط، إلى أكثر من ألفي عام، ورغم ذلك فإن الصين عادة ما كانت تستخدم مصطلح غرب آسيا وشمال إفريقيا كبديل الشرق الأوسط للتعريف بالمنطقة، ورغم العلاقات التاريخية منذ القدم، إلا أن الشرق الأوسط لم تكن محور إهتمام الصين كما هي عليه اليوم، وكذلك بالنسبة لدول المنطقة لم تكن تنظر إلى الصين كلاعب دولي يمكن الاعتماد عليه، حيث ظلّ الدور الصيني محدوداً وهامشياً يقتصر على التبادلات التجارية والثقافية، حيث لم تسعى لأن يكون لها وجود فعلي، أو إقامة مناطق نفوذها في المنطقة كالقوى الكبرى الأخرى. ولطالما كانت الصين تنظر إلى الشرق الأوسط بموقعه الإستراتيجي وثرواته الكبيرة أنها مناطق تشابك وصراع متواصل بين القوى الكبرى المتنافسة، وأن حسم الصراع لأية قوة دولية سيتحدد في هذه المنطقة.

¹ - توفيق حكيم، "موقع الصين المستقبلي في النظام الدولي"، مجلة المفكر، ع.12، ص.392.

يعتبر طريق الحرير البري، وطريق البخور البحري دليل على عمق العلاقات بين الصين والشرق الأوسط، والذي إزداد مع تأسيس جمهورية الصين الشعبية في 1949، حيث كان إهتمام الصين منصبا بالبحث شرعيتها والاعتراف الدبلوماسي لها، وإقناع الدول العربية بقطع علاقاتها مع تايوان، فركزت السياسة والدبلوماسية الصينية بالدخول إلى المنطقة بالوقوف إلى جانب حركات التحرير الوطني¹. ومنذ ذلك الحين كانت السياسة الخارجية الصينية في الشرق الأوسط قائمة على أساس المبادئ الخمسة للتعايش السلمي التي وضعها "شوان لاي"، والتي تعتبر قاعدة ثابتة في تحريك الصين العالمي، والقائمة على الاحترام المتبادل للسيادة، سلامة الأراضي، عدم الاعتداء والتدخل في الشؤون الداخلية للدول المساواة والمنفعة المتبادلة والتعايش السلمي، كما أنه لفهم القوة الناعمة التي تتعامل بها الصين في سياستها الخارجية، لابدّ من فهم فكرها السياسي القائم على أساس رؤيتها لمكانتها وإنتمائها لعقيديتها، وتجربتها التاريخية، حيث تشكل العقيدة الكنفوشيوسية مرتكزا هاما للفكر الصيني ومحددا للهوية الصينية، حيث تقوم سياستها الخارجية على أساس كبير من مبادئ هذه العقيدة، وما تدعو إليه من تأخي وسلام، وفعل الخير، كما أن المعاناة التي عاشتها الصين بسبب الحروب الاستعمارية، شكلت نظرة سلسة إزاء التدخلات الأجنبية في الدول الأخرى، حيث يبقى ذلك محددا رئيسيا يحكم سياستها الخارجية فالصين دائما تشك في نية الطرف الآخر، خاصة الغربي، كما أن الحصار الذي عرفته الصين من قبل الدول الغربية دفع بها إلى الإتجاه إلى دول العالم الثالث، لبناء علاقات صداقة كمصر، سوريا،... إلخ حيث إعتمدت الصين على دبلوماسيتها مع هذه الدول لكسر الحصار الذي قادته الولايات المتحدة ضدّ الصين في موضوع عضويتها في الأمم المتحدة، فحصلت على الدعم من الدول الآسيوية والإفريقية، لذا فالشرق الأوسط يحتل مكانة هامة في السياسة الخارجية

¹ - جهاد حمدي حجازي عبد الحي، "العلاقات العربية-الصينية في الفترة من 2001-2015 دراسة حالة مصر"، في:

الصينية، فالصينيون دائماً يذكرون الدور الذي لعبته معظم دول المنطقة في إعادة الصين لمكانتها الشرعية في الأمم المتحدة، كما أنه لطالما عارضت الصين نظام الأحلاف العسكرية وسباق التسلح، والسياسة التوسعية للدول، فمنذ استقلالها وقفت في وجه الإمبريالية الغربية، وساندت نضال الشعوب في كفاحها ضد الاستعمار فأيدت حركات التحرر في الشرق الأوسط، آسيا وإفريقيا.

ولكن رغم ذلك إلا أن الدور الصيني في الشرق الأوسط كان محدوداً، حيث كان المفهوم الصيني لأمنها القومي يركز على حماية حدودها، ورفض أي تدخل خارجي في شؤونها، حيث إنتهجت سياسة العزلة، كإستراتيجية خارجية، حتى بعد قيامها بالثورة الثقافية الكبرى 1966-1976، عملاً بنظرية أطلق عليها "سور الصين العظيم" وهذا ما يفسر عدم ممارستها لأي دور حيوي خارج حدودها، وإهتمامها بالشأن الداخلي فقط، إلا أنه بعد الثورة الثقافية تراجعت عن سياسة العزلة، وتبنت سياسة منفتحة على العالم، وقد طرأت تغيرات على السياسة الصينية سواء داخلياً أو خارجياً¹، فداخلياً عملت على إصلاح الإقتصاد وإنشاء مناطق صناعية لتجديد الإستثمار الأجنبي ومحاربة الفساد، وتبنت عدّة إصلاحات اقتصادية حققت نجاحات كبيرة، لتحل المرتبة الثانية في إقتصاد العالم، حيث وصل نصيب الصين من إجمالي الناتج العالمي إلى 7.6% في 2001 بينما كان في 1980 يقدر بـ2% والتوقع لأن يشكل 9.16% بحلول 2015، كما وصل إجمالي صادراتها و وارداتها 2012 إلى 87,3 تريلتون دولار، متجاوزة بذلك إجمالي الصادرات والواردات الأمريكية لنفس السنة الذي وصل إلى 82.3 تريلتون دولار، أما خارجياً فإن الصين اتجهت لمرحلة جديدة من التحول الجيوسياسي والجيواستراتيجي، حيث وضعت قواعد جديدة في تعاملاتها. فبعدما

¹ - سنية الحسيني، "سياسة الصين تجاه الأزمة السورية هل تعكس تحولات إستراتيجية جديدة في المنطقة" المستقبل العربي، ص ص. 4-2.

كانت قائمة على إعتبارات إيدولوجية، فتبنت سياسة مغايرة في تحديد حلفائها قائمة على البرغماتية، وإستراتيجية الإنفتاح والخروج إقليمي وعالمياً¹.

فتبنت الصين سياسة حسن الجوار لإحتواء و محاولة عزلها، وتهيئة البيئة الإقليمية لتكون بيئة مواتية لتحقيق التنمية، في مرحلة الصعود الصيني التي أطلق عليها بناء العصرنات الأربعة، أي إحرار التقدم في كل من الصناعة، الزراعة، التكنولوجيا والدفاع القومي، ومن سياسة حسن الجوار التي تبنتها الصين في تسوية العديد من النزاعات الحدودية، واستعادة العلاقات مع بعض الدول المجاورة، خلق الشركات الاقتصادية، وتوقيع معاهدات صداقة والانضمام لمنظمات إقليمية. أما على المستوى العالمي تبنت الصين سياسة الزحف والمبادرة حيث أرست علاقات متميزة مع كافة دول العالم خارج نطاقها الإقليمي، الزحف نحو القارة الأمريكية، الأوروبية، المنطقة العربية، القارة الإفريقية،... إلخ حيث ترى في هذه المناطق عامل المصلحة الوطنية، وعلى رأسها الشرق الأوسط فشمّل إهتمامها بالمنطقة كافة المجالات السياسية، الاقتصادية، وحتى العسكرية، خاصة مع تأسيس منتدى التعاون الصيني العربي عام 2004، حيث طرح الرئيس "هوجنتاو" أربعة أسس تهدف لتحقيق طفرة في العلاقات السياسية على أساس الاحترام المتبادل، وتكثيف التبادل الاقتصادي والتجاري بهدف تحقيق وصيانة السلام العالمي ودفع التنمية المشتركة حيث تم في 14 سبتمبر 2004 في القاهرة التوقيع على وثيقتين مهمتين وهما إعلان منتدى التعاون الصيني العربي، والبرنامج التنفيذي لمنتدى التعاون العربي. وبفضل الجهود المشتركة بين الجانبين تم إنشاء أكثر من عشرة آليات للتعاون في المجالات السياسية والإقتصادية والثقافية وحتى العسكرية، ودخل المنتدى إلى مسار النمو المتوازي في مختلف المجالات وعلى مستويين رسمي وشعبي، ونجد أن تحولاً مهماً طرأ على الإستراتيجية

¹ - علاء عبد الحفيظ محمد، "السياسة الصينية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي: الثوابت والمتغيرات"، المستقبل العربي، ص ص. 3، 4.

الصينية في الشرق الأوسط، على الأقل منذ عام 2006، حيث إنتقل مركز نقل هذه الإستراتيجية إلى منطقة الخليج العربي خاصة بإتجاه المملكة العربية السعودية، وتضائل إهتمام الدبلوماسية الصينية بدول تفتقر حالياً إلى الموارد¹، والتي سيتم توضيحه لاحقاً، وقد تطورت العلاقات من الطرفين على جميع الأصعدة، وأصبح التواجد الصيني في المنطقة في كافة المجالات، فقد تطور الدور الإقتصادي الصيني وعقدت عدّة تبادلات تجارية، واتفاقيات ثنائية مع عدّة دول، وتعتبر السعودية أكبر شريك تجاري للصين في المنطقة حيث بلغ حجم التجارة بين البلدين في 2012 إلى 73.27 مليار دولار مع ارتفاع بـ 13.9% سنوياً والإمارات هي الشريك الثاني للصين، حيث تضاعفت التجارة النفطية بينهما لتصل إلى 177 مليار دولار و 40 مليار دولار في التجارة النفطية في 2012، واحتمال وصول حجم التبادل التجاري بينهما إلى 60 مليار دولار 2016، وقفز حجم التجارة بين الصين وبلدان مجلس التعاون الخليجي في عام 2012 إلى 155.3 مليار دولار بزيادة 9.15% سنوياً وبلغ حجم التبادل التجاري مع العراق 18 مليار دولار و 500 مليون دولار في 2012، وفي نفس السنة بلغت التبادلات الاقتصادية والتجارية بين الصين والبلدان العربية حوالي 4.222 مليار دولار أمريكي ما جعل هذه البلدان سادس أكبر شريك تجاري للصين وذلك في مختلف المجالات، التكنولوجيا، الطاقة، الغاز، السلع الاستهلاكية، الخدمات، صناعات السيارات...إلخ، أما على المستوى السياسي فقد عززت الصين تعاونها مع التجمعات الإقليمية خاصة اللقاءات السنوية مع الجامعة العربية من خلال منتدى التعاون الصيني العربي، وبدأت تتخذ مواقف تجاه القضايا السياسية في المنطقة، دون الإنخراط بشكل فعلي مراعاة لتأسيس سياستها الخارجية، أما عسكرياً فقد كان الوجود العسكري الصيني في المنطقة معدوماً، ومبيعات الأسلحة الصينية في المنطقة هي الأقل مقارنة بروسيا وأمريكا إلا

¹ - سميرة عبد الغني عبد الفتاح محمد، "الصعود الصيني وتداعياته على العلاقات الصينية العربية من عام 2003"، في:

أنّ الصين تعمل جاهدة لتعزيز التعاون العسكري والتواجد الأمني. حيث قامت بتمويل بناء قاعدة بحرية في ميناء غوادير الباكستاني المطل على بحر العرب والقريب من مدخل الخليج العربي ومضيق هرمز لإستخدامه في مراقبة وتأمين الملاحة وخاصة الواردات النفطية. كما أعلنت الصين في 2009 عن عزمها لإقامة قاعدة بحرية في خليج عدن لحماية سفنها من القرصنة الصومالية، كما أرسلت عدة مدمرات حربية إلى الخليج، ففي 2010 أعلنت الصين عن إرسالها موفدين عسكريين لزيادة التعاون العسكري ومبيعات الأسلحة لكل من الأردن سوريا والإمارات، خاصة مع نجاح بعثات مماثلة إلى تونس، عمان، قطر، الكويت، كما قامت بزيادة التعاون العسكري مع مصر والسعودية¹.

إن توجه الصين إلى منطقة الشرق الأوسط وتوثيق العلاقات معها على جميع الأصعدة، تعتبر خطوة مهمة لتحقيق الإستراتيجية الصينية التي رسمتها للقرن الواحد والعشرين، حيث عمل المسؤولون الصينيون على تمرير فكرة الصعود السلمي الصيني والذي يقوم على مجموعة من المبادئ منها: تبادل كافة الدول إحترام الاستقلال والسيادة، إحترام مبادئ التعايش السلمي وميثاق الأمم المتحدة، تأسيس الأمن المشترك كشرط أساسي لمنع نشوب الصراعات والحروب في العالم، إقامة نظرة جديدة للأمن قائمة على الثقة والمنفعة المتبادلة والتعاون والمساواة، العمل على تحقيق التعددية القطبية، وإبتعاد الدول الكبرى عن التنافس للهيمنة وإقتسام مناطق النفوذ فكل دولة حقها في الاستقلال والسيادة، على الدول الكبرى تحمل مسؤولية صيانة السلام العالمي، والإقليمي، ومحاربة الإرهاب بكل أشكاله. عليها إحترام سيادة الدول الصغيرة ودعمها وغيرها من المبادئ الأخرى². وقد حدد "شين باي" أستاذ علم الاجتماع بجامعة بكين في كتابه "الصين ستقود العالم"، معالم الإستراتيجية التي ستسلكها السياسة الخارجية الصينية لتحقيق ذلك منها: توسيع نشاطها الإقتصادي

¹ - علاء عبد الحفيظ، مرجع سابق، ص ص. 4-6.

² - عبد الغني عبد الفتاح محمد، مرجع سابق.

السعي للسيطرة على النفط الآسيوي، التحرك العسكري في أنحاء العالم خاصة الممرات المائية المهمة والسيطرة على البعض منها... إلخ. وقد أعطى أهمية كبيرة للشرق الأوسط لتحقيق ذلك كالدعوة إلى تقوية الوجود الصيني في المنطقة عبر إستراتيجية منظمة وطويلة الأمد، تقديم السلاح والتدريب لدول المنطقة، والعمل على إظهار الآثار السلبية للسياسة الأمريكية هناك¹، وللصين عدّة أهداف ومصالح في المنطقة تسعى لتحقيقها وفق سياستها الخارجية هناك.

أ- الطاقة: تحتل قضية أمن الطاقة مكانة مهمة في السياسة الخارجية الصينية، حيث تبنت إستراتيجية التوجه للخارج للتعاون مع كبار الدول المنتجة للنفط، للافاء بإحتياجاتها من مصادر الطاقة الذي يرتبط بالتنمية الداخلية، فقد تنامت حاجة الصين للطاقة بشكل أسرع من أي بلد آخر، فقد أدى النمو الاقتصادي الكبير إلى أن فاق الطلب و العرض المحلي فأصبحت الصين تنظر إلى الخارج لضمان نموها وإستقرارها، فحتى سنة 1993 كانت الصين مكتفية ذاتيا في تلبية إحتياجاتها من الطاقة، وبعد عقد من الزمن أصبحت دولة مستوردة وأكبر ثاني مستهلك للنفط بعد أمريكا بواردات يومية تقارب 5 ملايين برميل، وفي سنة 2010 أكد تقرير وكالة الطاقة الدولية أن الصين ستصبح المستهلك رقم واحد للطاقة في العالم، حيث نشرت توقعات الطاقة في 2012، أنه بحلول 2035 ستمثل الصين وحدها أكثر من 30 % من إجمالي النمو في الطلب على الطاقة العالمية²، وتعتبر الشرق الأوسط بما فيها الدول العربية مصدرا أساسيا للنفط والغاز بالنسبة للصين حيث يزودها الشرق الأوسط بحوالي 45% من إحتياجاتها النفطية، وتعد السعودية من أكبر الدول تزويدا للنفط، وقد وقع الطرفان إتفاقا عام 2005 للتغيب المشترك عن الغاز في صحراء الربع الخالي بقيمة 300 مليون دولار، وتقوم شركة

¹ - الحسيني، مرجع سابق، ص ص 17، 18.

² - مرداخي خزيزا، "كيف أثر الربيع العربي على السياسة الصينية؟"، في:

أرامكو السعودية باستثمار 5 مليار دولار في ميناء مصفاة للنفط في مقاطعة فوجيان وأخرى في شكنجدا وبتكلفة 1.2 مليار دولار، مع شركة النفط الصينية الوطنية، كما تهتم الصين بتأمين ممرات النفط الدولية خاصة الممرّة من الشرق الأوسط، حيث يؤكد الكتاب الصيني الأبيض عن الطاقة الصادر 2007 أن حماية البيئة السياسية السلمية، وحماية السلم والإستقرار الإقليمي هما الشرط المسبق لتحقيق أمن الطاقة العالمية، وعلى المجتمع الدولي حماية إستقرار الأوضاع في الدول المنتجة للطاقة، والدول المسؤولة عن نقلها وضمان أمن وسلامة الممرات التي تمر من خلالها هذه الطاقة، ومن هذا المنطلق تدعو الصين لإستقرار منطقة الشرق الأوسط. كما أن الصين بحاجة لمصادر المنطقة نظرا لتكلفة الإنتاج المنخفضة كما أنها تستفيد من النفط العربي بعدم المرور عبر معبر السياسة الأمريكية أو الغربية، والنفط هو الذي يضمن للصين التنمية الاقتصادية وبالتالي إستقرارها الاجتماعي والسياسي، وتشير أغلب الدراسات الإستراتيجية الصينية أن الهدف المركزي للولايات المتحدة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط هو السيطرة على موارد النفط من خلال إحتلال العراق، أفغانستان وتواجدها العسكري المكثف في الخليج، وعلى طول الطرق البرية في منتصف آسيا الوسطى وحول بحر القزوين والذي قد تستخدمه أمريكا لإعاقة وتعطيل إستمرار النهوض الإقتصادي الصيني¹.

ب- الأسواق: يتمتع الشرق الأوسط من المنظور الاستراتيجي الصيني بميزتين هامتين من حيث السوق، كون قرب هذه الأسواق من الأسواق الصينية مقارنة بالأسواق الأمريكية أو الأوروبية أو الإفريقية، وتوفر القدرة الشرائية لاسيما في الدول البترولية والاستثمار قرب أسواق الشرق الأوسط عززت الصين جهود بعض الدول لإحياء طريق الحرير القديمة وتم ربط بعض مناطق الصين بكازاخستان كمرحلة أولى، وتم ربط بعض المقاطعات الغربية الصينية بقطار يصل إلى ألمانيا ويختصر مسافة لإنقال من الصين

¹ - عبد الغني عبد الفتاح، مرجع سابق.

إلى أوروبا من 36 يوما إلى 13 يوما في قطار لنقل البضائع عبر هذا الخط، ويطمح مشروع طريق الحرير الجديد أن يعبر من الصين إلى طاجيكستان وشمال إيران ثم يتفرع إلى العراق وسوريا وتركيا، وهذا ما يعزز نقل البضائع الصينية إلى الشرق الأوسط، أما القدرة الشرائية فتتمثل في التصاعد الكبير لحجم التبادل التجاري بين الصين والمنطقة الذي إرتفع من 36 مليار دولار في 2004 إلى 107 مليارات دولار 2010 إلا أن الإستثمارات الصينية في المنطقة تبقى متواضعة مقارنة لإستثماراتها في غرب آسيا 36%، وأوروبا 16% و14% في جنوب آسيا... إلخ كما أنه في سنة 2007 سجل التبادل التجاري الصيني تفوقا للمرة الأولى على حجم التبادل التجاري الأمريكي في المنطقة، وتتعدد المبيعات الصينية في المنطقة، حتى المبيعات العسكرية، حيث إحتلت الصين المرتبة الرابعة عالميا في حجم المبيعات العسكرية للمنطقة في 2011، التي بلغت 2.1% من مجموع مشتريات المنطقة والتي بلغت حوالي 111 مليار دولار¹.

ج- التعددية القطبية: إن التواجد الصيني في المنطقة هو خطوة مهمة تعزز قدرة الصين على تحقيق هدفها للتخلص من سيطرة قطب واحد على النظام العالمي ووضع حدود للهيمنة الأمريكية على العالم، وحتى لو لم يكن هدفها هو قيادة العالم أو أن تصبح القطب الأوحّد الجديد، لكنها تسعى للحدّ من النفوذ الأمريكي على مناطق العالم، والشرق الأوسط خصوصا، وعارضت سياستها هناك أكثر من مرة، لذا إتجهت إلى تعزيز العلاقات وبناء الشركات والتحالفات مع دول متعددة دون الإنخراط في أي صراعات وتوترات إقليمية في إستراتيجية أكثر برقماتية².

¹ - وليد عبد الحي، "متغيرات الإستراتيجية الصينية في الشرق الأوسط" في:

Aljazeera.net/ar/reports/2011/12/20.html

² - جرجس الملحم، "تأثير التوافق الصيني-الروسي على السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط"، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، ع.87، (جانفي 2014).

دتسعى الصين لفك العزلة الثقافية على حضارتها في ظلّ هيمنة الحضارتين الأوربية والأمريكية (الحضارة الغربية) على السياسات الثقافية والتعليمية والاجتماعية للنظام الدولي ومؤسساته المختلفة، وكذلك فتح المجال للتبادل الثقافي بين الصين والعرب ودفع العالم نحو توفير قواعد التنافس والتعاون والحوار الحضاري لمنع اندلاع صراع الحضارات، فالصين في تعاملها مع الشرق الأوسط تأخذ بعين الاعتبار البعد الحضاري للعلاقات الثقافية بين الجانبين، بإعتبار أن الصين والمنطقة العربية مهد الحضارة البشرية، فاهتمت الصين باللغة العربية والآداب الشرقية وأنشأت قسما للغة العربية بجامعة بكين وغيرها، حيث بلغ عدد الخريجين المتخصصين في اللغة العربية نحو 4000 شخصا، كما أوفدت وزارة التعليم الصينية عددا من طلابها إلى الدول العربية مصر، العراق، سوريا. كما أقامت معاهد وهيآت للبحث في الشؤون العربية منها معهد الشرق الأوسط بجامعة "شنقهاي" التي نشرت وترجمت العديد من المؤلفات العربية. كما أصدرت العديد من الكتب عن الثقافة العربية، والإسلامية حيث يمثل الإسلام أحد ركائز المحددات الثقافية بين الجانبين الذي دخل الصين أكثر من 1300 سنة، ويبلغ عدد مسلميها 20 مليون¹.

إلى كلّ ذلك فإن العلاقات بين الصين ودول المنطقة لم تحكمها هيمنة، أو تسلط، ولا وجود لخلافات تاريخية سلبية، أو صدام أو نزاع بين الطرفين، ولا وجود لخلفيات استعمارية كغيرها من الدول الكبرى، كما يتبادل الطرفان التأييد في المحافل الدولية، وتتفقان في عدّة قضايا ومفاهيم، كقضايا نزع السلاح، وبناء نظام دولي، ومفهوم حقوق الإنسان... إلخ، مما ولد قبولا عربيا شعبيا، وعلى مستوى القيادات العربية تجاه الصين، خاصة وأن هذه الأخيرة لا تدعو إلى الهيمنة بل إلى الصداقة والتعاون، كما تؤيد الدول العربية الدور الصيني بهدف

¹ - محمود صافي محمود، "توجهات سياسة حذرة، آفاق التعاون الصيني الشرق الأوسطي والتحديات الراهنة"، في:

www.achseg.org/38006

خلق التوازن مقابل الولايات المتحدة الأمريكية، رغم تضرر بعض الدول من سياسات الإغراق الصيني لأسواقها ما أدى لارتفاع البطالة ومعدل الكساد¹.

2- الموقف الصيني من أهم القضايا المحورية في الشرق الأوسط:

تتصف السياسة الخارجية الصينية في الشرق الأوسط بالبرغماتية، وهذا ما يظهر من خلال تعاملها مع كل الأطراف لدرجة أن أصبحت مواقفها متناقضة في بعض القضايا.

1. الموقف الصيني من القضية الفلسطينية: لقد كانت الصين في البداية تدعم القضية

الفلسطينية، خاصة في عهد "ماوتسي تونغ"، نظرا للفكر الثوري الذي يؤمن به، رغم سياسة العزلة التي كانت تتبناها، أنذاك إلا أنها إعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل للشعب الفلسطيني، وعرضت الدعم المادي من سلاح ومقاتلين لتحرير فلسطين، وأدانت الإعتداء الإسرائيلي في حرب 1967، كما أدانت دور الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك، وإنقذت بشدة الاتحاد السوفيتي لتخلفه عن مساندة العرب، حيث صرحت الصين أنها ستدعم الدول العربية في قضيتها بتقديم 150 ألف طن من القمح، و10 ملايين دولار دون شروط، كما عارضت على سوريا أسلحة نووية لإستعادة الجولان، كما صوتت ثماني مرات في مجلس الأمن لمصلحة قرارات تدين إسرائيل بين 1971-1974، وكانت تنتظر إليها أنها أداة استعمارية يجب القضاء عليها، ولكن فيما بعد دعمت الصين عملية السلام العربية الإسرائيلية لحل الصراع بالطرق السلمية، كما جاء في مؤتمر مدريد للسلام 1991²، حيث كانت دائما تدافع عن الحق العربي في الاستقلال وإقامة دولة فلسطينية، ولكن سنة 1992، بدأ التمثيل الدبلوماسي مع دولة إسرائيل حيث كانت هذه الأخيرة أول دولة في الشرق الأوسط إعترفت بجمهورية الصين الشعبية حيث قامت الصين بتعيين

¹ - عبد الغني عبد الفتاح، مرجع سابق.

² - الحسني، مرجع سابق، ص.3.

مبعوث دبلوماسي لسلام في الشرق الأوسط في 2002، الذي قام بإجراء مباحثات مع الفلسطينيين والإسرائيليين، كما رفضت الصين الاعتراف بحكومة حماس بعد فوزها في الانتخابات التشريعية 2007، وطالبت منها الاعتراف بإسرائيل خدمة لمصالح الشعب الفلسطيني، وقبول الاتفاقيات المبرمة بين الفلسطينيين والإسرائيليين والذي فسرتة أطراف عربية في المنتدى الصيني العربي، أن الصين قد ترددت في دعم المبادرة العربية لحل القضية الفلسطينية، كما شاركت في مؤتمر أنابولس 2007 لإحياء عملية التفاوض الفلسطينية الإسرائيلية، كما رفضت الصين اعتبار القدس عاصمة الدولة الفلسطينية في مؤتمر التعاون العربي الصيني 2010¹، إلا أن الهدف من التعامل الصيني مع إسرائيل هو للحصول على التكنولوجيا الغربية اللازمة لتحديث الجيش الصيني، فإسرائيل ثاني أكبر مصدر للأسلحة إلى الصين بعد روسيا، وقد باعت إسرائيل للصين طائرات بدون طيار مضادة للرادارات من طراز "هاري"، وصواريخ جو-جو بيثون-3، مما أثار غضب أمريكا، لأنه في حالة الهجوم الصيني على تايوان، فإن القوات الأمريكية التي تدافع عن تايوان، قد تجد نفسها تواجه جيش صيني مزود بنظم أمريكية إسرائيلية الصنع².

2. الموقف الصيني من البرنامج النووي الإيراني: تقدم الجغرافيا الإيرانية للصين ميزتين، حقول الجنوب الإيراني المطلة على الخليج العربي، أما الشمال الإيراني فيمنح بكين فرصة الإطالة الممتازة على بحر القزوين الغني بالطاقة أيضا، حيث تزود إيران الصين بـ 45% من وارداتها النفطية بعد السعودية، والصين لا تنتق كثيرا في هذه الأخيرة ففي حالة حدوث أي توتر أو صراع بين أمريكا والصين فإن السعودية قد تتسحب عن تقديم النفط للصين، كما أن إيران شريكا في رفض الهيمنة

¹ - عبد الغنى عبد الفتاح محمد، مرجع سابق.

² - إيفان ميديروس جين ليانج تسيانج دان بلومينثال (ت: حسن أبو طالب)، السياسة الصينية في الشرق الأوسط (المركز الدولي الدراسات المستقبلية والإستراتيجية)، ع.10، (10 أكتوبر 2005)، ص.45.

الأمريكية في المنطقة¹، ورغم أن العلاقات الرسمية بين البلدين بدأت 1917 حيث تعاونت الصين مع إيران عسكرياً في حربها مع العراق، وصادقت على مقترح إيران 1973 بأنّ الشؤون الأمنية للخليج يجب معالجتها من قبل دول المنطقة، وليس القوى الكبرى، فالعلاقات بين البلدين تطورت بشكل كبير فتحفل إيران المرتبة الرابعة في الاستثمارات الصينية، حيث كان عدد الشركات الصينية في 2010 في إيران 100 شركة ووصلت إلى 166 شركة 2011، ووصل التبادل التجاري بين البلدين 2014 إلى 52 مليار دولار، وهذا ما يفسر الدعم الذي تحضاه إيران من قبل الصين بشأن برنامجها النووي فرغم إعلان الصين عن رفضها لامتلاك إيران السلاح النووي، إلا أنّ وكالة المخابرات المركزية الأمريكية²، تؤكد أنها قد باعت الحكومة الصينية لإيران صواريخ كروز سطح سطح، ومساعدات لتطوير صواريخ بالستية بعيدة المدى، وأنّ المساعدات المقدمة من طرف الصين، كوريا الشمالية وروسيا هي التي أدّت لنجاح إطلاق صاروخ شيهاب 3 فرغم إعلان الصين عن توقفها عن تزويد إيران بالسلاح إلا أنها ساهمت بشكل كبير في اكتساب إيران السلاح النووي والكيماوي، كما دفعت عن هذا الملف في مجلس الأمن والمنظمات الدولية، أكثر من مرّة، ونجحت أكثر من مرّة في عدم إحالته إلى مجلس الأمن، وإبقائه في حدود الوكالة الدولية للطاقة الذرية كما ترفض التصعيد العسكري، أو عقوبات متشددة على إيران، ودائماً كانت لحل الملف بالمفاوضات³، ولقد جاء الموقف الصيني جنباً إلى جنب مع الموقف الروسي في الملف النووي الإيراني حيث يقول الرئيس الروسي بوتين: «إن روسيا والصين سوف تعملان بانسجام وتوافق للتأثير في سياسية الولايات المتحدة، وقد

¹ - "الدور الصيني في الملف السوري الأسباب والدوافع" في:

Nawabet.Center.com/archives/25046

² - الحسيني، مرجع سابق، ص ص. 14، 15.

³ - بلومنتال، مرجع سابق، ص. 40.

إقتنعت روسيا والصين بضرورة مواجهة الولايات المتحدة في أزمة إيران النووية لإبعاد شبح الحرب والحفاظ على السلم العالمي». وذلك عن طريق إستخدام حق النقض في مجلس الأمن لمنع إستخدام القوة العسكرية، التمسك بالنهج التفاوضي مع نظام طهران، عرقلة الجهود الأمريكية الرامية، إلى حشد التأييد الدولي من أجل تشديد العقوبات على إيران، وفك عزلة إيران، وتحفيز النظام الإيراني للأعراض عن السلاح النووي وسلميته.

3. الإرهاب: إن الصين ترفض الاتهامات الأمريكية للعرب والمسلمين على أنهم أطراف في أحداث 11 سبتمبر 2001، كما رفضت أي تدخل عسكري أمريكي في المناطق التي تعتبرها أمريكا منبعاً لإرهاب، حيث ترى أن 11 سبتمبر 2001 ما هو إلا مساعي أمريكية لتكريس مسار النظام الأحادي القطبية، وتكريس هيمنتها على مناطق العالم، والشرق الأوسط بالخصوص، والإرهاب ما هو إلا حجة لذلك حيث يقول وزير الخارجية الصيني السابق "كيان كيشن": «إن الولايات المتحدة شددت من سيطرتها على الشرق الأوسط... وكل الشواهد تدل على أنه حملة واشنطن لمناهضة الإرهاب، قد تجاوزت نطاق الدفاع عن النفس»¹. والصين ترفض ربط الإرهاب بدين أو قومية أو شعب معين، وهي تميز بين الإرهاب وبين النضال المشروع للشعوب من أجل الحرية والاستقلال وهي تدعم الجهود العربية في مكافحة الإرهاب، وتعزيز قدرتها على محاربته، حيث يرى الجانب الصيني بضرورة استئصال الإرهاب من جذوره، وضرورة الإلتزام بمقاصد ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة، وقواعد القانون الدولي وإحترام سيادة الدول ووحدة أراضيها في عمليات مكافحة الإرهاب حيث تسعى الصين للتعاون مع الدول العربية في إقامة آلية طويلة الأمد للتعاون الأمني وتعزيز الحوار بشأن السياسات وتبادل المعلومات الإستخباراتية وإجراء التعاون الفني وتدريب الأفراد

¹ - الملحم، مرجع سابق، ص ص. 36-40.

بما يواجه التهديدات الإرهابية الدولية والإقليمية بشكل مشترك. إلا أن الصين تدعم جميع قرارات الأمم المتحدة ضد الإرهاب، حيث أصدرت منظمة شانقهاي، والصين أحد الأعضاء فيها قرارا يدعو إلى مقاومة الإرهاب، كما ساهمت الصين في استهداف تمويل الأنشطة الإرهابية والتبادل مع أمريكا معلومات استخبارتية من أجل ذلك¹.

4. قضية أسلحة الدمار الشامل: لقد كانت الصين وحتى منتصف السبعينات تمتنع عن التصويت عن قرارات التي تستند إلى البند السابع من ميثاق الأمم المتحدة، الذي يجبر استخدام القوة معتبرة ذلك تعدي على السيادة، ولكن في نوفمبر 2003 صوتت لصالح قرار 1441 بشأن عمليات التفتيش عن الأسلحة في العراق، وزادت مشاركتها من عمليات حفظ السلام، والحد من التسلح ومنع انتشار الأسلحة في العالم، والشرق الأوسط خصوصا نظرا لمصالحها الاقتصادية هناك لذا هي أكثر رغبة في استقرار المنطقة ومنع انتشار الأسلحة فيها، وقد صدقت على العديد من الإتفاقيات في هذا الشأن، منها معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية، ومعاهدة الأسلحة الكيماوية ومعاهدة الحظر الشامل على التجارب النووية 1996، كما أكدت الصين عن تقليصها حجم صادراتها للمواد الحساسة المتعلقة بالأسلحة إلى باكستان والعراق من خلال فرض قيود على الصادرات المتعلقة بالسلاح كما قامت الصين بتدريب 19 مفتشا كيماويا للجنة المراقبة والتحقيق والتفتيش التابعة للأمم المتحدة في 2002 وأعلنت أنها ستوسع ذلك في الشرق الأوسط.

¹ - "وثيقة سياسة الصين تجاه الدول العربية يناير 2016"، ص ص. 19، 20، في:

www.fmprc.gov.cn/fra/wjdt/gb/gb/w020160115345916404312.pdf

أما فيما يخص الغزو الأمريكي للعراق فقد عارضت الصين ذلك، والتدخل العسكري والحرب، وفي 2004 بعثت الصين للأمم المتحدة إقتراحا لتعزيز السلطة الحقيقية للحكومة العراقية المؤقتة بتحديد موعد انسحاب القوات الأمريكية من العراق وذلك بالتأييد من كل من فرنسا ألمانيا، روسيا، ولكن رغم معارضتها لغزو العراق، إعترفت مباشرة بنتائجه وإفرازاته¹.

من خلال الموقف الصيني من هذه القضايا، يظهر التناقض في السياسة الخارجية الصينية والذي يمكن تفسيره من منطلق عامل المصلحة والبرغماتية التي تتحرك وفقها الصين، فبالرغم من عدم رضاها عن السياسة الأمريكية في المنطقة إلا أنها تتفق معها في رؤيتها لقضايا المنطقة كما سلف الذكر، ويمكن اعتبار ذلك جزء من السياسة الصينية التي ترغب في زيادة تورط أمريكا في مشاكل المنطقة، وإطالة أمد تورطها قدر المستطاع لتكتسب بذلك المزيد من الوقت لبناء قدراتها الذاتية بعيدا عن التدخل الأمريكي في شؤونها، إلا أن قرار أوباما بالانسحاب من العراق، وتوجهه إلى منطقة آسيا والمحيط الهادئ كإستراتيجية جديدة لأمريكا، أثار قلقا لدى الصين، وإعادة النظر في تعبير رؤيتها الإستراتيجية لتتوافق مع التحديات الجديدة خاصة مع توتر علاقاتها مع جوارها الإقليمي، كاليابان، الفلبين، الهند أستراليا، كوريا الجنوبية، تايلندا، وحتى حلفاء تقليدين كبروما، وعودة التوتر إلى مناطق وجزر متنازع عليها في بحر الصين الشرقي والجنوبي، في ظل الدعوة لإيجاد آلية دولية لحل قضية جزر سبارتلي المتنازع عليها، وكذلك تحديات داخلية كلا من الاستقرار الإجماعي، حيث بدأت تزداد حالات التظاهر والاحتجاج، فسجلت خلال 2011 أكثر من 100 حالة إحتجاجية منها الأحداث الدامية في بلدة، ووكانغ في "إقليم غوانغ دونغ" جنوب الصين، إحتجاجا على انعدام العدالة الاجتماعية، وتقشي الفساد، البطالة، اتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وتوترات عرقية في عدة أقاليم كالتبت، وسينكيانج (تركستان الشرقية)

¹ - بلومنثال، مرجع سابق، ص ص. 10-25.

وتحدي آخر يمثل في أحداث الربيع العربي¹. ومنه نتساءل ما الذي طرأ على السياسة الخارجية الصينية في الشرق الأوسط بعد أحداث الربيع العربي؟

3- الموقف الصيني تجاه الحراك في الشرق الأوسط:

لقد كان الموقف الصيني في بداية أحداث الربيع العربي تتصف بالحدز، فقد غضت النظر عما يجري من أحداث في الدول العربية من حراك واحتجاجات، حيث اعتبرت الصين هذه الأحداث اضطرابات ينبغي حلها بالحوار والمفاوضات كما أن هذه الاضطرابات ترجع لعدة عوامل داخلية اجتماعية واقتصادية، وليست فقط لأسباب سياسية، فعلى النقيض من الرأي العام الدولي خاصة الإعلام العربي، امتنعت الصين عن وصف هذه التغيرات على أنها ثورة، حيث أنها كانت أكثر تحفظاً في استخدام هذا المصطلح، وكذلك الربيع العربي ومالت إلى استخدام مصطلحات، الإضطرابات، التغيرات للتعبير عما يحدث²، وأكد الموقف الصيني على حق العرب في تقرير الشكل الديمقراطي الذي يناسبهم، وطبيعة التنمية التي يحتاجون إليها، وليست تلك المفروضة عليهم من الخارج، حيث تمسك بموقف رفضها التدخل الخارجي لتفويض الأنظمة سواء في مصر، اليمن، سوريا، معتبرة أن التدخل الخارجي في أفغانستان والعراق ألحق مخاطر ومعاناة لشعوب المنطقة³، إلا أن هناك العديد من المحددات التي تفسر الموقف الصيني منها:

1. الخشية الصينية من أن تؤدي التغيرات في المنطقة العربية إلى تنامي مكانة الحركات الإسلامية، مما قد يشجع على انتشار مثل هذا التحول في الصين والتي قد تؤدي إلى نتائج مماثلة، ومنه أن عملت الصين في البداية على احتواء انتشار المعلومات لشعوبها عبر الأنترنت، ووسائل الإعلام، وعززت الأمن في الشوارع وحكمت من

¹ عزت شحور، "الصين والشرق الأوسط ملامح مقاربة جديدة"، في:

Studies.aljazeera.net/ar/reports/2012/06/2012611142554206350.html

² - إسلام عيادي، "الموقف الصيني و الإسرائيلي من قضايا التحول السياسي في منطقة الشرق الأوسط"، مجلة العلوم السياسية والقانون، ع.3، (2017).

³ - الحسيني، مرجع سابق، ص.4.

خلال الرقابة على الأنترنت منشورات تدعو إلى تنظيم احتجاجات في بكين وشنقهاي و11 مدن أخرى، وقيدت الناشطين الديمقراطيين والصحفيين الأجانب، وقد ألقى الرئيس الصيني "هوجنتاو" خطابا في أعقاب الاحتجاجات الواسعة والسقوط الأحق لأنظمة الإستبدادية في الشرق الأوسط حذر: «في الوقت الحاضر فإن بلدنا لديه نافذة إستراتيجية مهمة للتنمية، ولكنها أيضا في فترة من الصراعات الاجتماعية المتضخمة»، فرغم كل ما حققته من إنجازات إلا أنها تعرف مشاكل كبيرة : من فساد ونسبة كبيرة من الشباب المتعلم الذي لا يعثر على الوظائف المناسبة، ندرة المباني السكنية، لذا كانت تخشى تأثيرات الربيع العربي والتي قد تمتد لتؤثر على الاستقرار الإجتماعي والاقتصادي الصيني¹.

2. لقد أخذت الصين بعين الاعتبار أن أي تغير في البيئة السياسية للنظم العربية قد يؤدي إلى تغيير في فرص الصين في المنطقة، حيث مثلت هذه الأحداث تحديا لسياسة الصين ومصالحها الاقتصادية، والذي يعتبر العامل الأبرز في تحديد سياستها الخارجية تجاه المنطقة، فهي تعتبر ضرورة الإستقرار في المنطقة لضمان وصول الموارد الطبيعية دون عائق أو تأخر، فطالما الصين كانت تنتظر لعدم الاستقرار مشكلة حيوية بالنسبة لها، فالصين لديها إحتياطي نفطي يتكون من 100 مليون برميل، وتستهلك يوميا 8.3 مليون برميل وبذلك فإن هذا الإحتياط قد يصمد 14 يوما فقط، إذا ما تعطلت جميع امتدادات النفط، ومع هذه الأحداث قد لجأت الصين إلى تنويع الموردين خوفا من أي تعطل، كما أنه في بداية 2010 أدى إلى إرتفاع الأسعار العالمية للنفط ما أدى بالنسبة للصين، إلى إرتفاع فواتير الإستيراد وانخفاض الفائض التجاري، تباطؤ النمو الاقتصادي، فقد شكل الربيع العربي تحديا للمصالح الاقتصادية الصينية، والمشاريع فقد تم التخلي عن بعض المشاريع المتفق

¹ - خريزا، مرجع سابق.

عليها والتي تساوي مليارات الدولارات، حوالي 18.8 مليار دولار في ليبيا مما أدى إلى خسائر اقتصادية كبيرة.

كما أنّ الصين في تعاملاتها مع دول الربيع العربي أخذت بعين الاعتبار علاقاتها بأمريكا وروسيا وأوروبا، لذا فهي تجتنب أي موقف قد يضعها في موضع مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة الأمريكية، كما أن الصين لا تعارض إقامة علاقات مع الأنظمة الجديدة وهدفها فقط هو الحصول على الموارد والأسواق أي عدم تضرر مصالحها في المنطقة، كما أن الصين ترفض أي تدخل عسكري، ولا تعتقد أن العقوبات الاقتصادية أداة سياسية فعالة بل هي أداة نادرة ما تحقق الأهداف المعلنة.

3. تشير بعض الدراسات الصينية إلى شكوك في طبيعة القوى المحركة للربيع العربي فجاء في صحيفة "OPED" ووكالة شينجو الرسمية "Xnhua"، عدّة تساؤلات منها لماذا حظيت المظاهرات العربية بتغطية واسعة من الإعلام الأمريكي، بينما لم تحظى مظاهرات وول ستريت بنفس التغطية، واعتبرت ذلك اتفاق سياسي أمريكي، كما يعتقد الصين أن عدم الإستقرار في المنطقة، جاء كهدف لسد الطريق أمام إمدادات النفط الصينية لإعاقة تنميتها الاقتصادية¹.

أما فيما يخص مواقفها حيال الدول التي عرفت الحراك، فقد التزمت الصين الصمت والحذر والترقب في كلّ من تونس ومصر، فمع بداية الأحداث في تونس نظر المسؤولون الصينيين بحذر من الخطر القادم من الشرق الأوسط وإمكانية التأثير على بلادهم، إلّا أنه بفوز المعارضة تعاملت الصين معها بهدف الحفاظ على مصالحها وأهدافها، حيث منحت هدية مالية لتونس بقيمة 40 مليون يوان أي 6.065 ملايين دولار، على شكل استثمارات في مشاريع تنموية، أما مصر فقد استقبلت الصين مستثمرين في إطار زيادة مجالات

¹ - المرجع نفسه.

التعاون الاقتصادي والاستثماري بين البلدين، أما بالنسبة لليمن فقد أعلنت الصين في مناقشات المجلس الأمن الدولي أن المسألة تخص الشعب اليمني بنفسه في خياراته الديمقراطية، وحل مشاكله بالحوار الوطني، وكانت دائماً تدعو لعدم التدخل العسكري بما فيه من تدخل في الشؤون الداخلية للدول، أما بالنسبة لليبيا امتنعت الصين عن التصويت عن القرار 1973 وإنضمت إلى روسيا وألمانيا، والهند والبرازيل في ذلك، وحاولت الحفاظ على علاقاتها بالنظام الليبي خاصة وأن القذافي فتح على الصين أبواب الهضبة الإفريقية للاستثمار في عدة وظائف، ولكن فيما بعد صوتت ليبيا على القرار 1970 لمجلس الأمن الدولي، خاصة بعدما رحبت الدول العربية بتدخل الناتو في ليبيا، حيث جاء في هذا القرار خطر تصدير الأسلحة إلى ليبيا، فعقوبات أخرى تستهدف القذافي والمقربين منه، إلا أنها انتقدت بشدة الغارات التي شنها حلف الشمال الأطلسي على ليبيا، متهمة الدول التي تدعم هذه الضربات بانتهاكها الأحكام الدولية وإحداث اضطرابات جديدة في الشرق الأوسط، كما أعلنت الصين أنها لن توافق على أي تصرف يتخطى تفويض مجلس الأمن الدولي، الذي يتحمل المسؤولية الأولى في حماية السلام والأمن في العالم¹.

ويمكن القول أن الصين في تعاملها مع الربيع العربي جاء وفق مبدأ سياستها "عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول وأن لكل دولة حق في حل مشاكلها بنفسها، وكانت تدعو المجتمع الدولي لمساعدة الدول من أجل الحفاظ على وحدة أراضيها وشعبها، إلا أن عامل المصلحة هيمن على السلوك الصيني في تعاملها مع أحداث الربيع العربي. وفيما يلي سيتم التطرق إلى الموقف الصيني من الأحداث في سوريا، لملاحظة إذا ما بقيت سياستها نفسها أو ظهر عليها أي تحوّل.

¹ - عيادي، مرجع سابق.

المطلب الثاني: تأثير السياسة الخارجية الصينية على مسار الأزمة السورية.

سننتظر فيما يلي إلى عرض العلاقات الصينية السورية، وكيف أثرت هذه العلاقات على الموقف الصيني في سوريا، وما هي تداعيات ذلك على مسار الأزمة السورية.

1-العلاقات الصينية السورية:

تعتبر الصين سوريا منطقة ذات أهمية اقتصادية، إستراتيجية، أمنية، بالنسبة لها حيث تعود تاريخ العلاقات بين البلدين إلى مئات السنين، فهي نقطة التقاء لثلاث قارات عبر عدد من الممرات البرية والبحرية والجوية، وشكلت سوريا الطريق التجاري الذي ربط الصين ببلاد العرب "طريق الحرير" أما في العصر الحديث اهتمت الصين بسوريا منذ نشأة جمهورية الصين الشعبية، حيث كانت سوريا النقطة الأضعف للنفوذ الغربي في منطقة الشرق الأوسط، وخط الدفاع الأول عن مصالح الصين في آسيا الوسطى والقوقاز، والجسر الموصل للبترول من روسيا الاتحادية إلى الصين، وبلد العبور لمعظم النفط العراقي ما بين عامي 1934 و1982، والنفط السعودي ما بين عامي 1973، 1982، وترتبط سوريا بالصين علاقات في مختلف المجالات، حيث وقع الطرفان على اتفاقية دفع التجارة عام 1955 حتى قبل قيام العلاقات الدبلوماسية، كما دعمت الصين سوريا في التصدي لأسطول السابع الذي أرسلته تركيا لتهديدها، بتحريض أمريكي، وقد تم التوقيع على عدّة اتفاقيات في مختلف المجالات، التجارية، الثقافية.

وبعد توقيع مصر على اتفاقية كامب ديفيد، تطورات العلاقات بين البلدين، حيث بقيت سوريا نقطة التوازن الوحيدة في منطقة الشرق الأوسط في وجه السيطرة الغربية، كما تلاقى الطرفين في دعم إيران في حرب الخليج الأول (العراقية-الإيرانية) بين 1980/1988، وقدمت الصين لسوريا في 1985 مساعدة عسكرية، وصفقات شراء الأسلحة وأرسلت مفاعلات نووية لأغراض سلمية، ودربت الخبراء السوريين على كيفية إستخدامها وساعدت الحكومة السورية على بناء مصانع لإنتاج الصواريخ في مدينتي حلب

وحماة والإتفاق على تقديم قرض بقيمة مئة مليون يوان لمدة عشر سنوات لاستخدامه في تمويل مشاريع بترولية 1996، وقدمت الصين عدة منح لسوريا بقيمة عشرين مليون يوان سنة 1999، ووقعت اتفاقية بقيمة أربعة وخمسين مليون دولار في 2000، فشهد التبادل التجاري تطورا كبيرا حيث ارتفع من سبعين مليون دولار أمريكي عام 1989 إلى مئة وخمسين مليون دولار أمريكي في 2000¹، ومع انضمام الصين لمنظمة التجارة العالمية 2001، سعت بترسيخ نفوذها في منطقة الشرق الأوسط. التقت المساعي الصينية لزيادة نشاطها الاقتصادي في المنطقة، وأهداف السياسة الخارجية السورية، بعد طرح الأسد عام 2002 إستراتيجية تسعى لتحويل سورية إلى قاعدة لنقل الغاز، ومنطقة تجارة حرة تصل بين الشرق والغرب، عبر ربط البحار الخمسة المتوسط قزوين، الأحمر، الأسود، والخليج العربي) من خلال سوريا، وفي حين لم تتحمس الدول الغربية لذلك ضمنها أمريكا، رأت الصين أن هذا المشروع إحياء لطريق الحرير، يمكن أن يسهم في بناء منطقة جديدة للتنمية الاقتصادية في غرب الصين، تكون كجسر، يربط آسيا والمحيط الهادئ شرقا بالمنطقة العربية في الوسط ومناطق أوروبية أخرى غربا، وستشكل بذلك أطول ممر اقتصادي رئيسي في العالم ونمطا جديدا للإنتفاع الصيني، وفي هذه الفترة 2004-2005 وقع الطرفان على اتفاقيات تعاون في مجال النفط، الغاز، الزراعة، الصحة، العلوم الطبيعية، السياحة، التعليم، الثقافة والموسيقى، المسرح... إلخ. وتم إنشاء مدينة صناعية في سوريا بمساعدة صينية ووصل حجم التبادل التجاري بين البلدين إلى تسع مئة مليون دولار أمريكي 2005².

لقد ظلت العلاقات بين الطرفين قائمة، وكلما تصاعدت مكانة الصين الدولية تصاعد إهتمامها بسورية كنقطة إرتكاز لها في المنطقة، وبقيت العلاقات بين الطرفين جيدة فقد بلغ حجم التبادل التجاري بينهما 2010 إلى 2.48 مليار دولار، و1.82 دولار كعقود هندسية

¹ - الحسيني، مرجع سابق، ص ص. 11-13.

² - المرجع نفسه، ص ص. 13-17.

صينية في سوريا، و4.82 مليون دولار تحولات عمال صينيين في حوالي 30 شركة صينية في سورية، و16.81 مليون دولار على شكل استثمارات مباشرة، حيث احتلت الصين المرتبة الأولى في 2010 في الشركاء التجاريين لسورية بنسبة 6.9% من إجمالي التجارة السورية، كما تساعد الشركات الصينية سوريا في مواجهة المشكلات التكنولوجية.

2- الموقف الصيني من الأزمة السورية:

لقد مثل الموقف الصيني من الأزمة السورية بداية إستراتيجية جديدة متسقة مع قرارات الصين المتنامية، حيث تجاوز الموقف الصيني هذه المرة حدود عدم الرضا عن السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، إلى صياغة موقف مباشر ومعارض لتلك السياسة بشكل علني من خلال استخدام الفيتو أكثر من مرة، لإسقاط مشاريع غربية تهدف إلى إسقاط النظام السوري، حيث يعدّ استخدام الفيتو الصيني تطوراً مهماً في تعامل الصين مع المنطقة وكذلك نظرة بكين لدورها الدبلوماسي والسياسي على الساحة العالمية فهي من أقل الأعضاء الدائمين استخداماً لحق الفيتو، فقد استخدمت الفيتو ثلاثة عشرة مرة خلال واحد وأربعين سنة. واستخدمته أكثر من مرة في سورية، حيث جاء الموقف الصيني متمسكاً بالنظام السوري، وسيعرقل أي قرار ضدّ إدانته، أو فرض عقوبات عليه، أو التدخل داخل سوريا لإسقاطه، فقد استخدمت الصين جنبا مع روسيا حق الفيتو لأكثر من مرة، وفي أكثر من موقف، كما سلف ذكره في الموقف الروسي من الأزمة السورية حيث جاءت مواقفها مؤيدة للموقف الروسي ما عدا التدخل العسكري¹.

ومع تطور الأحداث في سوريا، وتحوله إلى نزاع مسلح بين النظام والمعارضة وأطراف متطرفة، أكّدت الصين على ضرورة حل الأزمة بشكل سلمي حيث شاركت في عدة مؤتمرات لذلك منها جنيف حيث وافقت على ما جاء في جنيف واحد كما سلف ذكره، إلّا

¹ - "الدور الصيني في الملف السوري: الأسباب والدوافع"، في:

<https://www.alsouria.net/Content/الدور الصيني في الملف السوري>

أنها عرضت على قرارات جنيف 2، بسبب عزل إيران عن المشاركة فيه، كما عارضت عن استخدام الأسلحة الكيميائية في سورية، وسعت لدعم الجهود الأمريكية الروسية للقضاء عليها عندما تم الأسد استخدامها في 2013، حيث شاركت الصين في حماية السفينة الأمريكية التي وجهت لتدمير ترسانة الأسلحة الكيميائية، وذلك تنفيذ لقرار مجلس الأمن الدولي رقم 2118¹.

إن الموقف الصيني من الأزمة السورية تعدى العلاقة أو المصلحة مع سوريا، فبالرغم من العلاقات الجيدة والمصالح بين الطرفين كما سلف الذكر، إلا أنّ هذه العلاقات ليست بتلك القيمة التي تدفع الصين لعدم التخلي عن النظام السوري، فسوريا لا تشكل نقطة جذب لا تقاوم بالنسبة للصين مما يستدعي البحث عن مبررات أخرى لتفسير الموقف الصيني في سوريا وعلى رأسها:

- يشكل الموقف الصيني في استخدامه الفيتو وتدخله في سوريا، أحد ردود الأفعال المباشرة عن التحول في الإستراتيجية الأمريكية التي أعلنها أوباما نحو منطقة المحيط الهادئ، وآسيا، ودعوة أوباما عن "مراجعة دفاعية تقوم على تركيز القوات الأمريكية في آسيا والمحيط الهادئ"، حيث أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية من خلال ذلك ما أطلق عليه بعض الباحثين الهندسة الجيوسياسية"، مما دفع نائب الرئيس الصيني "Xij Jinping"، للقول: «إننا نأمل بأن تحترم الولايات المتحدة مصالح وهواجس الصين والدول الأخرى في هذه المنطقة»، الذي اعتبرته الصين تهديدا مباشرا لنفوذها، مما جعل الصين تعمل على رد الفعل في مناطق أخرى، وقد شكلت سوريا فرصة لهذا الرد، لأن الصين كانت ترى أنه وراء الهدف الأمريكي من إسقاط النظام السوري وتعتبر ذلك مقدمة للسيطرة الغربية عليها، حيث جاء إتهام صريح لأمريكا من قبل

¹ - الحسيني، مرجع سابق، ص.5.

الصين بأنها تسعى لبسط نفوذها على سوريا، كما فعلت بمعظم دول الشرق الأوسط حيث كان الموقف الصيني ضد القرارات الأمريكية في سوريا، خاصة بعد القرارات التي اتخذتها أمريكا ببيع أسلحة لتايوان، فقد أشارت صحيفة "China Daily" في مقال بتاريخ 23 سبتمبر 2011 حول الصفقة الأمريكية التي بلغت ست مليار دولار حيث صرّح الناطق باسم وزارة الخارجية: «إن هذا القرار الخاطئ يدمر العلاقات الأمريكية-الصينية لأنه يمس مصالح الصين الجوهريّة وسيادة وحدة أراضيها» وتوقع رئيس معهد الصين للعلاقات الدولية في بكين QU XING، أن الصين "ستكون ملزمة بالرد"، وسوريا جزء منه، كما أن استقبال الرئيس الأمريكي لزعيم الأقلية البوذية "دلالي لاما" في 2011، إعتبرته الصين تشجيعاً للجماعات الانفصالية حيث جاء على لسان الناطق باسم الوزارة الخارجية «أنه تدخل في الشؤون الداخلية الصينية... وأن على الولايات المتحدة التوقف عن تشجيع الجماعات الانفصالية في التبت»¹. حيث خشيت الصين من وصول مدى هذه الأحداث إلى تصعيد عدد من الحركات الانفصالية في الصين، وأن يحارب بعض أفراد من الأقليات الصينية المسلحة الموجودة في الصين إلى جانب المعارضة في سورية ومنهم متشددون صينيون من قومية الأغور، الذين تلقوا تدريباً على يد مسلحي الدولة الإسلامية في العراق والشام.

- كما أخذت الصين في موقعها من الأزمة السورية، علاقاتها الوطيدة مع روسيا فالبلدين يشتركان في حدود يصل طولها إلى نحو 3500 كلم. وتطور العلاقات بين الطرفين في السنوات الأخيرة لتحسن غير مسبوق في تاريخ العلاقات بينهما، خاصة ما يخص الغاز والنفط، لدرجة الحديث عن تحالف روسي-صيني قد يواجه أمريكا حيث أن الصين وجدت في روسيا بديلاً في مجال النفط، خاصة بعد الاضطرابات

¹ - عبد الحي (محددات)، مرجع سابق، ص ص 7، 8.

التي شهدتها الشرق الأوسط إثر الربيع العربي، حيث ستوفره لها روسيا إمدادات الطاقة عبر البرّ، حيث أن 80% من واردات الصين النفطية، تمرّ عبر مضيق ملقا، وهو نقطة الضعف في الإستراتيجية الصينية، حيث أي إغلاق للمضيق أو حصار بحري عليه من طرف قوى معادية سيحول دون وصول النفط إلى الصين فروسيا تتيج لها أي حصار بحري محتمل، كما تمثل روسيا حليفا لها في سعيها لإنشاء نظام عالمي متعدد الأقطاب.

- بالإضافة إلى أن الصين تخشى من تأثير سقوط النظام السوري على مكانة إيران الإقليمية كحليف إستراتيجي لسورية، حيث تحتلّ إيران موقعا مركزيا في سلم الأولويات الصينية كما سلف الذكر¹.

- كما أن الصين ترفض سقوط الأسد خوفا من قيام نظام في سوريا، يكون حليفا لأمريكا، مما سيضعف الوجود الصيني في المنطقة، كما أن دعمها للنظام السوري حفاظا على السلام والاستقرار في بلدانها فقد تطالب بلدانها بنفس المطالب، لذا فإن الموقف الصيني كان يدعو للحل بالطرق السلمية، ورفض التدخل الغربي خاصة استخدام القوة العسكرية، وكأحد المبادئ الثابتة في سياستها الخارجية، حيث استبعدت الصين أي تدخل عسكري لها في سوريا، بل ستقتصر فقط على خدمات طبية وإنسانية في سوريا ومنه عدم مشاركتها في التدخل العسكري الروسي في سوريا حيث بعثت الصين وزير رفيع المستوى لسوريا والذي صرح أن الهجمات التي تنفذها القوات الروسية في حلب مشروعة، وهي ضد أهداف إرهابية، ودعا المجتمع الدولي لتكثيف

¹ - الدور الصيني في الملف السوري، مرجع سابق.

الجهود لمكافحة ومحاربة التنظيمات الإرهابية المدرجة على لوائح الإرهاب التي أقرتها الأمم المتحدة، تظم الدولة الإسلامية، جبهة النصرة، وحركة تركستان الشرقية¹.

3-تداعيات الدور الصيني على مسار الأزمة السورية:

إنّ الموقف الصيني الداعم للنظام السوري، والمتجاهل لأطراف المعارضة، التي كانت تعول كثيرا على القرارات الخارجية في اتخاذ إجراءات لإزالة النظام، أو على الأقل عدم استخدامه القوة أو توفير الحماية للمدنيين، واستخدامها الفيتو بجانب روسيا لعرقله كل الجهود والقرارات التي تدين النظام أو تسعى لإزالته، قد أعطت النظام غطاء سياسيا لممارسته المختلفة، مما شجعه أكثر في التمادي واستخدام القوة العسكرية لإخماد المعارضة وصدّ شعبه مما أدى إلى تفاقم الأوضاع، وظهور مواجهات داخلية آلت إلى تفاقم الأزمة وعدم الوصول للحل السياسي، بالتالي إطالة أمدها ليومنا هذا، وزيادة معاناة الشعب السوري والصين وحتى لو لم تتدخل بطريقة مباشرة، إلا أن مواقفها لصالح النظام سبب في استياء عدد كبير من الدول التي كانت تنتظر من الصين موقفا مغايرا، حيث فقدت شعبيتها وأصبحت الأغلبية السورية تشعر بالكراهية تجاه الصين لأن دعمها للنظام كان سببا في معاناته، مما سيشكل مستقبلا عامل سلب في تاريخ العلاقات بين الطرفين².

إنّ الموقف الصيني من الأزمة السورية كشف على أنها لا تتعامل طبقا لمبادئ المنتدى العربي الصيني، فبالرغم من النصوص الواضحة في إعلان التعاون الإستراتيجي والتنسيق والتشاور بين الطرفين، وتبادل الدعم في مختلف القضايا المتعلقة بالمصالح الحيوية والرئيسية للطرفين، إلا أن الأزمة السورية، كشفت عن خلاف دبلوماسي كبير بين الجانبين في مجلس الأمن، حول مشاريع القرارات لجامعة الدول العربية للحل الأزمة السورية فاستخدام الفيتو الصيني لإجهاضها والوقوف ضدها، يكشف أن المصالح الحيوية والرئيسية

¹ - عبد الغنى عبد الفاتح محمود، مرجع سابق.

² - ناصر الحسيني، "الصين نعومة المخالب"، في:

المنصوص عليها في إعلان التعاون الإستراتيجي للعرب والصين هي شديدة الاختلاف في منطقة الشرق الأوسط، حيث أعلنت الصين أن دبلوماسيتها ستتخذ إبان الأزمات في المنطقة تنسيقاً مع الجامعة العربية، إلا أنّ الصين في سوريا فضلت التنسيق مع روسيا بدلاً من الجامعة العربية، وبذلك فإن سوريا مثلت ولأوّل مرّة تضارب إستراتيجيات ومصالح العرب مع مصالح وإستراتيجيات الصين في الشرق الأوسط¹.

صحيح أن الصين إلّزمت بمبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، كأحد مبادئها الخمسة الثابتة، إلا أنّ سكوتها و عدم رفضها للتدخل العسكري الروسي في سوريا، ورأيها الإيجابي به بوصفه أنه جاء من أجل محاربة الإرهاب، يضع هذا المبدأ محل شك و هي التي صرحت أكثر من مرة بعدم تدخل في الشؤون الداخلية للدول و حتى لو لمحاربة الإرهاب.

¹ - عبد الغنى عبد الفتاح محمد، مرجع سابق.

خلاصة الفصل:

لقد فرض الربيع العربي على الولايات المتحدة الأمريكية أن تعيد النظر في أدوات سياستها الخارجية في الشرق الأوسط، وأن تغير من إستراتيجياتها لاستخدام القوة الناعمة من خلال تجنبها التصادم مع الحركات الإسلامية التي وصلت للحكم عن طريق الانتخابات، أما في المسألة السورية فقد سعت لإسقاط النظام السوري وهذا ما برز في المؤتمرات الدولية التي عقدت لحل الأزمة السورية إلا أنها لم يصل إلى التدخل العسكري، في عهد أوباما والذي نفذته ترامب إلا أنه بقي محدودا.

أما روسيا فقد عملت وفق سياستها لمزاحمة الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة فتخلت عن الأيديولوجية وأعطت الأولوية للمنطق الاقتصادي، فظهر النهج البراغماتي في السياسة الروسية مع بداية الربيع العربي إلا أن مع وصول الأحداث إلى سوريا تغيرت كل الأوضاع، فقد عملت على دعم النظام السوري منذ البداية وفرضت بقائه كأساس للحل والتسوية في كل المؤتمرات الدولية وصولا لاستخدام الفيتو أكثر من مرة دفاعا عنه وحتى استخدام القوة العسكرية ليبقى واقفا، ما أدى إلى تعقد الأزمة السورية، وإطالة أمدها ليومنا هذا.

وكذلك تنامي الدور الصيني حيث سعت الصين لتوثيق علاقاتها في المنطقة لتحقيق إستراتيجياتها في تحقيق التعددية القطبية في ظل تمرير فكرة صعودها السلمي. وقد تعاملت مع الربيع العربي بالحدز الشديد إلا أن موقفها جاء داعما لروسيا ووقفت بجانبها أمام كل القرارات التي أصدرتها لصالح النظام السوري واستخدامها الفيتو أكثر من مرة لتؤيد هذا الموقف، ولإسقاط مشاريع تهدف لإسقاط النظام السوري، فالدور الصيني المتناسق مع الدور الروسي هو الآخر ساهم في إطالة أمد الأزمة السورية في ظل رفضها لأي حلول تؤدي لسقوط الأسد.

خاتمة

لقد كانت ومازالت وستظل منطقة الشرق الأوسط ساحة تنافس استراتيجي بين مختلف القوى الإقليمية والدولية نظرا لأهميتها الجيوستراتيجية ما جعلها من أكثر مناطق العالم توترا فهي ملتقى مصالح قوى متعددة وبؤرة اهتمامها حيث أصبحت مختلف القوى تتصارع وتتنافس فيما بينها من أجل السيطرة عليها والتحكم في مواردها عن طريق مختلف الاستراتيجيات والخطط.

لقد شكل الربيع العربي مرحلة جديدة من تاريخ المنطقة والتي كانت وليدة عوامل داخلية تراكمت عبر سنوات طويلة، تجلى في إخفاق النظم في المنطقة في تسيير شؤونها وعدة عوامل خارجية ساهمت في تحريك هذه الأحداث.

لقد اختلفت المواقف التي تبنتها القوى الإقليمية والكبرى تجاه دول الربيع العربي عامة، وسوريا خاصة، رغم أن الأسباب والأهداف كانت واحدة في كل الدول وهي إسقاط أنظمة استبدادية واستبدالها بأنظمة ديمقراطية، وقد أثرت هذه الأحداث في الخريطة الجيوسياسية للتحالفات في المنطقة، والتي لم تظهر في البداية في تونس، وبدأت تظهر ملامحها في مصر لوزنها الإقليمي، إلا أنها برزت بشكل كبير في وصولها لمحاور جيوسياسية كاليمن وسوريا. ما يوضح أهمية بعض الدول في المنطقة بالنسبة لهذه القوى عن غيرها، والتي تخدم مصالحها بالدرجة الأولى فالمصلحة هو المحرك الرئيسي والموجه لمختلف المواقف التي اتخذتها هذه القوى الإقليمية والكبرى تجاه دول الربيع العربي عامة وسوريا خاصة لما تشغله هذه الأخيرة من مركز حيوي عبّر عن ساحة لتجاذبات إقليمية ودولية.

لقد مثّل الربيع العربي تحدي كبير لدول سعت للعب دور إقليمي فاعل في المنطقة وعلى رأسها إيران التي عززت مصالحها القومية بتحسين علاقاتها بدول المنطقة والتي استطاعت أن تحتل موقعا مهيمنيا باعتبارها من أكفأ الدور في المنطقة نظرا لقدراتها

العسكرية، ومع بداية أحداث الربيع العربي تعاملت إيران معها بالحذر مراعية تلك المصالح الوطنية وتحالفاتها في المنطقة، إلا أنه مع وصول الأحداث إلى سوريا شعرت بالتهديد، لما تمثله هذه الأخيرة من أهمية كبيرة في تحقيق مشروعها في المنطقة، لذا جاءت مواقفها داعمة للنظام السوري ماديا ولوجستيا ما أدى إلى بقاءه، وإطالة أمد الأزمة السورية، وقد أدى ذلك إلى تراجع نسبي في الدور الإيراني في المنطقة لدى الرأي العام العربي أما بالنسبة لتركيا فهي الأخرى سعت للعب دور في المنطقة، تعزز مع وصول حزب العدالة والتنمية للحكم، وقد استطاعت تركيا تحقيق مكانة هامة في المنطقة خاصة في المجال الاقتصادي ومع بداية الربيع العربي تعاملت تركيا بحذر مراعية تلك المصالح الاقتصادية، ومع وصول الأحداث إلى سوريا ونظر للتقارب الجغرافي والتركيبة العرقية المشتركة (الأكراد) أصبحت المسألة السورية مسألة أمن قومي بالنسبة لها، لذا عملت على حلها، ودعت إلى إسقاط نظام بشار الأسد لحل هذه الأزمة ودعمت المعارضة.

أما إسرائيل التي تمكنت بفعل تخطيطها الاستراتيجي النجاح في الوصول لإقامة علاقات مع دول عربية في مختلف المجالات، شعرت بالتهديد من أحداث الربيع العربي خوفا من نتائجها، التي قد تنتقل لإحياء القضية الفلسطينية لدى الشعوب العربية، بعدها غاب الاهتمام العربي بهذه القضية في الآونة الأخيرة، وكذلك خوفا من قيام أنظمة ديمقراطية متماسكة على الصعيد السياسي والعسكري الذي سيشكل تهديدا كبيرا لها، إلا أن ما حدث هو العكس مما جعلها المستفيدة خاصة في المسألة السورية فمع تشتت سوريا زالت قوة كانت تمثل تهديدا لها، منذ زرعها في المنطقة.

كما أظهرت الأزمة السورية حالة من التنافس بين دولتين إقليميتين لكل منها مصالحها المختلفة سعت للحفاظ عليها بكل الطرق ففي حين اتجهت تركيا إلى مساندة

المعارضة، وجّهت إيران الدعم للنظام السوري ما زاد تعقيد الأزمة السورية وتشابك ملفاتها وإطالة أمدّها.

أما على المستوى الدولي فقد شكّل الربيع العربي تحدي لدول لها نفوذ في المنطقة وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية التي عملت على تثبيت موقعها وتعزيز قيادتها للنظام الدولي، والشرق الأوسط جزء من ذلك، إلّا أن تدخلها العسكري في المنطقة شكل عامل سلب بالنسبة لمكانتها ومع بداية الربيع العربي غيرت الولايات المتحدة الأمريكية أدوات سياستها الخارجية واستخدمت القوة الناعمة، من خلال دعمها للحركات التي تطالب بالديمقراطية والعدالة... إلخ.

ومع وصول الأحداث إلى سوريا سعت لإسقاط النظام السوري من خلال مواقفها المختلفة في المؤتمرات الدولية حيث كانت دائما تتنادي بإسقاطه إلّا أنّها لم تصل إلى التدخل العسكري في عهدة أوباما والذي تحقق مع ترامب إلّا أنّه لم يكن يهدف لإسقاط النظام السوري، بل مجرد رسالة لعدة أطراف بأن الولايات المتحدة الأمريكية لن تتخلى عن التدخل في شؤون المنطقة رغم تركيز اهتمامها على المحور الآسيوي.

أما بالنسبة لروسيا بعد الإصلاحات الداخلية التي تبنتها بإزالة الخلل الناتج عن انهيار الاتحاد السوفيتي، وخاصة مع وصول بوتين تسعى لاسترجاع مكانتها في المنطقة بإحياء العلاقات التي كانت قائمة في فترة الاتحاد السوفيتي إلّا أنّها تخلت عن الإيديولوجية واهتمت بالمصالح الإقتصادية و تبنت النهج البراغماتي في المنطقة وتعاملت وفق ذلك مع أحداث الربيع العربي في بدايتها إلّا أنّها بوصولها إلى سوريا وهي محور مصالحها الإستراتيجية (ميناء طرطوس) دعمت النظام السوري بكلّ قوّة على جميع الأصعدة ماديا لوجستيا، دبلوماسيا، عسكريا. مما أدى إلى بقاء النظام السوري خاصة الدعم الدبلوماسي

باستخدام الفيتو لإجهاض كل القرارات التي تفضي لإزالته ما أدى إلى تشابك الأزمة السورية وإطالة أمدها.

أمّا بالنسبة للصين فقد تنامت قوتها وحقت معدلات نمو مرتفعة، فوجهت هي الأخرى اهتمامها للمنطقة لتحقيق أهدافها الاقتصادية، وإزالة الأحادية القطبية ومع بداية الربيع العربي كانت من أكثر الدول تحفّضا تجاه هذه الأحداث نظرا لمبدئها الثابت في سياستها الخارجية وهو عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول لذا كانت مواقفها مجرد تصريحات، إلّا أنّ في المسألة السورية جاء موقفها داعما لروسيا في كل قراراتها واستخدامها الفيتو أكثر من مرّة، ما أدى في مساهمتها في إسقاط مشاريع كانت تهدف لإزالة النظام ما كان سببا في تعقد الأزمة السورية.

لقد أفرزت أحداث الربيع العربي عامة والأزمة السورية خاصة عن تغيير واضح في توجهات النظام الدولي خاصة مع التراجع الملحوظ في الدور الأمريكي، وصعود الدور الروسي، وتنامي الدور الصيني حيث سعت روسيا والصين للحد من التفرد الأمريكي بالزعامة الدولية ففي حين استندت روسيا لمصالح أمنية سياسية، كانت النظرة الصينية اقتصادية أكثر ما يوضح أن النظام الدولي لم يعد يقوده قطب أحادي ينفرد بالقرارات الدولية.

لقد شكلت الأزمة السورية نظرا لمكانتها الإستراتيجية نقطة تقاطع المصالح بين مختلف القوى الإقليمية والكبرى وتضارب هذه المصالح حول الأزمة السورية من أزمة داخلية إلى أزمة إقليمية دولية، فبالرغم من كثافة القرارات والمبادرات والتحريك الدبلوماسي لهذه الأطراف إلّا أنّها لم تصل بعد لحل هذه الأزمة، فمصالح هذه القوى السياسية الاقتصادية الإستراتيجية يصعب التنازل عنها ما أثر سلبا على مستقبل سوريا وأضاف أزمة جديدة معقدة لأزمات الشرق الأوسط، فالتدخل الإقليمي والدولي في الأزمة السورية أدّى إلى تشابك ملفاتها

واستعصاء حلها وإطالة أمدّها إلى يومنا هذا مما زاد من تفكك الوحدة السورية، ومعاناة الشعب السوري وتحويلها لساحة ومأوى لخلايا إرهابية متطرفة.

إن مستقبل حل الأزمة السورية مرهون بمصالح قوى إقليمية، ودولية، أو بما أنه من الصعب لأي طرف التنازل عن مصالحه، فإن الحل السياسي أو الدبلوماسي لهذه الأزمة مستبعد على الأقل في الوقت الراهن، بانتظار ظهور متغيرات أخرى قد تساهم في حل الأزمة السورية.

قائمة المراجع

قائمة المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية

1) الكتب:

1. أبو داوود، السيد. تصاعد المد الإيراني في العالم العربي. الرياض: العبيكان للنشر، 2014.
2. أبو زهبة هيكمل، فتوح. التدخل الدولي لمكافحة الإرهاب وانعكاساته على السيادة الوطنية. أبو ضبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2014.
3. أبو كريم، منصور. أبرز ملامح السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط، بعد فوز ترامب. الرياض: مركز رؤية الدراسات والأبحاث، 2017.
4. أبو هلال، فراس أبو هلال. إيران والثورات العربية، الموقف والتداعيات. الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2011.
5. أغلو، أحمد داوود. ت: تلجي، محمد جابر و عبد الخليل، طارق. العمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية. الدوحة: الدار العربية للعلوم والنشر، 2010.
6. إل روس، مايكل. ت: نشواتي، محمد هيثم. نقمة النفط كيف تشكل الثورة النفطية تنمية الأمم. مكتبة مؤمن قريش: منتدى العلاقات العربية والدولية، 2014.
7. الأنباري، حسن وآخرون. الخريطة السياسية للوطن العربي ما بعد الثورات العربية. عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط، 2012.
8. التامر، عبادة محمد. سياسة الولايات المتحدة وإدارة الأزمات الدولية (إيران - العراق - سورية - لبنان أ نموذجاً. بيروت: المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات، 2015.

9. الجبوري ،مصطفى حضر. جذور الاستبداد والربيع العرب. عمان: الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2014.
- 10.الجبوري، مصلح خضر. الدور السياسي للأقليات في الشرق الأوسط .عمان: الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2014.
- 11.الحاج، سعيد . مجددات السياسة الخارجية التركية إزاء سوريا. مركز إدراك للدراسات والاستشارات، 2016.
- 12.الحراري ،خالد. مفهوم القوة في السياسة الدولية . مصر، مطابع الأهرام، 2015.
- 13.الرياحي، نعيمة . الثورات العربية والاستراتيجيات السياسية الراهنة . تونس: دار نقوش عربية، 2015.
- 14.الزغبى ،علي الزغبى. السياسات التنموية وتحديات الحراك السياسي في العالم العربي: حالة الكويت . الكويت: مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، 2015.
- 15.الزغبى ،موسى . الجيوسياسية، الجيوسياسية والعلاقات الدولية وأبحاث في الجيوسياسية **Geopolitique** وفي الشؤون والعلاقات الدولية المتنوعة . دمشق: وزارة الثقافة، 2004.
- 16.السباعوي، فهد عباس. العلاقات السورية الأمريكية . الأردن: دار غيداء للنشر، 2013.
- 17.السلطان، عبد الله عبد المحسن. البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 2001.
- 18.السماك، محمد أزهري. الجغرافيا السياسية بمنظور القرن الواحد والعشرين بين المنهجية والتطبيق . الأردن: دار البازوري للنشر والتوزيع، 2011.

- 19.السيسي ،سعيد عبد الفتاح السيسي. ت: الظفيري ،كريم فيصل. الديمقراطية في الشرق الأوسط . كلية الحرب الأمريكية تكنة كارلابل العسكرية، ولاية بنسلفانيا 17013، 2013.
- 20.الشاهر، شاهر اسماعيل . أولويات السياسة الخارجية الأمريكية بعد 11 سبتمبر 2001. دمشق: منشورات العبيدات العامة للكتاب، 2009.
- 21.الضميري ،عماد. تركيا والشرق الأوسط . مركز القدس للدراسات السياسية، 2002.
- 22.الفرجاني، إيناس وآخرون. الهجرة الدولية والتنمية. القاهرة: جامعة الدول العربية، 2014.
- 23.المعيني ،خالد. كي لا تسرق الثورات، دراسات موضوعية في ربيع الثورات العربية. بيروت: ضفاف للنشر، 2014.
- 24.المنياوي، رمزي. الفوضى الخلاقة...الربيع العربي بين الثورة والفوضى. دمشق: دار الكتاب العربي، 2012.
- 25.النعيمي، أحمد نوري. السياسة الخارجية .الأردن: دار زهران للنشر والتوزيع، 2010.
- 26.النعيمي، صالح. العقل الاستراتيجي الإسرائيلي قراءة في الثورات العربية واستشراف لمآلاتها . قطر: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013.
- 27.اليوسف، يوسف الخليفة. الاقتصاد السياسي للنفط: رؤية عربية لتطورات. بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية، 2015.
- 28.أناثولي ،أوتكين. ت:أنور محمد ابراهيم ومحمد نصر الدين الجبالي. إستراتيجية أمريكية للقرن الحادي والعشرون. القاهرة: مطابع المجلس الأعلى للأثار، 2003.

29. باكير ،علي حسن. الأبعاد الجيواستراتيجية للسياستين الإيرانية والتركية حيال سورية . الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013.
30. باكير ،علي حسن. الثورة السورية في المعادلة الإيرانية-التركية المأزق الحالي والسيناريوهات المتوقعة . الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012.
31. باكير ،علي حسين وآخرون. تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج . بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010.
32. برينتن، كرين. ت. الحلبي ،سمير. تشريح الثورة . المملكة العربية: دار الفارابي، 2009.
33. بشارة ،مروان. العربي الخفي وعودة الثورات العربية ومخاطرها . بيروت: مطابع الدار العربية للعلوم، 2013.
34. بن نوى، حسان. تأثير الأقليات على استقرار النظم السياسية في الشرق الأوسط. الإسكندرية: مكتبة الوفاء القانونية، 2015.
35. بولمي ،سليمن. ت: خشيب، جلال. جذور الاستبداد في الشرق الأوسط . مركز إدراك الدراسات والاستشارات، 2017.
36. بيومي، علاء. باراك أوباما والعالم العربي. الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2008.
37. تشومسكي، نعوم. السلطان الخطير السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط. بيروت: دار الساقي، 2007.
38. خليفة، نبيل. الاستراتيجيات السورية والإسرائيلية و الأوروبية حيال لبنان . لبنان: مركز بيلوس للدراسات والأبحاث، ط.2، 2008.

39. خليل ،حسن.الجغرافيا السياسية، دراسة الأقاليم البرية والبحرية والدول وأثر النظام العالمي في متغيراتها . بيروت: سنتر حمادي، 2006.
40. خليل ،حسين. العلاقات الدولية النظرية والواقع، الأشخاص والقضايا. بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية، 2011.
41. خليل ،موسى أحمد. موسوعة المحيطات والبحار والأنهار . عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2002.
42. دلي خورشيد ،حسين.تركيا وقضايا السياسة الخارجية .اتحاد الكتاب العرب، 1999.
- 43.دوغين ،ألكسندر.أسس الجيوبولتيكا مستقبل روسيا الجيوبولتيكي .دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004.
- 44.راشد ،باسم. المصالح المتقاربة: دور عالمي جديد لروسيا في الربيع العربي .مصر: مكتبة الاسكندرية وحدة الدراسات المستقبلية، 2013.
- 45.ربارغر،هاري . ت: راجح، محرز علي . الإستراتيجية ومحترفوا الأمن القومي التفكير الإستراتيجي وصياغة الإستراتيجية في القرن الحادي والعشرين . الإمارات: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2011.
- 46.زهرة، عطا محمد. البرنامج النووي الإيراني. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2015.
- 47.زيدان ،ناصر. دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين . بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013.
- 48.سعودي ،محمد عبد الغنى. الجغرافية السياسية المعاصرة دراسة الجغرافية والعلاقات السياسية الدولية . القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2010 .

- 49.سلطان، جاسم. الجغرافيا والحلم العربي القادم جيوبولتيك عندما تتحدث الجغرافيا . بيروت: دار تمكين للأبحاث والنشر، 2013.
- 50.صافي ،عدنان. الجيوبولتيكا الجغرافيا السياسية من النشأة إلى الحداثة. عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، 2010.
- 51.صالح، هشام. الانتفاضات العربية على ضوء فلسفة التاريخ. بيروت: دار السابق، 2013.
- 52.صهيب ،يحي وآخرون. الإستراتيجية الإيرانية في الخليج العربي . لبنان: مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، 2015.
- 53.طالب، نسيم. ت: نسيب نصر، حليم . البجعة السوداء تداعيات الأحداث غير المتوقعة. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009.
- 54.عبد الحي ،وليد. محددات السياستين الروسية والصينية تجاه الأزمة السورية. الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2012.
- 55.عبد المنعم ،ممدوح . روسيا تنادي بحق العودة على القمة . القاهرة: الأهرام للترجمة والنشر، 2013.
- 56.عدنان، حسن. الحروب على الموارد الجغرافية الجديدة للنزاعات العالمية. لبنان: دار الكتاب العربي، 2002.
- 57.عمر كامل ،حسن. النظام الشرق الأوسطي وتأثيره على الأمن القومي العربي، دراسة في الجغرافيا السياسية والجيوبولتيك .سوريا: دار رسلان للطباعة والنشر، 2008.
- 58.عمرو، عبد العاطي. الأمة المستغني عنها: السياسة الخارجية الأمريكية في تراجع. مركز الجزيرة للدراسات: 2013.

59. عمرو، عبد العاطي. أمن الطاقة في السياسة الخارجية الأمريكية. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014.
60. عودة، جهاد. النظام الدولي نظريات وإشكاليات . مصر: دار الهدى للنشر والتوزيع، 2005.
61. غازي، حسين. الشرق الأوسط الكبير بين الصهيونية العالمية والإمبريالية الأمريكية . دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2005.
62. قارودي، روجيه. ت: حيدر، حسين. إسرائيل بين اليهودية والصهيونية. بيروت: دار التضامن للطباعة والنشر، 1990.
63. قاسم، عبد الستار. الإستراتيجية الأمريكية الجديدة وانعكاساتها على العرب. البيرة: مركز البraq للبحوث والثقافة، 2004.
64. قاسم، دحمان. السياسة الخارجية الروسية في آسيا الوسطى والقوقاز . لندن: إي-كتب، 2016.
65. قدورة، عماد. تركيا ومسألة التدخل العسكري بين القيود والضغط . المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014.
66. كوس، عريفوري. هبوط أسعار النفط الأسباب والتبعات الجيوسياسية . الدوحة: مركز بروكنجر، 2015.
67. لكريني، إدريس وآخرون. أطوار التاريخ الانتقالي مآل الثورات العربية . بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015.
68. محمد الزين، حسن. الربيع العربي آخر عمليات الشرق الأوسط الكبير. بيروت: دار القلم الجديد، 2013.

69. محمد شلبي. المنهجية في التحليل السياسي للمفاهيم، المناهج، الاقتربات، والأدوات . الجزائر: دار هومة للنشر، 1997.
70. معتمد عبد الحميد، عاطف. روسيا والعرب....أوان البرغماتية ونهاية الإيديولوجيا . الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.
71. ممدوح، مصطفى محمود. الصراع الأمريكي السوفييتي في الشرق الأوسط لإسكندرية، مكتبة مدبولي، 1990.
72. ممدوح محمود، منصور. الصراع الأمريكي السوفييتي في الشرق الأوسط . القاهرة: مكتبة مدبولي.
73. ممدوح، عبد المنعم. تركيا والبحث عن الذات . القاهرة: مركز الأهرام للنشر والترجمة والتوزيع، 2012.
74. منصور، أحمد. الإستراتيجية الأمريكية العالمية بعد سقوط الاتحاد السوفييتي المشروع الإمبراطوري. مركز الكاشف للدراسات الإستراتيجية. 2004.
75. نوفل، أحمد سعيد وآخرون. أزمة السياسة الخارجية التركية. الأردن: مركز دراسات الشرق الأوسط.
76. ياسر حمو، عمار. روسيا والثورة السورية من دعم القاتل إلى شريك في القتل. الأردن: دار عمان للنشر والتوزيع، 2016.

(2) التقارير والمقالات:

77. عبد الخالق، عبد الله، الربيع العربي مصطلحاته ومساراته وانعكاساته، التقرير العربي السابع للتنمية العرب بين مآسي الحاضر وأحلام التغيير أربع سنوات من الربيع العربي، بيروت مؤسسة الفكر العربي، 2014.

78. غيطاس، جمال، تطورات المعلوماتية الفورية ودورها في الربيع العربي، التقرير العربي السابع للتنمية العرب بين مآسي الحاضر وأحلام التغيير أربع سنوات من الربيع العربي، بيروت، مؤسسة الفكر العربي، 2014.

79. قرق، جرج، سيناريوهات المستقبل العربي، التقرير العربي السابع للتنمية بالعرب بين مآسي الحاضر وأحلام التغيير أربع سنوات من الربيع العربي، بيروت، مؤسسة الفكر العربي، 2014.

80. كوز تحاف، نيكولاي، صادرات الأسلحة الروسية إلى الشرق الأوسط، جامعة بطر سبرج الدولية، 2015.

(3) الملتقيات والندوات:

81. رسول آغا، واثق، الموارد المائية المتاحة في الوطن العربي، الندوة البرلمانية العربية الخامسة، 1997.

82. فاعور ملكاوي، عصام، تركيا والخيارات الاستراتيجية المتاحة، بحث مقدم في "الملتقى العلمي"، الرؤى المستقبلية العربية والشركات الدولية، الخرطوم، كلية العلوم الإستراتيجية والأمنية والدراسات المستقبلية، 2013.

83. مؤتمر قضايا الإصلاح العربي: الرؤية والتنفيذ، المحور الأول: الإصلاح الاقتصادي الإسكندرية، منتدى البحوث الاقتصادية للدول العربية وإيران وتركيا 2015.

(4) المنشورات الصادرة عن المنظمات الدولية:

84. منظمة الشفافية الدولية، مركز الروابط للبحوث والدراسات الإستراتيجية، الفساد في العالم العربي: 21 دولة سقطت في اختبار مؤشر الشفافية الدولية، 2014.

5)المجلات:

- 85.إبتسام محمد العامري، الموقف الإقليمي من الحراك السياسي في الدول العربية تركيا وإيران أنموذجا، سلسلة الملف السياسي، العدد 103.
- 86.إسلام عيادي، "الموقف الصيني و الإسرائيلي من قضايا التحول السياسي في منطقة الشرق الأوسط"، مجلة العلوم السياسية والقانون، ع.3، (2017).
- 87.إياد عبد الكريم مجيد، "الموقف الإقليمي من التغيير في المنطقة العربية تركيا أنموذجا"، مجلة العلوم السياسية، ع.46، ص ص.1-18.
- 88.إيفان ميديروس جين ليانج تسينج دان بلومينثال (ت: حسن أبو طالب)، السياسة الصينية في الشرق الأوسط، (المركز الدولي الدراسات المستقبلية والإستراتيجية)، ع.10، أكتوبر 2005، ص.45.
- 89.توفيق حكيم، "موقع الصين المستقبلي في النظام الدولي"، مجلة المفكر، ع.12، ص.392.
- 90.جرجس الملحم، "تأثير التوافق الصيني-الروسي على السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط"، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، ع.87، جانفي 2014.
- 91.حسين دلي خورشيد، "انهيار سياسة تركيا في الشرق الأوسط"، مجلة الوحدة الإسلامية، ع.130 (أكتوبر 2012).
- 92.دينا شحاتة، مريم وحيد، "محركات التغيير في العالم العربي"، مجلة السياسة الدولية، ع.184 (القاهرة: مؤسسة الأهرام، 2011)، ص.12.

93. سمر بهلوان، "العلاقات السورية-الإيرانية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية 1945 حتى قيام الثورة الإيرانية 1979"، *مجلة جامعة دمشق*، م.22، ع.3+4 (2006)، ص.333.331.
94. عدنان حميدان، خلف الجراد، الأمن المائي العربي ومسألة المياه في الوطن العربي، *مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية*، م.22، ع.2، ص.29.
95. عمراني كربوسة، "المجتمع المدني في ظل الحراك العربي الراهن... أي دور"، *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، ع.16. (سبتمبر 2014)، ص.153.
96. مایسة محمد مدني، "التدخل الروسي في الأزمة السورية"، *مجلة كلية الاقتصاد العلمية*، ع.4، (جانفي 2014)، ص.204، 203.
97. مروان قبلان: "الثورة والصراع على سوريا: تداعيات الفشل في إدارة لعبة التوازنات الإقليمية"، *سياسات عربية*، ع.18، (جانفي 2016)، ص.68.
98. نعييرات محمد حسين رائد وقضى أحمد حامد، "الثابت والمتغير في السياسة الخارجية الأمريكية في عهد الرئيس جورج بوش وانعكاساتها المتوقعة على سياسة أوباما"، *مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات*، ع.26. (جانفي 2012)، ص.1-28.
99. وفاء علي داوود، "التأصيل النظري لمفهوم الثورة والمفاهيم المرتبطة بها"، *مجلة الديمقراطية*، ع.49. (31 جانفي 2013)، ص.1، 2.

6)المواقع الإلكترونية:

100. "2011/Secretsearth's Blog" عام الخديعة، عام كامل على الربيع العربي المهندس خارجيا وخطوة واحدة باتجاه الهيمنة العالمية"، في:

<http://secret.searth.wordpress.com/2011/12/26P.3/28>

101. إبراهيم أحمد، أحمد أحمد. "الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط دراسة حالة غزو العراق -ثورات الربيع العربي"، في:

[Democratic Arabic Center. De/p :35636](http://DemocraticArabicCenter.net/De/p:35636)

102. اتفاق جنيف 1"، في:

www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2014/01/26

103. إدارة ترامب وضعت خطة من 4 مراحل حول سوريا"، في:

[Hhttps://www.alsaouria.net/2017/04/18](https://www.alsaouria.net/2017/04/18)

104. إسرائيل تشتغل الأزمة السورية لانتزاع شرعية دولية لضم الجولان"، في:

www.dohainstitute.org/ar/politicalstudies/pages/Israel-exploiting-the-syria-crisis-to-annex-the-golan.aspx

105. الإستراتيجية الإيرانية"، في:

<https://www.sasapost.com/opinion/iranian-strategy>

106. البطني، عياد. "التحالف السوري الإيراني: تاريخه، حاضره، مستقبله"، في:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=119321>

107. البنك الدولي. "الموارد المائية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا"، في:

[http :web.worldbank.org/WBITE/EXTERNAL/COUNTRIES/MENAEX/EXTMINAREGTOPWATRES/O,contentMDK :21755910-menu PK :497170-1.2/3.](http://web.worldbank.org/WBITE/EXTERNAL/COUNTRIES/MENAEX/EXTMINAREGTOPWATRES/O,contentMDK:21755910-menu PK:497170-1.2/3)

108. الحاج، سعيد. "تركيا والأزمة السورية....ملاحم مرحلة جديدة"، في:

www.aljazeera.net/2016/12/26

109. الحرب في اليمن...خنجر إيران في (خاصرة) السعودية"، في:
www.noonpost.org/content/14672
110. الحروب العربية الإسرائيلية السياسي"، في:
<http://www.alwasatnews.com/news/294025.html>
111. الحسيني، ناصر. "الصين نعومة المخالب"، في:
www.chinainarabic.org/p=18084
112. الخوري، راجع. "سوريا المقيدة وتدعش المعارضة"، في:
Syria.alsafahat.net تداعيات التدخل الروسي في سوريا
113. الدور الصيني في الملف السوري الأسباب والدوافع"، في:
Nawabet.Center.com/archives/25046
114. الدور الصيني في الملف السوري: الأسباب والدوافع"، في:
<https://www.alsouria.net/Content/> الدور الصيني في الملف السوري
115. الرمضاني، مازن. "كيف تختار القوى الكبرى تحركاتها في عالم متغير"، في:
www.alarabonline.org/?id=68541
116. الزويري، محجوب. "العلاقات الإيرانية-السورية والحراك السوري الشعبي"، في:
<https://Studies.aljazeera.net/ar/reports/2011/08/2011824131918157377.html>
117. السهلي، نبيل. "ثورة تونس بعنوان إسرائيلية"، في:
www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2011/1/22
118. السياسة الخارجية الإيرانية"، في:
www.aljazeera.net/specialfibes/pages/de4add73-ad4c-b455-5ec92aOF43a9

119. السيد أحمد عبد السلام محمد، ياسمين. "أثر المتغيرات الإقليمية على السياسة الخارجية الإسرائيلية 2011-2016"، في:

[Democratic arabic center/ ?p=34868](http://Democraticarabiccenter/?p=34868)

120. الشيخ، نورهان. "الموقف الروسي من الثورات العربية... رؤية تحليلية"، في:

www.albayan.co.uk/Fileslib/articleimages/Takrir/4-9pdf.p.283-285

121. الصفتي، عادل. "الربيع العربي ماذا يعني"، في:

<http://www.alarabiya.net/views/2011/08/05/160884.html>

122. العبادي، هيثم. "الربيع العربي إلى أين؟"، في:

<http://MCSR.net/news56>

123. القدرة، أحمد سمير. "القوى الإقليمية وصراع السيطرة والهيمنة"، في:

<https://www.amed.ps/ar/details/163628>

124. القدرة، أحمد سمير. "القوى الإقليمية وصراع السيطرة والهيمنة"، في:

<http://www.amad.ps/ar/details/16362>

125. المجالي، عبد الحميد. "هل لإسرائيل رؤية محددة للأزمة السورية؟"، في:

www.ashargalarabi.org.uk/ad-هل-لإسرائيل-رؤية-محددة-الأزمة-السورية

id!412812.ks#WCNAQTWOPIU

126. المحروفي، زاهر. "الحرب على اليمن... وجهة نظر إسرائيلية"، في:

www.yamanyoon.com/?p=7984

127. المشاورة الإقليمية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا، القمة العالمية للعمل الإنساني"، في:

<http://event.arabhum.net>

128. المصالح والأهداف القومية وقوى الدولة الشاملة لإيران"، في:

www.moqatel.com/openshare/Behoth/siasia2/DoorIrani/sec07.dor-cvt.htm

129. الموقف الإسرائيلي من الأحداث في سوريا"، في:

www.dohainstitute.org/ar/politicalstudies/pages/the-Israeli-position-towards-events-in-syria.aspx

130. الهيجاء، وسام. "أنابيب الغاز الطبيعي... أدوات الصراع الخطر في الشرق الأوسط"، في:

Alkhaleej online. Net

131. إلياس، سامر. "العلاقات العربية الروسية وامتحان ربيع الثورات الصعب"، في:

www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2017/05/21

132. إيران والثورتان التونسية والمصرية"، في:

www.dohaisastitude.org/ar/politicalstudies//pages/han-and-the-tunisien-and-egyptian-revolutions.aspx

133. إيران والثورتان التونسية والمصرية"، في:

www.dohaisastitude.org/ar/politicalstudies//pages

134. إيران...موقف حذر من الثورات"، في:

www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2011/03/16

135. بوبوس، محمد. "الدور التركي الإقليمي المتصاعد إلى أين؟"، في:

www.marocdroit.com

136. ثامن فيتو روسي في مجلس الأمن لحماية، كيماوي الأسد"، في:

www.orient-news.net/ar/news-show134965/0/

137. جمال، محمد. "وثيقة إسرائيلية صدرت 1982...معالم إستراتيجية تقنين الدول العربية"، في:

www.ewan.24.net/archives/6476

138. حرب الخليج الثانية...الزلازل الذي عصف بمنطقة الخليج"، في:

www.aljazeera.net/encyclopedia/military/2016/11/7

139. حمدي حجازي عبد الحي، جهاد. "العلاقات العربية-الصينية في الفترة من 2001-2015 دراسة حالة مصر"، في:

Democratic Arabic Center. De

140. حمو، مصطفى. "تاريخ المفاوضات السورية الإسرائيلية"، في:

News.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid-7416000/7416050.stm

141. خزيضا، مرداخي. "كيف أثر الربيع العربي على السياسة الصينية؟"، في:

Raqeb.com/2014/10/30/

142. خليل، محمد عبد القادر. "الربيع العربي... تركيا في الشرق الأوسط جديد"، في:

http://www.moheet.com/2013/03/02/1734537.

143. خليل، محمد عبد القادر. "تركيا وثورات الربيع العربي"، في:

http://ecpss.ahram.org.eg/News/16317.espx

144. دور إيران المحوري في الأزمة السورية"، في:

www.dw.com/ar/دور إيران المحوري في الأزمة السورية/a-17340597

145. ريم، وسيم. "أهمية بحر الأحمر"، في:

Mawdoo3.com/أهمية البحر الأحمر

146. زلوم، عبد الحي. "قراءة في كتاب: الربيع العربي ثورة أم فوضى غير خلاقة"، في:

http://www.islamdaily.org/ar/sclolars/11584.artide.htm

147. سلمى، جلال. "السياسة التركية حيال الأزمة السورية 2011-2017"، في:

www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2014/01/26

148. سلمى، جلال. "رؤية تركيا العسكرية لحل الأزمة السورية"، في:

www.turkpress.com.tr/mode/18560

149. سوريا: ضربة صاروخية أمريكية تستهدف قاعدة عسكرية قرب حمص"، في:

www.France24.com/ar/2017/04/07.

- 150.سويلم، حسام. "الأهداف القومية الإسرائيلية وإستراتيجيات تنفيذها"، في:
www.aljazeera.net/knowkdgegate/opinions/2004/10/3/
- 151.سيد أحمد ابراهيم، نهال أحمد. "تحولات السياسة الخارجية الأمريكية في دول الربيع العربي دراسة حالة (اليمن-سوريا)"، في:
Democratic.Arabic.Cener.de/p=34751
- 152.سيد حسين، أحمد. "السياسات الروسية تجاه الشرق الأوسط"، في:
Democracy.ahram.arg.eg/news/795.
- 153.شحرور، عزت. "الصين والشرق الأوسط ملامح مقارنة جديدة"، في:
Studies.aljazeera.net/ar/reports/2012/06/2012611142554206350.html
- 154.شوامرة، نشأت. "تركيا وانتهاء عملية درع الفرات: الدوافع والأهداف"، في:
www.turkperss.com/05/04/2017
- 155.صافي محمود، محمود. "توجهات سياسة حذرة، آفاق التعاون الصيني الشرق الأوسطي والتحديات الراهنة"، في:
www.achseq.org/38006
- 156.طاهر، رانية. "الدور الإقليمي التركي في ظل توارث الربيع العربي"، في:
<http://www.Umayya.Org/uneategorized/4591>
- 157.عازم، ابتسام. "في سجل تشوركين...6 مرات فيتو لحماية الأسد"، في:
<https://www.alaraby.co.uk/politics/2017/02/23>.
- 158.عبد الحليم، سميحة. "الأزمة السورية....والجهود الدولية"، في:
www.egynews.net/807123
- 159.عبد الحي، وليد. "متغيرات الإستراتيجية الصينية في الشرق الأوسط"، في:
Aljazeera.net/ar/reports/2011/12/20.html
- 160.عبد الغني عبد الفتاح محمد، سميرة. "الصعود الصيني وتداعياته على العلاقات الصينية العربية من عام 2003"، في:
Democratic.Arabic.Center.de

161. عبد الله الطحلاوي، أحمد. "استعادة الدور: المحددات الداخلية والدولية السياسية الروسية"،
www.acrseg.org/16360 في:

162. عبد الله محمد علي يسن عبد الله، لبنى. "السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الأزمة السورية منذ 2011-2014"، في:

[Democratic Arabic Center de/p=10669](http://DemocraticArabicCenter.de/p=10669)

163. عدنان، علي. "قتل اجتماعات أستانة 5 حول سوريا: الخلافات حول مناطق تخفيف التصعيد باقية"، في:

<https://www.alaraby.co.uk/palitics/2017/07/05>

164. غازي عبد الله، زهراء، "انعكاسات الأزمة السورية على العلاقات الإيرانية السعودية"، في:

[Democratic ac.de/ ?p=36989](http://Democratic.ac.de/?p=36989)

165. غيثاث، بلال. "دور إيران ووكلائها الإقليميين في أزمة سوريا"، في:
www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2015/03/10

166. فتحي، محمد. "لهذه الأسباب...إيران أيضا تخشى من التدخل العسكري الروسي في سوريا"، في:

www.huffpastarabic.com/2015/10/22story-n-8363032.html

167. فريحات، إبراهيم. "ماذا حقق التدخل الروسي في سوريا؟"، في:
www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2016/03/28

168. فيتو روسي صيني يجهض فرض عقوبات أهميته على نظام الأسد"، في:
www.alarabiya.net/ar/arab-and-world/syria/2017/02/27

169. كوش، عمر. "الموقف التركي من الثورات العربية"، في:
<http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2011/06/10>

170. كوش، عمر. "تاريخ الشرق الأوسط"، في:

www.aljazeera.net/knowledgegat/books/2010/04/08

171. لكريني، إدريس. "إدارة الأزمات الدولية في عالم متحول"، في:

<http://www.diwanalarab.comspip.phparticle6188>

172. لماذا أيدت إسرائيل عمليات الجنرال خليفة حفتر في ليبيا؟، في:

www.yamanyoon.com/?p=7984

173. ما هي نتائج التدخل العسكري الروسي في سوريا"، في:

Rozna.fm/ar/2016/03/17 ما هي نتائج التدخل العسكري الروسي في سوريا؟

174. مجدان، محمد. "سياسة روسيا الخارجية اليوم: البحث عن دور عالمي مؤثر"، في:

www.caus.org.Lb/PDF/Enagazine.Articles

175. محمد إبراهيم بسيوني، شدوى. "السياسة الخارجية الروسية تجاه الأزمة السورية في الفترة 2011-2016"، في:

DemocraticArabicCentre.De/p=33933.

176. محمد الزغبى، خيام. "العلاقات السورية الأمريكية: بين التآزم والانفراج"، في:

www.ahewar.org

177. محمد صالح، محسن. "السياسة الأمريكية في سوريا.... جدران الدم"، في:

www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2016/08/10

178. مخلوف، مريم. "نظرية الدور في العلاقات الدولية"، في:

Political-encyclopedia.org/2017/06/03

179. مؤتمر جنيف 2 حول سوريا، حقائق ومعلومات"، في:

www.bbc.com/arabic/middleeast/2014/01/140122.geneva2-syria-analysis

180. موليد محمد نصار، مرنا. "المذهبية في السياسة الخارجية الإيرانية تجاه الشرق الأوسط 2003-2015"، في:

[Democratic.ac.de / ?p=36797](http://Democratic.ac.de/?p=36797)

181. نصر، محمد علي. "الإستراتيجية الإيرانية في الشرق الأوسط"، في:

Mcsn.net/news101

182. نقاط الاختلاف والالتقاء بين الولايات المتحدة وروسيا حول سوريا"، في:

<https://arabic.rt.com/news/797882>

183. هاديل، البكري. "لماذا سمي البحر الأسود بهذا الاسم"، في:

[Mawdoo33.com/لماذا سمي البحر الأسود بهذا الاسم](http://Mawdoo33.com/لماذا_سمي_البحر_الأسود_بهذا_الاسم)

184. وثائق إسرائيلية قديمة تتحدث عن حروب المنطقة المعاصرة"، في:

www.aljazeera.net/news/presstour/2016/2/19-غلوبان-ريسيرش-حروب-المنطقة
[مخطط-صهيوني](#)

185. وثيقة سياسة الصين تجاه الدول العربية يناير 2016"، في:

www.fmprc.gov.cn/fra/wjdt/gb/gb/w020160115345916404312.pdf

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

186. Anthony cordeman. The obama administration and US strategy : the first 100 day (center for strategic international studies,2009) ,p.6.

الفهرس

الفهرس

شكر وعرفان

إهداء

1	مقدمة
3	دوافع اختيار الموضوع:
3	أهداف الدراسة:
4	إشكالية الدراسة:
5	الأسئلة الفرعية:
5	الفرضيات:
5	حدود الدراسة:
5	الإطار المنهجي:
7	الإطار النظري:
10	الإطار المفاهيمي:
16	أدبيات الدراسة:
19	تبرير الخطة:

الفصل الأول:

دراسة إستراتيجية في خصوصيات منطقة الشرق الأوسط

المبحث الأول: الأهمية الجيوبوليتيكية و الجيوستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط.....	23
المطلب الأول: الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة الشرق الأوسط.....	23
1-القوى القارية في الجيوبوليتيك:	23
2-القوى البحرية في الجيوبوليتيك:	30
3-القوى الجوية في الجيوبوليتيك:	36
المطلب الثاني: الأهمية الجيوستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط.....	39
المبحث الثاني: تأثير العوامل المعنوية والمادية على منطقة الشرق الأوسط.....	50
المطلب الأول: تأثير العوامل المعنوية على منطقة الشرق الأوسط.....	50
1-الأقليات الثقافية:	50
2-الإرهاب:	55
3-غياب الديمقراطية:	57
المطلب الثاني: تأثير العوامل المادية على منطقة الشرق الأوسط.....	67
1-النفط:	67
2-الجيش والأسلحة:	74
المبحث الثالث: الربيع العربي.....	80
المطلب الأول: مفهوم الربيع العربي.....	80
1-الربيع العربي:	80

المطلب الثاني: الأسباب الداخلية والخارجية للربيع العربي.....	93
1-الأسباب الداخلية للربيع العربي:	93
خلاصة الفصل:	107

الفصل الثاني:

إستراتيجية القوى الإقليمية في الشرق الأوسط

المبحث الأول: الإستراتيجية التركية في منطقة الشرق الأوسط.....	112
المطلب الأول: السياسة الخارجية التركية في الشرق الأوسط.....	112
1-السياسة الخارجية التركية:	112
2-محددات الدور الإقليمي التركي في منطقة الشرق الأوسط:.....	117
3-الموقف التركي من الحراك في الشرق الأوسط:	120
4-الدوافع السياسية والاقتصادية والأمنية للمواقف التركية حيال الربيع العربي:	124
المطلب الثاني: تأثير السياسة الخارجية التركية على مسار الأزمة السورية.....	129
1-العلاقات التركية السورية:	129
2-الموقف التركي من الأزمة السورية:	133
3-تداعيات الأزمة السورية على الدور الإقليمي التركي:	137
4-تداعيات الدور التركي على مسار الأزمة السورية:.....	144
المبحث الثاني:الإستراتيجية الإيرانية في منطقة الشرق الأوسط.....	149
المطلب الأول:السياسة الخارجية الإيرانية في الشرق الأوسط.....	149
1-أبعاد الإستراتيجية الإيرانية في الشرق الأوسط:	150
2-الموقف الإيراني تجاه الحراك في منطقة الشرق الأوسط:	154

المطلب الثاني: تأثير السياسة الإيرانية على مسار الأزمة السورية.....	157
1-العلاقات الإيرانية-السورية:.....	157
2-الموقف الإيراني من الأزمة السورية:.....	160
3-محددات الموقف الإيراني من الأزمة السورية:.....	167
المبحث الثالث: الإستراتيجية الإسرائيلية في الشرق الأوسط.....	170
المطلب الأول : السياسة الخارجية الإسرائيلية.....	170
1-غايات وأهداف دولة إسرائيل القومية:.....	172
2-الموقف الإسرائيلي تجاه الحراك في منطقة الشرق الأوسط:.....	178
المطلب الثاني: تأثير السياسة الإسرائيلية على مسار الأزمة السورية.....	182
1-العلاقات الإسرائيلية السورية:.....	182
2-الموقف الإسرائيلي من الأزمة السورية:.....	184
3-تداعيات الازمة السورية على إسرائيل:.....	187
خلاصة الفصل:.....	189

الفصل الثالث:

إستراتيجيات القوى الكبرى تجاه منطقة الشرق الأوسط

المبحث الأول: الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط.....	193
المطلب الأول: السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط.....	193
1-ثوابت السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط:.....	193
2-مبادئ السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط خلال إدارة أوباما:.....	202
3-الموقف الأمريكي من الحراك في الشرق الأوسط:.....	208

المطلب الثاني: تأثير السياسة الخارجية الأمريكية على مسار الأزمة السورية. 214.....

1-العلاقات الأمريكية-السورية: 214.....

2-الموقف الأمريكي من الأزمة السورية: 218.....

3-تداعيات الدور الأمريكي على مسار الأزمة السورية: 224.....

المبحث الثاني: الإستراتيجية الروسية تجاه الشرق الأوسط. 232

المطلب الأول: السياسة الخارجية الروسية في الشرق الأوسط. 232.....

1-مبادئ السياسة الخارجية الروسية تجاه الشرق الأوسط خلال إدارة "بوتين": 232.....

2-الموقف الروسي من أهم القضايا المحورية في المنطقة: 239.....

3-الموقف الروسي من الحراك في الشرق الأوسط: 248.....

4-محددات المواقف الروسية المتباينة تجاه الحراك: 252.....

المطلب الثاني: تأثير السياسة الروسية على مسار الأزمة السورية. 255.....

1-العلاقات الروسية السورية: 255.....

2-الموقف الروسي من الأزمة السورية: 258.....

3-تداعيات الدور الروسي على مسار الأزمة السورية: 265.....

المبحث الثالث: الإستراتيجية الصينية تجاه منطقة الشرق الأوسط. 271

المطلب الأول: السياسة الخارجية الصينية في الشرق الأوسط. 271.....

2-الموقف الصيني من أهم القضايا المحورية في الشرق الأوسط: 281.....

3-الموقف الصيني تجاه الحراك في الشرق الأوسط: 287.....

المطلب الثاني: تأثير السياسة الخارجية الصينية على مسار الأزمة السورية.....	291
1-العلاقات الصينية السورية:.....	291
2-الموقف الصيني من الأزمة السورية:.....	293
3-تداعيات الدور الصيني على مسار الأزمة السورية:.....	297
خلاصة الفصل:.....	299
خاتمة.....	300
قائمة المراجع.....	307
الفهرس.....	328

ملخص الدراسة:

تناولت الدراسة دور استراتيجيات القوى الإقليمية والكبرى تجاه الحراك في منطقة الشرق الأوسط خلال الفترة 2011-2016 حيث إنطلقت الدراسة من تساؤل مهم يتمثل في كيفية تأثير إستراتيجيات القوى الإقليمية والكبرى على الحراك في منطقة الشرق الأوسط كما تحاول الإجابة عن فرضيات الدراسة المنبثقة من الإشكالية والمتضمنة أنه كلما زادت القوى الإقليمية والكبرى صياغة إستراتيجياتها تجاه منطقة الشرق الأوسط كلما إزدادت المنطقة اضطراباً وتوتراً بالإضافة إلى افتراض أنه كلما زادت تعارض المصالح الإستراتيجية للقوى الإقليمية والكبرى في سوريا كلما زادت حدّة الصراع فيها وطال أمدّها بالإضافة إلى افتراض أنّ حلّ أو إطالة هذه الأزمة مرهون بمصالح الأطراف الفاعلة فيها.

وقد جاءت الدّراسة في ثلاثة فصول رئيسية حيث تناول الفصل الأول دراسة إستراتيجية في خصوصيات منطقة الشرق الأوسط والربيع العربي المصطلح والأسباب وتطرق الفصل الثاني إلى استراتيجيات القوى الإقليمية في المنطقة، أمّا الفصل الثالث فتناول استراتيجيات القوى الكبرى تجاه منطقة الشرق الأوسط.

وتكتسب الدراسة أهمية كونها جمعت بين مختلف القوى الفاعلة في الحراك خاصة الأزمة السورية وتميزت بالحدّثة كونها من الدراسات القليلة التي تناولت هذه الفترة المعاصرة من أحداث الأزمة السورية والتي تصل إلى نهاية 2016، خاصة في ظلّ التطورات المستمرة التي طرأت على هذه الأزمة.

وذلك من خلال مقارنة منهجية تتشكل من: المنهج التاريخي، المقارن، التحليلي، دراسة الحالة، وكذلك النظريات: الواقعية، الدور، اتخاذ القرار، البجعة السوداء، المباراة، الدومينو، والمؤامرة.

وقد خلصت الدّراسة إلى نتيجة مفادها أنّ هناك دولا إقليمية ودولية لعبت دورا في تعقيد الأزمة السورية، وإطالة أمدها، كما كشفت الأزمة السورية نظرا لموقعها الجيوستراتيجي الهام التفاعلات الموجودة في النظامين الدولي والإقليمي من خلال تقاطع المصالح واختلافها.

كما أنتج الربيع العربي حدوث تغيير في أدوار اللاعبين الإقليميين والدوليين فلم تعد الولايات المتحدة الأمريكية القوة الوحيدة على الصعيد الدولي، وبروز قوى جديدة على الساحة الدولية منها روسيا التي تنادي بحق العودة، الصين التي تنادي بالتعددية القطبية.

Study Summary:

The study tackled the role of regional and major regional power strategies in the Middle East during the period 2011-2016. The study began with an important question: how regional and major powers' strategies affect the movement in the Middle East. Regional and major powers have increasingly formulated their strategies towards the Middle East region as the region is increasingly turbulent and tense as well as the assumption that the greater the strategic interests of the regional and major powers in Syria, The standing in addition to the assumption that the solution or prolonging this crisis depends on the interests of the actors in it.

The first chapter deals with the strategy of the Middle East and the Arab Spring. The second chapter deals with the strategies of regional powers in the region. The third chapter deals with the strategies of the major powers towards the Middle East.

The study is important because it brought together the various actors in the movement, especially the Syrian crisis, and was characterized by modernity as one of the few studies that dealt with this contemporary period of the events of the Syrian crisis, which reaches the end of 2016, especially in view of the ongoing developments in this crisis.

This is done through a systematic approach that consists of: historical, comparative, analytical, case studies, as well as theories: realism, role, decision making, black swan, match, domino and conspiracy.

The study concluded that there are regional and international countries that played a role in complicating the Syrian crisis and prolonging it. The Syrian crisis also revealed its important geostrategic position in the international and regional systems through the intersection of interests and their differences.

The Arab Spring has produced a change in the roles of regional and international players. In the one hand, the United States is no longer the only international force on the international scene. In the other hand, reappearance of new forces at this level including, Russia which advocates the right of return, China, which advocates multipolarism.